المجتمع

دراسة فى علم الاجتماع

تأليف

دكتور حسين عبد الحميد احمد رشوان

دكتوراه فى علم الاجتماع

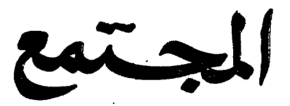
كبير مدرسى علم الاجتماع بدرجة مدير عام

أستاذ جامعة الاسكندرية (سابقا)

١٩٩٣

الطبعة الثانية





دراســـة فى عـــلم الاجتمـــاع

تـأليف

دكتور/ حسين عبد الحميد أحمد رشوان
دكتوراه فى علم الاجتماع
كبير مدرسى علم الاجتماع بدرجة مدير عام / أستاذ
جامعـــة الاســـكندرية (سابقا)

الطبعـــة الثـــانية

المكتب الجامعي الحديث
٢٢ شارع الدكتور على راضى
محطة الرمل - إسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى ذلك الرجل ، إلى ذلك المعلم أهدى ثمرة من ثمرات غرسه ، وهو كثير
إلى الاستاذ الدكتور /

عبد الهـــادى الجوهرى

مستشار مصر الثقافى فى اليمن

محتويات الكتاب

الموضوع	أرقام الصفحات

مقدمة

يتناول هذا الكتاب « المجتمع - دراسة فى علم الاجتماع » ، مستهدفا بذلك إلقاء الضوء على المجتمع باعتباره موضوع علم الاجتماع ، وباعتبار أن المجتمع هو بناء مكون من أجزاء وعناصر مترابطة ، ولكل جزء وظيفة .

ولقد تعددت الاتجاهات النظرية فى تفسير المجتمع وطبيعة تكوينه ، وأهم هذه الاتجاهات والنظريات : نظرية التعاقد الإجتماعى ، والاتجاه التاريخى ، ونظرية الكائن العضوى ، ونظرية التفاعل الاجتماعى .

ولقد تناولت كتب علم الاجتماع المختلفة عناصر المجتمع ، إلا أن معظمها تناول عنصرا أو أكثر ، غافلا النظر عن العناصر الأخرى التى تكون المجتمع ، فجاءت مبتسرة ولا توحى بأن هذه العناصر تكون المجتمع . ولهذا تبدو أهمية هذا الكتاب - وحسب إعتقادى - فى أنه جاء شاملا لجميع عناصر المجتمع وأجزائه .

وإستند المؤلف فى هذا الكتاب إلى مراجع يمكن تصنيفها إلى ما يتعلق بعلم الاجتماع العام وأبرزها كتب الدكتور / محمد عاطف غيث ، ومدون بعض منها فى نهاية الكتاب تحت عنوان « المراجع » وبالانجليزية

Norbert Elias, What is Sociology, Now York, Columbia University Press, 1978.

وفى علم الاجتماع السياسى نذكر كتاب د السيد عبد الحليم الزيات « البناء الطبقى والتنمية السياسية - دراسة سسيوتاريخية ١٨٠٥ - ١٩٥٢ . الجزء الأول ، دار المعارف ، ١٩٨٥ .

وفى علم الاجتماع الريفى نذكر على سبيل المثال لا الحصر كتاب د. عبد المنعم محمد بدر. دراسات فى التنمية الريفية . الاسكندرية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٩ . وبالانجليزية Rural Sociology, Vol. 38, No. 4, Winter, 1978 .

وفى التنمية الاجتماعية إستند المؤلف إلى كتاب د عبد الهادى الجوهرى وآخرين . دراسات فى التنمية الاجتماعية — مدخل إسلامى . القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٤ .

وفى السكان والإيكولوجيا كتاب د. عبد الكريم اليافى . فى علم السكان . طبعة جامعة دمشق ، ١٩٥٩ . وبالانجليزية :

Charles H. Southwick, Ecology and the Quantity of our Environment, New York, D. Van Yostrand Company, Second Edition, 1976.

وفى الانثروبولوجيا د. عاطف وصفى . الأنثروبولوجيا الاجتماعية . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٧ . وبالانجليزية :

Paul Bohannan, Social Anthropology, New York, Holt, Rinehart & Winston, 1966,

وينقسم هذا الكتاب إلى عشرة فصول، يتناول الفصل الأول التعريف بعلم الاجتماع ، وجدارة هذا العلم كعلم ، وفوائده ، و نشأته . ويتناول الفصل الثانى معنى اصطلاح المجتمع . والعوامل المؤثرة فى حياة الفرد والمجتمع ، وتطور المجتمعات الانسانية ، والاتجاهات النظرية فى تفسير طبيعة المجتمعات ، وأخيرا الثقافة .

وتناول الفصل الثالث الجماعات الاجتماعية . ومن هذا الفصل يتبين أن

هناك مدخلان لتفسير الجماعات الاجتماعية : مدخل سيكلوجى ، ومدخل يفسر الجماعة الاجتماعية فى ضوء العلاقات الاجتماعية والتفاعل .

أما الفصل الرابع فقد تناول « المجتمع المحلى » ، فما دمنـــا قد طرقنا المجتمع فى الفصل الثانى ، فانه من اللازم أن نتناول المجتمع المحلى ، حتى يستبين الفارق بين المصطلحين . ومن العلماء من فسر المجتمع المحلى بالارتكاز على عناصر سيكلوجية ، ومنهم من فسره فى ضوء الإيكولوجيا ، ومنهم من تبنى منظورا ثقافيا ، ومن العلماء من فسر المجتمع المحلى في ضوء عناصر سسيولوجية قاصدين بذلك عملية التفاعل الاجتماعى .

وعنوان الفصل الخامس : النظم الاجتماعية ، وهى نتاج العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى . وطرق الفصل النظم الأسرية ، والدينية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والتربوية ، والترفيهية .

أما الفصل السادس فقد تناول « التنظيمات الاجتماعية » . وهو مصطلح له إستعمالان : التنظيم الاجتماعى فى المصنع ، والتنظيم الاجتماعى كرادف للبناء الاجتماعى . وطرق الفصل المعايير الاجتماعية وهى : العادات ، والعرف ، والتقاليد ، والقيم ، والايديولوجية ، والسلطه ، والقانون ، والرقابه الإجتماعية ، والرأى العام ، والمركز والدور ، والبيروقراطيه .

وتناول الفصل السابع « العمليات الاجتماعية » وهى تنشأ عن التفاعل الاجتماعى ، ومنها التعاون ، والتنافس ، والصراع ، والتوافق ، والتنشئه الاجتماعية ، والتكيف الاجتماعى ، والتمثيل ، والمزج العنصرى ، والتكامل.

أما الفصل الثامن فقد عرض لموضوع «الطبقات الاجتماعيه » من حيث

التعريف ، والمعايير التى تحدد الطبقه الاجتماعية . وهناك نظريتان أساسيتان للطبقه الاجتماعية : نظرية الصراع ونظرية التكامل . وفرق الفصل بين الطبقة والفئة الاجتماعية والطائفه .

وعرض الفصل التاسع لموضوع السكان باعتبار أنهم ركيزة المجتمع . ويعالج علم الاجتماع السكان من زاوية إرتباطهم بمختلف الظواهر والنظم والأنساق التى يتألف منها البناء الاجتماعى . كما عرض الفصل للنظريات التى تناولت السكان .

وتناول الفصل العاشر والأخير موضوع « التغير الاجتماعى » والعوامل التى تؤدى إلى التغير الاجتماعى ، ونظرية التخلف الاجتماعى ، والتغير الثقافى ، والتطور الاجتماعى ، والثورة الاجتماعية ، والحركة الاجتماعية ، والحراك الاجتماعى ، والتنمية الاجتماعية ، مع بيان الفروق بين هذه المصطلحات .

وأرجوا أن أكون قد وفقت ؟

الطبعة الأولى ١٩٨٩

الطبعة الثانية ١٩٩٢

دكتور/ حسين عبد الحميد أحمد رشوان
كبير مدرسى علم الاجتماع بدرجة مدير عام
جامعة الاسكندرية (سابقا)

الفصل الأول

علم الاجتماع

تعريف علم الاجتماع

علم الاجتماع هو أحد العلوم الاجتماعية ، وهو علم يربط بين هذه العلوم . فلقد ظهر علم الاجتماع حين تبين أن كلا من علم الاقتصاد والتاريخ والسياسة ، لم يستطع كل منها على حدة أن يفسر السلوك الكلي للانسان. فعلم الاقتصاد يدرس الانتاج و توزيع الثروة ، وتبادل السلع والخدمات ، وعلم التاريخ يسرد ماضى الانسان وما مر به من أحداث ويحلل علم السياسة توزيع السلطة فى المجتمعات المختلفة .

إذن فكل علم من هذه العلوم يحصر نفسه داخل مجال واحد من مجالات الحياة الاجتماعية ، وفى معزل عن المجالات الأخرى . ومن ثم ظهرت الحاجة إلى علم يدرس السلوك الاجتماعى فى كليته ، فكان هذا العلم علم الاجتماع . وهو علم لا يحصر نفسه داخل إطار أحد أبعاد العالم الاجتماعى فحين يدرس عالم الاقتصاد ذبذبات السوق فى مجتمع رأسمالى ، فغالبا ما يركز على شكل النظام الرأسمالى , ومعدلات الربح ، ومستويات الأجور . واستثمار الأموال والأعمال . أما علم الاجتماع فهو يقترب من هذه المجالات ، ولكنه يضع فى اعتباره الناس الذين يقومون بهذه الأعمال ، ومن الذى يحصل على العمل ، والنظم الاجتماعيه المرتبطة بالنظام الاقتصادى ، والطبقات الاجتماعية ، واستراتيجيات العمل ، والعوامل الثقافية التى تؤثر فى السلوك الاقتصادى .

وهكذا فعلم الاجتماع أكثر عمومية من العلوم الاجتماعية الأخرى . فهو يستعين بقدر هائل من حقائق وبيانات العلوم الإنسانية والإجتماعية

الاخرى . وقد يعتقد لأول وهله أن دوره يقتصر على نوع من المسح لكافة هذه العلوم . وحقيقة الأمر تختلف عن ذلك ، فعلم الاجتماع له موضوعه الخاص ، ألا وهو العلاقات الاجتماعية ، ويطلق على شبكة العلاقات الاجتماعية اصطلاح المجتمع ، مما يجعل منه علما مميزا ومستقلا عن العلوم الأخرى ، بالرغم من ارتباطه بها . فعلم الاجتماع هو جماع العلوم الاجتماعية ، وهو علم تعميم لكل العلاقات الاجتماعية للانسان ، موضوعه الاساسى الانسان باعتباره حيوان سياسى — أى اجتماعى — كما ذكر أرسطو

ويستند فهم العلاقات الاجتماعية على المعنى ، فما يعتقده الناس عن أنفسهم وزملائهم ورفاقهم وعالمهم الاجتماعى والفيزيقى هو أساس أفعالهم . فالأفعال وردود الافعال هى فى الحقيقة التأثيرات الشعورية التى يضبطها معتقدات الآخرين فى الماضى والحاضر [1] .

ويدرس علم الاجتماع التجمعات الانسانية — أى المجتمع الانسانى — أى يختص بكل ما هو إنسانى إجتماعى ، أو بكل ما يتعلق بالانسان من الناحية الاجتماعية ، وكل ما يتعلق بالمجتمع من الناحية الانسانية ، ذلك أن المجتمع عبارة عن سلوك أى جماعة مكونة من أعضاء يحيون حياة متساندة ووسيلتهم فى ذلك التفاعل والعلاقات المتبادلة .

ويتبين ذلك من اشتقاق مصطلح « علم الاجتماع » ، فهو مشتق من كلمتين ، ليسا كالعادة من أصل يونانى كما هو الحال فى كلمة « علم الحياة Biology » أو كلمة « علم النفس Psychology » . وإنما اشتق من

---

1 – See Salvador Giner, Sociology, P. 9

كلمة لا تينية Socius ، وتعنى رفيق أو رابطة أو مجتمع ، وأخـــرى يونانية Logos ، ويعنى علم أو منطق أو دراسة على مستوى عالى . ومن هنا فان كلمة « علم الاجتماع » تعنى علم المجتمع أو علم دراسة المجتمعات الانسانيـة .

فعلم الاجتماع يدرس التأثيرات والعلاقات الانسانية المتبادلة ، والناتجة عن كون الانسان كائن اجتماعي – أى يعيش فى جماعة – ولا يستطيع أن ينعزل عن أقرانه ، أو يعيش منفردا ، فهو يقضى معظم أوقاته مرتبطا بهم وعلى علاقة معهم ، ولا تضفى عليه إنسانيته إلا بفضل مشـاركته فى المجتمع ومساهمته فى تيار الحياة الاجتماعية . (٢) ولو جردنا الانسان من لغته ومعتقداته وأزيائه وهي التى يكتسبهـا من المجتمع ، فسوف لا نراه إنسانا ، وإنما نتصوره وحشا من وحوش الغاب ، أو ملاكا من الملائكة ، فالمجتمع هو العـامل الأولى فى تحويل الإنسان من كائن بيولوجى أو كائن عضوى حيوانى إلى الإنسان ككائن مثقف .

الإنسان إذن عضو فى جماعات اجتماعية منظمة ، فى بعضها يكون ارتباطه بها شديدا ودائما كما فى حالة الأسرة ، حيث العلاقة مبـاشرة — علاقة الوجه للوجه Face - to - Face – ويعرف كل فرد الآخر . وفى بعضها الآخر يكون ارتباطه بهـا عرضيـا لا شخصيا مثل ارتباطه بأفراد مجتمعة فى القرية أو المدينة ، حيث لا نستطيع أن نزعم أنه يعرف جميع سكان قريته أو مدينته . ومع ذلك فالحقيقة أنه تربطه بهم لغـــة

---

2 — Peter LucKn an Beger, The Social ccnstruction of Reality, P. 8

واحدة ومصالح مشتركة ونظرة متطابقة تقريباً للحياة ، كما تربطه بهم مصدر ولاء وانتماء لهذا المجتمع ، كما يعتمد هو وبقية أفراد المجتمع على حكومة قومية مشتركة ، تحميه هو وهم وتوفر لهم سبل العيش .

وتنتج عن هذه المعيشة سويا جماعات ونظما اجتماعية لها قواعد منظمة وتؤدى وظائف معينة . وهذه وتلك تسمى بالظواهر الاجتماعية ، وهي أساس لموضوع علم الاجتماع ـ فهو يدرس الحياة الجمعية للانسان بجميع أشكالها ونظمها كالنظم السياسية والاقتصادية والعائلية والتربوية وتطورها والجماعات الانسانية وعلاقتها بعضها ببعض . كما يدرس القواعد والمعايير التى تحدد سلوك الانسان ، وعلاقات الناس بعضهم ببعض من معرفة وعقيدة وأخلاق وتقاليد وعادات وعرف وقيم . ويدرس كذلك أوجه النشاط التى يحافظ الناس بها على وجودهم من تعاون وتنافس وصراع .

ويتبين من ذلك أن علم الاجتماع يدرس الظواهر الاجتماعية ، وهى الظواهر التى تنشأ عن وجود الانسان فى المجتمع ، ويدرسها دراسة تحليلية وصفية علمية صحيحة ، بقصد اكتشاف القوانين التى تفسر الحياة الاجتماعية تفسيرا شاملا ، وتخضع لها الوقائع الاجتماعية ، وتنبؤنا بما سيحدث فى المستقبل ومن ثم فهو ليس بفلسفة اجتماعية ، لأنه لا يتعرض ولا يقترح ما ينبغى أن يكون ، وإنما يتعرض للظواهر الكائنة بالفعل أو التى كانت موجودة فى الماضى . وهو فى هذا إنما يسير على نفس النهج الذى تسير عليه العلوم الطبيعية .

وقد فصل أوجست كونت Comte علم الاجتماع عن الفلسفة ، وفى وقتنا الحالى بذلت محاولات لاستقلال بناء العمليات الاجتماعية عن البيولوجيا والسيكلوجيا ، حيث يبدو فى العملية الاجتماعية تأثير كل فرد فى الآخر ، وتأثير كل جيل على الجيل التالى . (1)

جدارة علم الاجتماع كعلم :-

يرى البعض أن علم الاجتماع أدنى مرتبة من العلوم الأخرى ، وأنه مجرد تجميع غامض لحقائق غير مترابطة . ويرد على ذلك بأنه حقيقة أن المادة التى يدرسها عالم النبات أو عالم الطبيعة أو الكيميائى تختلف اختلافا كبيرا عن المادة التى يدرسها علم الاجتماع ، إلا أن مصطلح "العلم" ينطبق على علم الاجتماع .

وقد عرف العلم تعريفات مختلفة . فمن العلماء من اعتبره جسد منظم من المعرفة . فقد عرف ويبستر Webester العلم فى قاموسه العلم : بأنه المعرفة المنسقة التى تنشأ عن الملاحظة والدراسة والفحص والتجريب والتى تتم بغرض تحديد طبيعة أو أصول ما تم دراسته .

وعرف آخرون العلم بأنه « طريقة منظمة للحصول على المعرفة » أو بأنه البحث الكفء الذى يتعلق بجسد مترابط الحقائق المصنفة ، والتى تحكمها قوانين عامة ، وتحتوى على طرق ومناهج موثوق بها لاكتشاف الحقائق الجديدة فى نطاق هذه الدراسة .

---

1 - Norbert Elias, What is Sociology P. 45

وإذا طبقنا التعريف الأول على علم الاجتماع وجدنا أنه علم يهدف إلى اكتشاف المادة موضوع الدراسة وتفهمها وفحصها وتفسيرها وتنمية وتطوير جسد من المعرفة المنظمة واعتقة في المجتمع بالفعل ، فعالم الاجتماع يغفل في دراسته الأساطير والتراث الشعبي والتفكير المرغوب فيه ، وتستند نتائجه على الكشف عن الحقيقة العلمية . وهكذا فهو علم .

وإذا نظرنا إلى علم الاجتماع من ناحية استخدام المنهج العلمي ، نجد أن علم الاجتماع يستخدم المنهج الموضوعي العلمي ، وهو ذلك المنهج المستخدم في علوم الطبيعة .

وربما يرجع السبب في إلصاق تهمة أن علم الاجتماع أدنى مرتبة من العلوم الأخرى إلى أنه علم حديث نسبيا ، وإذا كان له تاريخ طويل ، ففي خلاله لم يكن بعلم ، وإنما كان فلسفة اجتماعية . كذلك فإن علم الاجتماع في مرحلة من مراحله كان يعتمد على التراث الشعبي والتخمين ، أو تفسير كل ظاهرة اجتماعية عند الآلهة أو من يمثلونهم على وجـــه الأرض من علماء وكهنة وحكام وأسلاف .

كما يرجع إلصاق هذه التهمة بعلم الاجتماع إلى أن علمـاء الاجتماع لم يحاولوا أن يبينوا أو يثبتوا أن علمهم انما هو جدير بالعلم ويقف بين مصاف العلوم الأخرى .

ومن ناحية أخرى فانه يتوفر لعـلم الاجتماع الشروط التي تجعل منـه علما — وهي نفس الشروط المتوفرة في العلوم الأخرى . وأهمها .

١ — وجود طائفة من الظواهر يتخذها العلم موضوعا للدراسة والبحوث .

٢ - خضوع هذه المجموعة من الظواهر لمنهج البحث العلمى .

٣- الوصول على ضوء مناهج البحث إلى مجموعـة من القوانين العلميـة . (١)

فوائد علم الاجتماع :

تقدم علم الاجتماع تقدما كبيرا فى السنوات الآخيرة ، وأصبحت فائدته والحاجة اليه كعلم يدرس الحياة الاجتماعية ماسة وتزيد سنة بعد أخرى ، وتوقع الناس منه خيرا وفائدة للمجتمع ، فالتقدم الهائل فى العلوم والفنون ، والتكنولوجيا خلال هذا القرن أدى إلى تغييرات فى العلاقات الاجتماعية ، والأخلاقية ، وأحدث الكثير من المشكلات الاجتماعية ، كما أدى إلى إعادة توزيع السكان . ولاشك فان علم الاجتماع هو العلم الذى يستطيع أن يقدم لنا الدراسة والبحث والتحليل والقوانين والنظريات التى تحكم هذه التغيرات وتكون أساسا لرسم السياسات الاجتماعية من أجل تكيف الفرد مع مجتمعه. وعليه فقد أصبح علم الاجتماع ميدانا واسعا للدراســـة فى معظم المناهج الدراسية ، وأنشئت أقسام لعلم الاجتماع فى الجامعات والكليات والمعاهد فى مختلف بلدان العالم . وهو يدرس بتوسـع وتركيز للمتخصصين ، كما يدرس فى برامج التعليم العام لغير المتخصصين حتى يلم به الطلاب .

---

1 - See John Biesanze & Mavis Biesanze, An Introducion to Sccial Science, p. 4 & See Paul B. Horton & Chester Hunter, Scciology, P. 17

وأنظر د. ابراهيم أحمد سلامة . مناهج البحث فى التربية الرياضية ص ٤

ولعلم الاجتماع فوائد بالنسبة للفرد ، وبالنسبة للمجتمع .

فوائد علم الاجتماع بالنسبة للفرد : ـ

يفيد علم الاجتماع الفرد فى أنه يجعله يدرك المعانى والعادات والقيم والقوانين والاتجاهات المختلفة المتصلة بالنظم الاجتماعية التى تقوم عليها مجتمعه الأمر الذى يعينه على تكييف حياته الأسرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وفق مصطلحات المجتمع وقوميته . كما أن إدراك الفرد لهذه المعايير يمكنه من أن يقارن مجتمعه بالمجتمعات الأخرى .

ويمكن علم الاجتماع الفرد من أن يعى الطبقة التى ينتمى إليها،وكذلك وضعه الاجتماعى . كما يفيد علم الاجتماع الفرد فى إدراك تاريخ وسير الحياة الاجتماعية ، والعلاقات بين الفرد والمجتمع .[1]

ويفيد علم الاجتماع كذلك فى تعريف الفرد بالمشكلات الاجتماعية ، ويتفهم دوافعها ونتائجها مما قد يعينه على الإسهام فى علاجها بقدر المستطاع . كذلك يتعرف الفرد على التغيرات المستمرة فى نسبة المواليد والوفيات والزيادة المتوقعة فى عدد السكان ، والتغيرات المطردة فى الموارد الإنتاجية مما يجعله يستطيع أن يكيف نفسه وحياته العائلية مع تلك التغيرات حتى يستطيع أن يعيش فى مستوى اقتصادى واجتماعى لائق .

ويعرف علم الاجتماع الفرد على نظم المؤسسات الاجتماعية المختلفة

---

1 - See Jarres M. Helsin (Ed.), Dcwn & Earth, Sccioløgy, P. 21

ووظائف وأسلوب عملها وعلاقة بعضها ببعض مما يعنيه على معرفة حقوقه وواجباته إزاءها فينتفع بخدماتها ويساهم فى أوجه نشاطها .

فوائد علم الاجتماع بالنسبة للمجتمع : —

يساعد علم الاجتماع على معرفة عادات وتقاليد المجتمع ، ثم يقارنها بعادات وتقاليد مجتمعات أخرى ، ويوضح الأسباب التى عملت على تكوين تلك العادات والتقاليد ، وهو بذلك إنما يكشف عن حقائق تتعلق بالمجتمع . ومن ذلك أن علم الاجتماع قد أوضح أنه لاعلاقة ولا ارتباط بين الجنس والذكاء وتلك أمور خلقها الساسة الاستعماريون فى العديد من المجتمعات .

كذلك يبحث علم الاجتماع فى موارد المجتمع الحيوية والطبيعية والمالية، وعن طريق هـــذه الأبحاث يرسم ولاة الأمور فى المجتمع الخطط اللازمة لتنسيق المجتمع ورفاهيته وتقدمه . فاذا درس عالم الاجتماع السكان فانه يزودنا بحقائق عن معدلات المواليد والوفيات وزيادة أو نقص السكان فى المجتمع الذى نقوم بدراسته ، ثم يأتى ببيانات عن هذه الحقائق لنفس المجتمع ولفترة ماضية . وحينئذ يمكن الاشارة إلى أى اتجاه تتغير معدلات السكان خلال السنوات المختلفة . وفى ضوء هذا يضع ولاة الأمور أو المصلحون الاجتماعيون خططا لمواجهة الزيادة السكانية فى المستقبل .

ويبين علم الاجتماع لولاة الأمور أهم المشكلات الاجتماعية القائمة وأسبابها ، فمثلا يكشف عن أسباب ازدياد الجريمة والطلاق والتشرد ...الخ ، وبذلك تتخذ تلك الأبحـاث أساسا لعمل ولى الأمر والمصلح الاجتماعى والأخصائى الاجتماعى فيستعينون بها ويرسمون خطط السياسات الاصلاحية الاجتماعية على أسس علمية سليمة مبنية على الحقائق ومدعمة بالإحصاءات .

نشأة علم الاجتماع :

يعتبر علم الاجتماع بوصفه علما تحليليا وصفيا وصفيا علما حديث النشأة، بل إنه آخر العلوم الانسانية . ولايعنى هذا أنه خلق خلقا ، أو أنه وليد الأمس فقط ذلك أن التفكير الاجتماعى والفلسفة الاجتماعية قديمة قدم المجتمعات الانسانية . فقد انبرى الحكماء والفلاسفه والمصلحون لعلاج والقضاء على الاضطراب والنزاع الذى يسود بين الناس ، وأخذوا يرسمون المثل العليا للسياسة الاجتماعية وتقرر الأمن والنظام ، هادفين بذلك تحقيق مجتمعات مثالية .

هذا النوع من التفكير هو ما نطلق عليه اسم « الفلسفة الاجتماعية » وقد اتسمت الفلسفة الاجتماعية بالتفكير الذاتى Subjective – أى الذى يعرض وجهة نظر الفيلسوف وآراءه الذاتية . وكانت ذات وجهة نظر غائية ومعيارية : غائية أى أن الاعتبار الوحيد يتمثل فى الوصول إلى المثل الأعلى الذى ينبغى تحقيقه ، والبحث فقط عما ينبغى أن يكون عليه التنظيم الاجتماعى والسياسى (الأفضل) . ومعيارية أى تهتم بوضع معايير أى قواعد للعمل بمقتضاها فى الحياة الجمعية .

فقد أرتكزت فلسفة أفلاطون (٤٢٧ – ٣٤٧ ق م) عن المجتمع على أساس الحاجه الاقتصادية . وحدد عدد السكان الذى ينبغى على المدينة ألا تتعداه ، وذلك لتحاشى كل انفصام للتوازن الاقتصادى والسياسى . وذكر أنه ينبغى أن يكون فى المجتمع ثلاث طبقات : طبقة الحكام وطبقة الجند وطبقة الفلاحين والصناع . وتصور أفلاطون المجتمع شيوعيا من بعض وجوهه ويقوم ذلك على أمرين : تحريم الملكية الخاصة على طبقتى

الحكام والجند ، وإلغاء الزواج الفردى الدائم واستبداله « بالانسان الموجه » وفقا لمشيئة الدولة . واعتمد أفلاطون فى ذلك على التعليم — لا على الشيوعية. ومن هنا يعبين كيف أراد « أفلاطون » أن يرسم المثل العليا والنموذج الأكمل للحياة الاجتماعية كما يراه ويتخيله .

أما أرسطو (٣٨٤ — ٣٢٢ ق م) فقد كان أكثر واقعية من أفلاطون . ويقوم فكره على أن « الانسان حيوان سياسى » ، بمعنى أنه لا يمكن أن نفصله عن الحياة الاجتماعية . وهكذا اختلف أرسطو عن أفلاطون فى نظرته للحياه الاجتماعية فبينما يرد أفلاطون هذا الأساس على الحاجة الاقتصادية ، فان أرسطو يرده إلى غريزة طبيعية فى الانسان — إلى اجتماع الانسان بأخيه الانسان ، فالانسان فى رأيه حيوان اجتماعى .

وقارن أرسطو بين المجتمع والكائن الحى ، فكلاهما — كما يقول — يخضع لقانون المولد والنمو والموت، وهو فى ذلك يشير إلى التغير الاجتماعى مدحضا بذلك محاولة أفلاطون لإنشاء نظام ثابت لا يتغير . ومجد أرسطو الأسرة واعتبرها الخلية الأولى فى المجتمع . وهكذا اختلف أفلاطون عن أرسطو — إذ حاول أفلاطون القضاء على الأسرة .

وتتكون الأسرة فى رأى أرسطو من الزوج والزوجة والبنين والعبيد . والرجل هو رب الأسرة ، وبما له من عقل كامل يدير شئون المنزل . أما المرأة فهى أقل منه عقلا ، ولا يجب أن تتدخل فى شئون السياسة والجندية ، وإنما عليها تربية الأولاد . وهكذا رأى أرسطو أن المساواة بين الرجل والمرأة غير واقعية ، وذلك عكس أفلاطون الذى فرض تربية واحدة على النساء والرجال لإفادة المساواة الطبيعية بين الرجل والمرأة .

أما ابن خلدون ـ فكانت دراسته للمجتمـــع واقعية ، وفى ضوء ملاحظاته وتجاربه ، ونظر إلى الظواهر الاجتماعية نظرة فاحصة بقصد تحليلها وإستخلاص أسباب حدوثها ، ودرس العوامل والظروف التى تصاحب انحلال المجتمعات ، وترجع أهمية دراسته إلى استخدام المنهج المقارن . وقام ابن خلدون بتحديد موضوعات علم الاجتماع وسماه علم العمران .

والمجتمع الإنسانى ـ فيما يرى ابن خلدون ـ ضرورى للانسان ، لأن الإنسان « مدنى بالطبع » . ويخضع المجتمع للتغير شأنه شأن الفرد . كذلك الأمر بالنسبة للظواهر الاجتماعية والنظم الاجتماعية ، فهى لا تجمد على حال واحدة ، بل تختلف أوضاعها باختلاف الأمم والشعوب ، وتختلف فى المجتمع الواحد باختلاف العصور .

وصاغ أوجست كونت August Ccnte (١٧٩٨ – ١٨٥٧) الفرنسى كلمة « علم الاجتماع Socicl.cgie » فى كتابة « الفلسفة الوضعية Fcsitive Philcscphy » الذى نشر عام ٨٣٨ . واشتهر كونت بفصل علم الاجتماع عن الميتافيزيقا والفلسفة ، فقد نبه إلى أهمية إستخدام الملاحظة والتجربة القائمة على المقارنة فى الزمان والمكان .

وساهم هربرت سبنسر Herbert Spencer (١٨٢٠ – ١٩٠٣) فى انجلترا فى علم الاجتماع مساهمة كبيرة ونشر كتابه « مبادىء علم الاجتماع Principles cf Scciclogy » عام ١٨٧٦ . وطبق نظرية التطور العضوى على المجتمع الإنسانى ، فقد نظر إلى التطور الاجتماعى باعتباره استمرار للتطور الذى يسميه « ما فوق العضوي للحيوان » ، وهذا بدوره ليس إلا إستمراراً لعملية التطور العضوى . ويتميز تطور الكائن العضوى بأنه

تغير من التجانس إلى اللا تجانس ؛ ومن البسيط إلى المركب ، ومن عدم التمايز إلى تمايز البناءات والوظائف وتخصصها . كذلك الأمـــر بالنسبة للمجتمعات الإنسانية ، فهى تتطور فى حركة مستمرة من المجتمعات البسيطة إلى المستويات المختلفة من المجتمعات المركبة . وفى المجتمعات البسيطة يعمل الناس نفس الأعمال ، بينما يسود المجتمعات المركبة التخصص والتعاون المتبـــادل .

ونشر عالم الاجتماع الأمريكى لستر وورد Lester f. Ward كتابه « علم الاجتماع الديناميكى Dynamic sociology » عام ١٨٨٣ . وفى رأيه أن التقدم الإجتماعى يتم من خلال الفعل الاجتماعى الواعى ، والذى يجب أن يتتبعه علماء الإجتماع .

ووضع عالم الاجتماع الفرنسى «إميل دور كايم Emile Durkheim (١٨٥٨ — ١٩١٧) الدعائم الأساسية التى يرتكز عليها علم الإجتماع قواعده من حيث أسس الدراسة ، ومناهج البحث ، وصوغ القوانين فى كتابه « قواعد المنهج فى علم الإجتماع Rules of Sociological Method الذى نشر عام ١٨٩٥ . وفى كتابه « الانتحار Suicide » والذى نشر عام ١٨٩٧ طبق قواعد المنهج العلمى فى دراسته لظاهرة الانتحار وإستخلص دور كايم من هذه الدراسة أن المجتمعات التى تتسم بروابط اجتماعية قوية ، ويتوافر فيها معايير وقواعد تحدد سلوكهم يقل فيها معدل الانتحار عن المجتمعات التى تتسم بضعف الروابط الإجتماعية ، وتفتقر إلى المعايير والضوابط التى تحدد سلوك الناس . فمعدل الانتحار فى المدن أعلى منه فى القرى . وبين العزاب أعلى منه بين المتزوجين ، وبين البروتستانت أعلى منه بين الكاثوليك .

الفصل الثاني

المجتمع

الفرد والمجتمع :ـــ

اينما وجد الفرد فانه يعيش فى جماعة ، ولايستطيع أن يكون فى معزل عنها . فالإنسان حيوان اجتماعى كما قال أرسطو ، والإنسان مدنى بالطبع كما قال ابن خلدون ، والإنسان لا يصير إنساناً إلا بين الناس كما قال فيتشه . ولذلك يعتبر عزل الإنسان عن بنى جنسه من أقسى أنواع العقاب ، وهو يؤدى إلى الاضطرابات العقلية والجنون .

وهكذا فان طبيعة الانسان اجتماعية ، فقد زوده الله سبحانه وتعالى بعدد من القوى والقدرات يسرت له الحياة الاجتماعية نذكر منها : ـ

١ ـ الانسان كائن فريد يتميز بين جميع الكائنات الحية ، فالقردة تستطيع الوقوف ، ولكنها تستعين بيديها على الأرض لاعطاء التوازن . أما جسم الانسان فهو قادر على الوقوف إلى أعلى ، والسير على قدميه ، واستقامة العمود الفقرى . وأذرع ويد الانسان حرة فى اكتشاف وتداول الأشياء فى بيئته الطبيعية. كذلك فان قدم الانسان غالبالايتمكن من التقاط الأشياء. وكان لهذا أثر فى تطور نماذج الحياة الانسانية وتغيرها .

هذا ولايوجد حيوان آخر خلاف الانسان يضحك ، ولاحيوان يصلى ، ولاحيوان آخر يعرف شكلا من أشكال القناعة النفسية التى تحل جزئيا محل حاجته فى بعض الأحيان لاشباعاته البيولوجية . والانسان وحده هو الذى له تاريخ مميز عن الماضى ، وله قيم مميزة عن الحاجات ، وله شعور مميز عن العقل[١]. كما أن الملابس تكون ضرورية للانسان فى معظم الأجواء.

---

١ ـ أ س س . دوب . التغير الاجتماعى ـ ترجمة د. عبد الهادى جوهرى وآخرين ص ٣٢

٢ — والنشاط الجنسى عند معظم الحيوانات دورى ، ويسير طبقا لفصول السنة ، وحسب دورات الاخصاب عند الانثى بينما النشاط الجنسى عند الانسان لايتقيد بفصول معينة . وتلد المرأة فى الحمل الواحد مولودا واحدا ، ومدة حملها طويلة ، كما تحتاج المـــرأة لمساعدة كبيرة أثناء الحمل وتربية الطفل .

٣ — ويولد الطفل دون حول ولاقوة ، ويتميز ببطء النمو . ومن أجل أن يعيش فلابد أن تعوله العائلة أو بديلها لفترة طويلة جدا إذا قيست بتلك التى يحتاج إليها صغار الحيوان .

٤ — اللغة :

زود الله سبحانه وتعالى الانسان بالنطق واللغة . أما عند الحيوانات فتصدر بعض الأصوات الدالة عن اللذة والألم والفرح والحزن غير أن هذه الأصوات لاتعتبر من اللغة فى شىء فهى لاتعبر عن الحق ، والخير والجمال ، والمنزل والشجرة والرجل . ولهذا فهى صادرة بطريقة غريزية ، ومحدودة المدى أما الانسان فهو وحده الذى يدرك الخير والشر والعدل والظلم . وهذه الأمور وما إليها لايمكن أن تقوم إلا فى وسط جمعى .

واللغة فى ذاتها عبارة عن فسق من الرموز الصوتية . وهى تختلف فى كلماتها وطرق ربطها وقواعدها من لغـة إلى أخرى . ولـكن البشر مهما اختلفت ثقافتهم فيتناقلون الأفكار والمعانى عن طريق استخدام اللغة . واللغة وسيلة لتبادل المشاعر ، والآراء ، والأفكار ، والتفاهم ، والتعبير عن الذات وعن المعانى الانسانية ، ووسيلة لاتصال الناس بعضهم ببعض مما يعمل على التقارب والتآلف بين أفراد المجتمع . وتنتج اللغة عن التفاعل الاجتماعى ،

وهى محور رئيسى للحياة الاجتماعية . وهكذا فالناس لا يرثون اللغة ميراثاً بيولوجيا ، ولكنها تظهر من خلال جو اجتماعى معين ، فهى جزء من ثقافة المجتمع .

وحيث أن الانسان يستخدم اللغة ، فهو قادر على أن يكون أكثر من مستجيب لاستجابات انعكاسية أو فطرية لما يحدث حوله فهو يقوم بالتجربة على العالم المحسوس ، وهو واع لما يقوم به ، مدرك لخصائص ما يدرسه ، عالم بنتائج أعمـاله وتمكن اللغة من تفسير التجارب ، ومقارنـة تجارب باحث بباحثين آخرين وهكذا فهى تعطى معنى لهـذه التجارب . وهـذه التجارب ليست نتائج فرد معين ، بل هى - وكما أشار جون ديوى[1]، تقوم على الوعى ، وهي نتاج عمل جماعى يتم من خلال الاتصال والاتفاق.

وعن طريق اللغة أمكن نقل المعارف من جماعة إلى أخرى ، ومن جيل إلى جيل ممـا أدى إلى زيادة التراث الإنسانى ، وأمكن حفظ هـذه التراث وإنمائه ، وتطويره . وهكذا أمكن أن يكون للانسان ثقافة ومدنية .

٥ - القدرة على التفكير والتعقل والتعلم : -

يعتبر المخ أهم جزء فى الجهاز العصبى لسائر الكائنات الحيوانية . وهو يبلغ عند الرجل عامة ١٤٥٠ سم٣ ، وعند المرأة ١٣٠٠ سم٣ ، بينما متوسط حجمه عند أرقى الكائنات الحيوانيـة (النسناس والغوريـلا) لا يتجاوز ٥٠٠ سم٣ . ويختص الانسان دون سائر المخلوقات بقدرته على الكلام ،

---

1 — james B. Mckee, Intreduction to Sciciclcgy. P.P. 60 — 61

والقراءة ، والكتابة ، والتفكير . وقد سهلت قدرته على الكلام فى نقل الأفكار من فـــرد إلى آخر ، ومن جيل إلى جيل ، ومن ثم ساعدت على التفاعل الاجتماعى . كما يتميز الإنسان بادراك الحقائق التجريدية كفكرته عن الله والعالم . . . ، كذلك فانه قد وصل إلى أعلى الاكتشافات العلمية كالمخترعات الحديثة وهذه صفات استطاع الانسان أن يتصف بها دون سائر الكائنات. هـــذا وإن كانت بعض الحيوانات الراقية كالقردة لها قدرة على المحاكاة والتقليد وتعلم بعض الحركات ، إلا أن هـــذه القدرة لاتنبعث عن ذكاء وتفكير ، إنما عن العاده والترديد ، وعلى إشباع الغرائز الضرورية الفطرية. ولهذا أمكن للانسان أن يسيطر على البيئة الطبيعية ، وأن يخضعها فى كثير من الاحيان لمشيئته ، حتى أنه يزيل جميع الكائنات التى تقف فى طريق تعميره للمكان الذى يقيم فيه .

٦ ـ القدرة على استخدام الآلات والأدوات . وهى تتوقف إلى حد كبير على تركيب يديه التى يمسك بها الأشياء بثبات وضبط ، ويحول الطعام إلى الفم بدلا من التقاطه مباشرة بواسطة الأسنان كما تفعل الكلاب .

٧ ـ الغريزة الاجتماعية : وهى دافع فطرى تدفعه نحو الاستئناس ببنى جنسه ، والدخول فى علاقة مع الآخرين . وهذا الدافع وإن كان يظهر فى المجتمعات الحيوانية ، إلا أنه يقوم فى المجتمع الأخير على مجرد الغريزة ، بينما يقوم عند الانسان على دافع الغريزة أولا ثم ينظمها العقل الانسانى بحيث تتحول إلى نظام اجتماعى يقوم على التفكير .

٨ ـ يتميز الانسان عن الحيوان فى أنه يتخذ من المواقف attitudes أساساً للقيم . والموقف هو اتخاذ وضع معين إزاء شخص أو شىء معين

وكل موقف يتخذه الشخص يصحبه قيمه ، وهذه القيم هى التى نسميها الفضائل والرذائل . فالعمل يعتبر خيرا أو شرا ، صوابا أو خطأ ، جميلا أو قبيحا بالنسبة الى المعايير التى يضعها المجتمع . وهذه القيم تختلف من مجتمع إلى آخر ، وتختلف فى المجتمع الواحد من زمن إلى آخر .

٩ — الإنسان مزود بالروابط النفسية — أى ما سماه جيدنجز الشعور بالنوع Cconscious of Kind . وهذه الناحية تعتبر عاملا أساسيا فى تكوين المجتمعات الإنسانية . كما تظهر العوامل النفسية لتجمع الانسان فى الخوف من أشياء معينة ، وما يصاحب هذا الشعور بالخوف من تجمع الناس فى جماعات للحماية المشتركه ومن عوامل التجمع بسبب الخوف والرغبة المشتركه لطرد الحيوانات والحشرات ، بل الإنسان إذا كان عدوا . كما تعود الناس على التجمع لمقاومة النيران والفيضانات ومقاومة ما يعتقده الناس من شرور تتعلق بما وراء الطبيعة . فالناس كانوا يميلون إلى التجمع فى حشود كبيرة أو صغيرة خوفا من بعض الظواهر الطبيعية كالعواصف والزلازل ، فاذا مرت الظاهرة دون أن تؤذيهم اعتبروا هذا نتيجة لتجمعهم معا . ويتولد عن هذا ضرورة التجمع أو التكتل البشرى حفظا لبقاء النوع الانسانى .[1]

ولكن هذه القدرات هى مجرد استعدادات لا تنمو فى الفرد إلا فى ظهور البيئه الاجتماعية ، ولو ترك الانسان وحده لتراجعت هذه الاستعدادات .

---

١ — أنظر د. عبد الحميد لطفى . علم الاجتماع الطبعة الرابعة ١٩٧٧ ص ٥٧

ولهذا فإن تصور الطبيعة الإنسانية ، والعلاقة بين الفرد والمجتمع ، وأيهما يسمو على الآخر من أهم الموضوعات التي شغلت عقول العلماء حتى من قبل أن يصاغ علم الاجتماع . وتجيب تلك العلاقة على استفسارات تدور حول الاستقرار الاجتماعي ، وهل يتطلب تضحية الفرد بحريته الفردية ، ومصالحه الشخصية ، أم أن التنظيم الاجتماعي يهدف إلى تحقيق حرية الأفراد ؟ وإلى أي مدى يستطيع الفرد تغيير واقعه الاجتماعي ؟

وقد انقسم علماء الاجتماع في تفسيرهم للعلاقة بين الفرد والمجتمع إلى اتجاهين :

الاتجاه الأول : وهو يؤكد على تبعية الفرد للمجتمع ، ويبرز المجتمع كحقيقة موضوعية تعلو على الأفراد وتسبقهم في الوجود ، وتفرض عليهم التزاما معينا ، وتحدد أنماط سلوكهم . ويتمثل ذلك في عمليات التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي والتي هي وسائل لتأكيد استمرار وبقاء التنظيم الاجتماعي ، والمجتمع في رأي أصحاب هذا الاتجاه يسبق الفرد الذي هو نتاج القوى الاجتماعية . فالمجتمع هو وحدة عضوية ، له قوانينه الذاتية التي تحكم تطوره ، وله جذوره التي تضرب في أعماق الماضي . وهو ليس تجميع ميكانيكي لعناصر فردية . فالفرد لا وجود له خارج المجتمع ، ولا بعيدا عن الوسط الاجتماعي . ويكتسب الفرد صفاته الانسانية من خلال مشاركته في المجتمع . فالمجتمع هو السبب والفرد هو المسبب / النتاج . وإذا استخدمنا اصطلاح دوركايم فانه من الممكن القول بأنه بعيدا عن الأفراد الذين يكونون المجتمع والمتغيرات السيكلوجية فان المجتمع هو الذي يخلق الفرد عن طريق التربية الخلقية .

فمع نمو الطفل ، تنمو توقعات السلوك ، حيث يتعلم توقع أنواع معينة من السلوك من حوله . فهو يكتسب سلوك الأم . والإخوة ، والاقران ، وتزداد هذه التوقعات بتوسع العلاقات الاجتماعية فالأم - مثلا - تتوقع أن طفلها يسلك سلوكا معينا إزاء مختلف النشاطات التي يقوم بها كالرضا ، وطريقة الأكل ، والمــأوى ، والدفء ، والحب ، وجميع المتطلبات الأخــرى .(٢)

ولقد ثبت توقف الطبيعة الانسانية على عضوية الإنسان في أحد المجتمعات ببعض الأدلة شبه التجريبية وبالطبع ليس من السهل إجراء تجارب لعزل الأطفال الرضع عن جميع العلاقات الاجتماعية ، ولكن المصادفات أو الأحداث الطارئة . وحالة أو حالتين من الحالات المدروسة قدمت الينا الدليل الكافي على أهمية المجتمع بالنسبة للفرد . ولقد يحسن أن نذكر حالتين من هذه الحالات المدروسة .

ومن الحالات الهمجية حالة تختص بطفلتين من الهنود استكشفتا في سنة ١٩٢٠ في جحر ذئب ، وكان عمر إحداها في ذلك الوقت الثامنة ، وعمر الأخرى أقل من سنتين . وماتت الطفلة الصغيرة بعد استكشافها ببضعة شهور ، ولكن الطفلة الكبيرة وتدعى « كاملا » لم يكن في أحوالها ما ينبيء بأنها احتفظت بمظاهر السلوك الانساني . فقد كانت تمشي على أربع ، ولم تكن تتحدث بأية لغة فيما عـــدا عواء يشبه عواء الذئب . وكان تخشى الآدميين . وبعد جهد كبير ، وعطف بالغ عليها في تدريبها وتربيتها استطاعت

---

2 — Paul Bohannan. Social Anthropology, P. 25

أن تتعلم بعض العادات الاجتماعية الأولية ، ووقفت قبل وفاتها فى أن تتعلم بعض الكلام البسيط ، وتتناول الغذاء الذى يتناوله الآدميون ، وارتداء الملابس التى يلبسونها ، وما شابه ذلك .

وهناك حالة « أنا » ، وهى طفلة أمريكية غير شرعية وضعت فى حجرة لما كان سنها ستة أشهر حيث عزلت فيها حتى اكتشفت بعد ذلك بخمس سنوات ، وذلك فى سنة ١٩٣٨ ، وفى خلال حبسها كانت تغذى « أنا » باللبن كطعام رئيسى ، وبعض الأطعمة الأخرى القليلة ، ولم تتح لها فرصة التعلم العادى ، وفى الأغلب لم تتصل بأى إنسان أو حيوان . هذا الانعزال الاجتماعى فى أقصى صوره وأقساها ترك الطفلة وليس لديها إلا القليل من الصفات التى تكون عند الطفل الطبيعى البالغ من العمر خمس سنوات .

وعندما اكتشفت « أنا » لم تكن تقدر على المشى أو الكلام ، وكانت مجردة تماما من العواطف وغير مكترثة بالناس الذين كانوا حولها . ثم استجابت « أنا » للعناية التى وجهت إليها بعد أن أطلقت من محبسها ، وطالت لها إنسانيتها بسرعة قبل موتها عام ١٩٤٢ وتوضح حالة « أنا » مرة أخرى أن الطبيعة الانسانية تنمو فى الإنسان حينما يعيش فى المجتمع ، أو بعبارة أخرى حينما يكون واحدا من كثيرين من الأفراد يقتسمون حياة مشتركة . (١)

ولقد كان « أدموند بيرك Admund Burke » الكاتب الانجليزى الشهير من أوائل المعبرين عن هذا الاتجاه . فقد كتب يقول « إن الدول

---

١ — د . م ماكيفر وشارلز هـ بيج . المجتمع . ص ص ٩٣ – ٩٦

والمجتمعات تنشأ وتنمو بطريقة طبيعية ، ولا تصنع عمدا أوحسب خطة دقيقة ومرسومة ، وأنه من الخطأ ، بل ومن الجرم أن يحاول المرء التعرض للدولة أو المجتمع ، أو أن يعمل على تغييرها فى ضوء ما يشير به العقل أو التفكير . لذلك كان من أقدس الواجبات الملقاه على كل جيل أن يتسلم هذه التقاليد من الأجيال التى سبقته فيحافظ عليها ، ثم ينتقل هــــذا التراث الاجتماعى كله إلى الأجيال التى ستأتى من بعده .

ويذهب « ألفن جولدنر Alvin Gculdner » إلى أنه بالرغم من أن الأفراد أطاحوا بالنظام الملكى فى فرنســا ، وغيروا النظام السياسى والاجتماعى القائم آنذاك ، إلا أنهم كانوا يشعرون أن العالم غريب عنهم ، بعيــد عن سيطرتهم .

ويذهب إميل دوركايم إلى أن الظاهرة الاجتماعية تنشــأ خارج شعور الفرد كحقيقة موضوعية تؤثر فيه . وتوجه ســلوكه وتفكيره وشعوره على غير إرادة منه ، وليس فى وسعه أن يقاوم تأثيرهــا ، وهى تخضــع لقوانين علمية ـ شأنها شأن الظواهر الطبيعية ، وهى تنشأ بنشأة الاجتماع البشرى لأنها من صنع العقل الجمعى ، وهى تفرض نفسها على الأفراد فلا يملــكون إلا طاعتها راضين أو كارهين .

وكثيرا ما تصطدم الواجبــات الاجتماعية بعواطف الفرد ومشاعره الحقيقية ، ولكن التجربة تشهد بأن الفرد يتغاضى فى هذه الحالة عن مشاعره الخاصة ، وينصاع لمعــايير المجتمع ومثله العيا . وهذا هو حال الفرد إزاء الظواهر ـ خلقية ودينية وسياسية واقتصادية أو اجتماعية بوجه أعم ، وكل من حاول التمرد على قيم المجتمع عرض نفسه لسخطه واستهجانه ،

واستهدف لعقوبات مادية أو أدبية .

والحقيقة أن هذا الرأى يسىء إلى فردية الكائن الاجتماعى ، ذلك أنه لا معنى للمجتمع دون أن يكون أفراده حقائق واقعة .

أما الاتجاه الثانى : وهو المناصر للفردية ، فيقول مؤيدوه أن تبعية الفرد للمجتمع بهذه الصورة فيه طمس كبير لشخصيته ، وتقليل لدور الفرد فى الحياة الاجتماعية ، وإلغاء للعقل والعواطف التى تلعب دورا حاسما فى المجتمع . فلقد اعتبرت الليبرالية الفرد هو أساس وحدة المجتمع ومحور الوجود . ومن ثم اعتبرته غاية فى ذاته . ذلك أن النوع الإنسانى لا يقوم إلا على الأفراد وبالأفراد . فالانسان الفرد هو أساس الوجود ، وهو غاية الوجود فى الوقت ذاته وتأسيسا على ذلك فان كل القيم لا بد وأن يكون محورها الفرد ، فالفرد هو صانع الفكر ، وصانع المادة . وصانع الآلة . فالفرد يسمو على المجتمع ، وإذا كان الأمر غير ذلك ، فكيف نفسر عمليات الخلق والابداع . ودور الزعامة والقيادة فى تغيير المجتمع ، وفى تغيير النظم الاجتماعية ، وفى إعطاء صورة متجددة للحياة الاجتماعية .

ومن أنصار هذا الاتجاه جون لوك John Lock ، وجان جاك روسو Jean Jaques Rousseau وتوماس هوبز Thomas Hobes ، فقد قدموا تصورات للعلاقة بين الفرد والمجتمع تعرف بنظرية « العقد الاجتماعى Social Contract » . وتشير هذه النظرية بوجه عام إلى أن الانسان ولد حرا ، ومساويا لغيره فى المرحلة التى عاش فيها على الفطرة ، وأن ما أبرمه من عقد اجتماعى لم يكن إلا لسد حاجاته الاجتماعية المتعلقة بانتظام الحياة فى المجتمع وحمايته .

وتظهر اختلافات أصحاب هذه النظرية حين يؤكد روسو أن ...
أن طبيعــة الانسان ذات منزلة رفيعة ، وأن حالة الطبيعة يسودها الخـير والسعادة والفضيلة المطبوعة فى كل القلوب ، وكذلك المساواة . ولم تنشأ الحاجة إلى تغيير حالة الطبيعة الا من الاحتكاك بالآخرين . وكان عصر اكتشاف المعادن والزراعة هو العصر الممـيز لهذه الفترة . فقد تبـع هذه الظاهرة حيـازة الأراضى ، والتهافت على تقسيمها ، وظهور اللامساواة بين الناس ، وقيام المشاكل بين الحدود .

وأضاف روسو إلى هذا السبب الذى أسهم فى تحول الانسان إلى حياة المجتمع ، عوامل الطبيعة مثل البرد القارس والقيظ المحرق ، والجدب ، فقد اضطرت هذه المؤثرات الإنسان الأول إلى التعاون مع بنى جنسه فى الصيد برا وبحرا ، والتـآزر لتوفير الغـذاء . والعقد الاجتماعى عند روسو هو الذى ينهى عهد الفطرة ، ويعمـل على إنشاء المجتمع لتقـام الدولة الحقيقة التى تؤدى عملها .

أما توماس هوبز فيلسوف القرن السابع عشر ، فقد أورد فى كتابه الوحش Leviathan أن طبيعة الإنسان وحشية وأنانية ، وأن المجتمع ما هو إلا وسيلة لحماية الناس من نتائج طبائعهم الجامحة . ويقول آدم سميث أن المجتمـع اصطناع مبتكر لتحقيق الاقتصاد المتبادل .

وتعتبر هذه النظريات أن الناس هم أفراد من قبل أن يدخلوا حظيرة المجتمع ، وأنهم يقيمون حياة منتظمة لحماية ممتلكاتهم أو حقوقهم أو لأى غرض آخر يستحسنونه .

تعقيب : —

والحقيقة أن حجج كل من الفريقين يقوم على اعتقاد خاطىء لطبيعة العلاقات بين الفرد والمجتمع ، إذ ليس هناك شك فى أن للفرد دورا أساسيا فى صنع الواقع الاجتماعى وتغييره . غير أن المغالاة فيما يستطيع الفرد القيام به — سواء كان زعيما كاريزميا أو فردا عاديا فيها كثير من التعسف . فالإنسان الفرد — مهما كانت مكانته يتأثر بظروف المجتمع ويحتاج اليه ليعيش فيه . والقائد أو الزعيم — وإن كان يملك القدرة على الدفع والتوجيه إلا أنه لا يأتى بجديد كل الجدة ، ولا يخلق المجتمع أو الرأى العام ، وإنما يتأثر به ويتجاوب معه . ذلك أن المجتمع سابق على الفرد فى الوجود ، ويتعهد المجتمع بتربيته وتنمية ملكاته العقلية والفكرية ، ويعلمه لغة المجتمع ، ويلقنه عاداته وتقاليده التى قد ترجع إلى أجيال متعددة ، كما يكسبه ذوقه فى المأكل والمشرب . وبالاختصار يخلق المجتمع من هذا الطفل الخام فردا ذا كيان مستقل وشخصية تعتمد على نفسها ، وتتعاون مع الآخرين .

كذلك فان المجتمع يحتاج إلى الفرد ليستمر فى الوجود ، إذ أنه لا وجود للمجتمع دون الأفراد ، ثم إذا كان المجتمع هو الأساس فكيف نفسر ظهور القادة والشخصيات البارزة والأنبياء ، وهؤلاء يؤثرون فى سير الجماعة ، وقد تقلب نظامها رأسا على عقب .

ولهذا كانت المقابلة بين الفرد والمجتمع ، أو المناداة بسمو أحدهما على الآخر يقوم على فهم خاطىء ، وتعتبر من جانب واحد . وفى هذا تقول أ . د لندسى [١] . إن المذهب الفردى كفلسفة .... لابد بالضرورة أن ينهار ، وليس فى وسع إنسان أن يكون فرديا مطلقا ، كما أنه ليس فى وسع إنسان أن يكون اشتراكيا (جماعيا) مطلقا ، وذلك لأن كلا من الفرد والمجتمع يؤثر فى الآخر ، ويعتمد على الآخر ، وحتى الذين تطرفوا فى الفردية الدينية ، ورفعوا قيمة الشخصية الإنسانية ، فوق جميع النظم السائدة مضطرون للاعتراف بالدور الذى يلعبه المجتمع ، والنظم السائدة فى تنمية الفرد ، ودعمها » .

معنى اصطلاح المجتمع :

المجتمع هو الموضوع الأساسى فى علم الاجتماع ، حتى أن بعض علماء الاجتماع يعرفون علم الاجتماع بأنه علم « المجتمع » . فيدرسون المجتمع وشروط بقائه ، ويكشفون الستار عن انسيابه ، والتفرق ، والتغير ، وما يترتب على ذلك كله من نتائج على الأفراد ، وما يظهر على سلوكهم بسبب تفاعلهم المستمر .

واعتبر بعض المفكرين والفلاسفة أن كلمة مجتمع مرادفة لكلمة الإنسانية « Humanity » ، أو النوع الإنسانى Mankind ، كما فى قولنا « المجتمع الانسانى » . ونظرا لضخامة ميدان ما هو « إنسانى » ، وتعدد أطرافه ، وتعقد مسالكه ، فقد تخصصت علوم كثيرة فى جزء أو آخر طلبا لمزيد من

---

١ ــ ر م ماكيفر وشارلز هـ . بيج . المرجع السابق ص ١١٢

المعرفة . وفى علم الاجتماع ـ ماذا يعنى علماء الاجتماع بكلمة « المجتمع » ؟

اختلف علماء الاجتماع فى تعريف مصطلح « المجتمع » اختلافا كبيرا . واصطلاح المجتمع لا يقتصر على الآدميين ، فكم من مجتمعات حيوانية لها نظم اجتماعية ، ويوجد بينها ادراك متبادل قـــد يكون غامضا . ففى عالم الحشرات توجد مجتمعات النمل والنحل والزنابير ، كما توجد حياة اجتماعية واضحة المعالم بين الحيوانات العليا . وهى تقوم بوظائف متعددة متكاملة من أجل توفير الخير والسعادة العامة ، ويتوفر عندها تقسيم العمل ، ونسق من الاتصال ، وتبادل المصالح . فالقرود ـ مثلا ـ تتجول فى هيئة زمر لجمع الغذاء ، والاستقرار والذكور المراهقون من القردة المسماه babocns ـ مثلا ـ تتكتل للدفاع عن إقليمهم . وفى داخـــل الاقليم تقوم المنازعات والصراع . وتعيش طيور كثيرة على شواطىء البحار فى مستعمرات واسعة . وتتجمع فى أنواع معينة من الزنابير والجراد والفراش وتنام كل ليلة وتستيقظ فى الصباح حين تظهر الشمس بدفئها وتستفيد هذه الحيوانات والحشرات من هذه التجمعات ، فهى تتناسل ، ويتضمن هذا نوع من التفاعل الاجتماعى .

ومع ذلك فالتجمعات الحيوانية تختلف عن التجمعات الانسانية ، فهذه الأولى أقل درجة اجتماعيا من الثانية . فحياة المجتمعات الانسانية نماذج من التصرفات متفق عليها بين الأفراد ، بينما مجتمعات الحيوانات تسير على الفطرة والغريزة . ولهذا السبب فمجتمعات الحيوانات حياتهـا جامدة لا تتقدم ، بينما المجتمع الانسانى يتقدم ويتطور على مر الزمن بفضل نشاطه المبنى على تراثه المكتسب عبر التاريخ البشرى . كذلك فان السلوك الانسانى الاجتماعى يضبطه نسق من الأحكام الخلقية .

وفى علم الاجتماع يقصد بالمجتمع ذلك الذى يقوم على النوع الانسانى. وتفسير ذلك أن الانسان أينما وجد سواء فى حالة الوحشيه البدائية ، أوفى حالة التحضر لا يعيش فى عزلة ، فهناك جماعات من السكان الأصليين فى استراليا، ويطلق عليهم الانجليز اسم Black Fellcw ، وجماعات من البوشمـــان فى أفريقيا ، ومن الفوجيين فى طرف أمريكا الجنوبية ، وهؤلاء يعيشون أحط حالات البدائية ، وهم فى ترحال دائم ومستمر ، ولـكنهم مع ذلك يحيون حياة جمعية ، وتتكون جماعاتهم من أسر وعشائر . ولم يعثر علماء الانسان فى بحثهم على رجل عاش وحده ، وما يقوله بعض الفلاسفة والروائيين من أن الانسانية مرت بعصور عاشها الأفراد فى حالة من التفرد والتوحش ضرب من القصور والتخيل القصصى . فالأفراد إنما وجدوا فى الحياة الاجتماعية منذ نشأتهم الأولى . ذلك لأن الحياة الاجتماعية تنشأ تلقائيا من اجتماع الأفراد نظرا لانطواء الطبائع الانسانية على حب التجمع لتحقيق الغاية من الاجتماع الانسانى ، وهى حب البقـاء وضمان الحصول على مقومات الحياة مادية ومعنوية . فالانسان نشأ فى حياة اجتماعية أيا كان نطاقها ، وأيـــا كانت الأهداف التى يسعى اليها [1].

وليس المجتمع الانسانى مجرد حشد من الأفراد كيفما اتفق ، فمصطلح التجمع أو الحشد يشير إلى التجاور المكانى لبعض الأفراد دون أن يحدث بينهم تفاعل من نوع ما . ومثال ذلك من يقفون على ناحية الطريق فى انتظار تغيير إشارة المرور الحمراء . وقـــد يتحول التجمع إلى مجتمع عن طريق

---

١ ــ انظر د. السيد محمد بدوى . المجتمع والمشكلات الاجتماعية ص ٢٠
وانظر د مصطفى الخشاب . دراسة المجتمع ص ٥

التفاعل Interaction الذى يحـدث بين أولئك المتجاورين فى المكان مما يجعلهم يسلكون مسالك متعددة الصور والأشكال ويقومون بأعمال مختلفة، وقـد تكون لفترة وجيزة ، يحدث خلالها تنظيم اجتماعى على درجة معينة من الدقة والثبات (١).

وقد فسر بعض المفكرين من أنصار المدرسة النفسية المجتمع من وجهة النظر الفردية / النفسية . وظهر هذا فى كتابات « ولهلم فونت W. wundt (١٨٣٢ — ١٩٢٠) ، وجـبرائيـل تـارد G. Tard (١٨٤٣ — ١٩٠٤ م) .

اعتبر فونت المجتمع قـوة نفسية ، لأن الحالات النفسية فى نظره هى الدعامة التى ترتكز عليها مقومات الحياة الاجتماعيه . أما النظم الاجتماعية فهى ليست إلا أوضاعا تعبر عن رغبات وميول تتجاوب فى نفسية الجماعة، وهى صدى للحالات النفسية التى تتردد بين الأفراد .

وذهب جبرائيل تارد « إلى أن جميع أنواع السلوك إنمـا ترجع إلى الترديد والتكرار الذى يتخذ صور التقليد والمحاكاة . فالفرد يحاكى نفسه أولا ، ثم يحاكي الآخرين . والمحاكاة تبدأ فى المجال الفردى ، ثم تنتقل إلى المجال الاجتماعى . وأدخل تارد عنصرا نفسيا جديدا هو عنصر التجديد والابتـكار . فقد يتوصـل الفرد إلى فكـرة جـديدة ، ثم تنتقـل هـذه الفكرة من فرد إلى آخـر عن طريق التقليد الذى تنتشر عن

---

١ — أنظر د. غريب سيد أحمد . المدخل فى دراسة الجماعات الاجتماعية ص ص ١١ — ١٢ .

طريقـة الظواهـر والنظـم الاجتماعيـة الجـديدة التي يبتكرهـا الأفراد .

وفي ضوء هـذا التحليل السيكلوجي يمكن تفسير العادات والتقاليد وآداب السلوك وقوالب التفكير والعمل والأوضاع الاقتصادية والسياسية وما إليها، بأنها جميعا عبارة عن ابتكارات قام بها الأفراد ثم تناقلها الآخرون، ورسبت بعد ذلك في الحياة الاجتماعية بفضل الاتباع والمقلدين .

وقد أشار « ماكس فيبر » الى الدور الذى يحدثه الزعماء والموهوبون في تغيير الواقع الاجتماعي ، فاستخدم الكلمة اليونانيـة « كاريـزما Charisma » ، ومعناها القوة الخاصة التي تمنحها الطبيعة للصفوة المختارة للدلالة على هذا النوع من الزعماء الذين يقوم نفوذهم على اعتقاد عـام عند الناس بأن روحهم من روح الله ، وبأن مايؤدرنه من خدمات إنما تم بوحى من الله [1] .

أما « الوود Ellwood » فقد عرف الصلات بين الناس بأنها ذات طابع نفسى أو عقلي . وعرف المجتمع بأنه « أى جمـاعة من الأفـراد تجمعهم روابط نفسية ، ومعنى الصلات أو الروابط النفسية والعلاقات المتبادلة التي يتم عن طريقها تبادل المنفعة . والوحدة في المزاج والعقلية ، والتطلع إلى آمال مشتركة »[2].

---

١ ـ د عبد الباسط محمد حسن . علم الاجتماع . الكتاب الأول ـ المدخل ص ص ١٨٠ ـ ١٨٢

٢ ـ د. السيد محمد بدوى مدخل إلى علم الاجتماع ص ١٠٤

أما علماء الاجتماع فيعتبرون المجتمع إجتماعا منظما ينشأ تلقائيا ، وله نظمه وأوضاعه ، وله أغراضه العامة ، وقائم بصفة مباشرة . فالكائنات الاجتماعية أو الناس فطروا على أن يعبروا عن طبيعتهم بأن يخلقوا ، وأن يدأبوا على أن يخلقوا نظاما من شأنه أن يوجه سلوكهم ، وأن يضبطه بضوابط لا حصر لها . ووظيفة هذا النظام أن يطلق نشاط الناس ، وفى الوقت نفسه يحد منه . إنه يضع مقاييس للسلوك عليهم أن يتبعوها وأن يحافظوا عليها .

فها هو ماكيفر وبيج Maciver & Page فى كتابهما « المجتمع Society » يريان أن المجتمع عبارة عن نسق مكون من العرف المتنوع والإجراءات المرسومة ، ومن السلطة ، والمعونة المتبادلة ، ومن كثير من التجمعات والأقسام وشتى أوجه ضبط السلوك الإنسانى والحريات . ونحن نطلق على هذا النسق المعقد اسم « المجتمع » .

ويستبين من ذلك أن ماكيفر وبيج قد أبرزا بصفة خاصة القواعد التى تصب سلوك الناس فى قوالب محددة وقد تخليا عن فكرة إرتباط الثقافة بالمجتمع . لأنهما يعتقدان أن موضوع علم الإجتماع دراسة المجتمع ، وليس دراسة الثقافة . فاذا حدث وكان لا بد من التعرض للثقافة ، فان هذا التعرض يكون فى الحد الأدنى اللازم لتوضيح الحقيقة الاجتماعية موضوع الدراسة . (١)

وسار « ايوبانك Eubank » على نفس المنوال ، فقد عرف المجتمع

---

(١) د. محمد عاطف غيث . تطبيقات فى علم الإجتماع ص ص ٦ — ٧ .

بأنه « جماعة من الناس عاشوا معاً ، وعملوا مع بعضهم لفترة طويلة نسبياً تمكنهم من الوصول إلى درجة من التنظيم بحيث يعتبرون أنفسهم وحدة اجتماعية لها حدودها المعروفة » .

كذلك فعل « يانج » young و « ماك » Mack فقد عرفا المجتمع بأنه « أوسع تجمع للناس ، يشتركون فى مجموعة من العادات والأفكار والاتجاهات ، ويعيشون فى أرض محددة ، ويعتبرون أنفسهم وحدة اجتماعية » [1].

ويؤخذ على هذا التعريف أنه ليس بلازم أن تكون العلاقات الاجتماعية منظمة فمن العلاقات الاجتماعية ما تفتقر طريقها إلى التنظيم كالعلاقات الطبقية أو الطائفية .

ومن علماء الاجتماع من يرى أن كلمة « مجتمع » يجب أن تقتصر على المجموعة التى يجمع بينها وحدة ثقافية Cultural Group تميز مجتمعا عن مجتمع آخر . وما دام المجتمع هو اجتماع منظم أو وحدة ثقافية ، فمن الضرورى أن يدخل العقـــل والإرادة لتنظيمه وتقرير أوضاعه وفقاً لاتجاهات العقل الجمعى ، وما يرتضيه شعور الجماعة .

وفقاً لهذا ينطبق كلمة مجتمع بمعناها العلمي على الدولة والأمة ، وينطبق كذلك على كل الاجتماعات الإنسانية المستقرة المنظمة مثل اجتماع المدينة والقرية والقبيلة وما إليها . غير أننا نجد بجانب هذه المجتمعات الكبيرة المستقرة

(١) د. عبد الباسط محمد حسن : المرجع السابق ص ٢٢ .

طائفة لا حصر لها من التجمعات الإنسانية تتمثل فى إجتماع البائعين فى سوق تجارى ، اجتماع الأفراد فى سكة ، تجمهرهم فى حادث ، اجتماع طلاب الكلية فى المحاضرات ، اجتماع فرق الألعاب الرياضية ، اجتماع نقابات العمال، إجتماع الموظفين فى مصالحهم ... هذه كلها نماذج من التجمعات الإنسانية ، فهل يصح أن نطلق عليها جميعا اسم « مجتمع » ؟[1] .

وإتجه فريق آخر إلى تعريف المجتمع على أساس العلاقات التى تنشأ بين مجموعة من الأفراد يعيشون معا ، وتجمعوا فى هيئات أو اتحادات لها تركيب معين وبداخلها يتفاعل الأفراد ، وتقوم على الإدراك المتبادل . والإدراك المتبادل هنا هو الشرط النفسى الذى لا يتوفر فى العلاقة بين الكرسى المكتب. وهى علاقات أكثر تعقيدا من العلاقات الفيزيقية بين الأشياء . فاذا قلنا أن حجرة ما هى من نفس لون حجرة أخرى ، أو أن أ = ب فى اللون ، فليس هناك أبعد من هذه العلاقة . إن التشابه بين قطعتين من الحجر – مثلا – لا يظهر العواطف والميول. والأحجار المتشابهة لا تبحث عن مجموعة أخرى من الأحجار ، وهى لا تتعاون فيا بينها ، ولا تثق أى منها فى الأخرى ، أو تنادى الواحدة منها الأخـــرى ولا تخلق الأحجار رموزاً تشير إلى تقاربها . أما الإنسان فهو الكائن الوحيد القادر على خلق الرموز ، ويتمتع بالعواطف والميول وهذا هو علة وجود التضامن بين الأشخاص وافتقار الأحجار إلى التضامن . وإذا ما قلنا أن حجرة ما أكبر من حجرة أخرى،

---

(١) د. مصطفى الخشاب . علم الاجتماع ومدارسه – الكتاب الثانى – دعائم علم الاجتماع وحقائقه ص ص ٧٢ – ٧٣ .

فان هذا القول لا يحمل أكثر من هذا المعنى أما إذا قلنا أن شخصا ما أعظم من شخص آخر . فان هذا يشير إلى العديد من العلاقات ، إذ ربما يتمتع الشخص الأعظم بعاطفة كبيرة ، ومنزلة عالية ، بينما يعانى الشخص الآخر فى شعوره بالدونية ، ويشير الإختلاف بين الأعظم والأقل إلى رموز المكانة . وهكذا فعلاقة اللا مساواة فى المكانة بين الأشخاص أكثر تعقيداً من علاقة اللا مساواة بين الأحجار

هذا ويمكن تصنيف العلاقة بين شخصين إلى النماذج الأربعة الآتية : -

١ - علاقات تتضمن السمات الشخصية : العمر . الجنس ، القومية ، التعلـــيم

٢ - علاقات المكان . الاقتراب ، البعد ، أعلى ، أسفل ، أمام ، خلـــف

٣ - علاقات العواطف والشعور . الحب ، الكراهية ، السمو ، الدونية .

٤ - علاقات تتعلق بالسلوك : الزواج ، التحية ، الوقاحة (١)

وهذه العلاقات تتسم بتنظيم يمكن التعرف عليه مما يؤدى إلى استبعاد تلك العلاقات التى تفتقر إلى التنظيم أو لا تقبله

ومن العلماء من عرف المجتمع فى ضوء العمليات الاجتماعية كتآلف الأفراد وتعاونهم . وما يقوم بينهم من تنافس وصراع فها هو توماس

---

(١) د محمد عبد المنعم نور أسس العلاقات الإنسانية - دراسة أساسية فى العلوم الاجتماعية ص ١٤

اليوت Thomas Eliot يعرف المجتمع بأنه جماعة من الناس يتعاونون فيما بينهم لقضاء عدد من مصالحهم ، التي تشمل حفظ الذات ودوام النوع . وتشمل فكرة المجتمع على الاستمرار والعلاقات والارتباطات المعقدة والتركيب الذي يتضمن ممثلين عن الأنماط الإنسانية الرئيسية وعلى الأخص من الرجال والنساء والأطفال . ومن الطبيعي أن يتضمن عنصر الإقامة في إقليم محدد . (١)

واتجه فريق آخر من علماء الاجتماع إلى تعريف المجتمع في ضوء عدد من الخصائص . فالبعض يطلقها على مجموعة من الأفراد تربطهم رابطة ما ، لها أثر دائم أو مؤقت في حياتهم ، وفي علاقاتهم بعضهم ببعض ، فيقال مجتمع المسلمين ، ومجتمع العرب ، ومجتمع المدينة ، ومجتمع القرية ، ومجتمع المدرسة .

ويرى البعض أن المجتمع يقوم على أساس مبدأ الاكتفاء الذاتي الذي يتميز به عن غيره من الهيئات والجماعات . فها هو « مارشال جونز » يعرف المجتمع بأنه عبارة عن كل تجمع يستطيع أن يزود أفراده بكل إحتياجاتهم دون أن يستعين بغيره من التجمعات في الحصول على بعض الضروريات . ويرى جونز أن ناحية الاكتفاء الذاتي لاتتعارض مع إنشاء علاقات تجارية أو غير تجارية مع غيره من الحشود أو الجموع بقصد الترفيه أو الربح ، إلا أنه مع ذلك يجب أن يكون على استعداد دائما لأن يصبح عند الضرورة مكتفيا بذاته ، وأن يحقق كل ضرورياته عن طريق تنظيمه الداخلي ، وهذه صفة لاتتوافر لكل من الحشد والجمع (١)

أما كينجزلي دافز Kingsley Davis فيحدد هذه العناصر الاساسية لقيام المجتمعات : السكان ، والتخصص ، والتمايز الطبقي ، والوحدة أو التضامن ، وإستمرار النسق الاجتماعي.

---

(١) انظر د. عبد الحميد لطفي . علم الاجتماع ص ٤٥

ويرى بعض العلماء أن المجتمع هو أكبر جماعة إنسانية ينتمي اليها الفرد . وهو يشمل كل الجماعات الاجتماعية الفرعية التي ينظمها الناس . ويتكون من السكان ، والمكان ، والتنظيم ، والمصالح . ويشمل السكان الجنسين ، والأعمار المختلفة . ويقوم تنظيم الحياة على أساس تقسيم العمل بين الأفراد داخل الإقليم ، وعلى أساس دائم من الزمن . وفيه تنشأ المصالح المشتركة ، وتتحد كل المصالح العامة والخاصة بطريقة تجعل الحياة الاجتماعية مكتفية بذاتها بين الأفراد .

ومن الواضح أنه كلما سهل الاتصال بين أولئك الذين تربطهم مصالح مشتركة ،كان مسعاهم اليها أكثر فاعلية . ويعني هذا الاتصال أن سلوك الأفراد يتعدن أو يعدل سلوك الآخرين . وبمعنى آخر يؤثر أعضاء الجماعة أحدهم في الآخر . كما أنهم يستجيبون بعضهم لبعض . وهم جميعا يستجيبون لمؤثرات تأتيهم من خارج الجماعة . ومثل هذا التأثير المتبادل والاستجابة المتبادلة التي تتم بين الأفراد والجماعات يقال لها التفاعل الاجتماعي Social Interaction . ويترتب على ذلك ظهور بناء اجتماعي معقد يمد الأفراد والمجتمع بأسلوب المعيشة والحياة .

ومثل هذا التصور للمجتمع يشير إلى أي حجم له . فقد يكون صغيرا أو كبيرا . ولكن الاتجاه الحديث يميل إلى المجتمعات القومية المنظمة سياسيا ، ويتم الضبط فيها عن طريق الدولة القومية ، التي تحتكر الضبط لإقليم معين يقطن فيه سكان هذا المجتمع . فهي تطلق — مثلا — على المجتمع الأمريكي . وقبل بزوغ القومية كانت كلمة مجتمع تطلق على المجتمعات

الصغيرة ، فالقبيلة - مثلا - هى مجتمع وفى أفريقيا ، أصبحت المستعمرات كيانات قومية مستقلة ذات حدود سياسية [1]

وعلى ذلك يتميز المجتمع عن المجتمعات الأخرى كالجمهور ، والمسافرين على سفينة ، والمشاهدين لمباراة فى كرة القدم ، أو المقيمين فى معسكر من معسكرات الجيش .

ومما هو جدير بالذكر أن الأفراد الذين يكونون مجتمعا معينا ليسوا هم أنفسهم نفس أعضائه على الدوام ، ذلك أن عضوية المجتمع تتجدد بالمواليد الذين ينضمون اليه ، والمتوفين الذين يخرجون منه ، على أن استمرار المجتمع وهو الشيء الثابت فيه، وهو التراث الاجتماعى الذى قد يثبت ويطول لعدة أجيال وقرون .

وينبغى هنا أن نميز بين المجتمع بالمعنى الواسع ودون النظر إلى هيئة خاصة ، وبين مجتمع معين ذى خصائص معينة . فالمجتمع بالمعنى الأول شامل ليس له نهاية محدودة أو حدود معينة أما المجتمع بالمعنى الثانى فهو يتضمن التعريفات السابقة .

ونستخلص من ذلك أن المجتمع هو عدد من الجماعات ، أو مجموعة من الناس يقيمون فى منطقة جغرافية معينة ، ويعيشون معا تلقائيا لفترة دائمة نسبيا مما ينجم عنه تفاعل إجتماعى وعلاقات اجتماعية ينشأ عنها وجود جماعات ومنظمات ومؤسسات . وبحكم الجيرة والروابط الإنسانية أصبح لهؤلاء الأفراد وحدة ثقافية تتمثل فى العادات والتقاليد والأعراف والقانون،

---

1 James B. Mckee, op cit. p.p. 128 - 129

والآثار المادية المتبقية على مر الزمان ، أو التي تتعدل أو تختفي . وهي تميز مجتمعا عن مجتمع آخر وتكون ثقافة هذا المجتمع هي طريقة الحياة التي يسير عليها أعضاؤه . كما يتمخض عن هذه العلاقات المنظمة نظما اجتماعية كالنظام السياسي والاقتصادي والديني ، والتربوي، والأسري ، مثل القبيلة والقرية والمدينة .

مقومات المجتمع : ـ

١ — الإقليم المحدود :

لكل مجتمع إقليم خاص يرتبط به . ويشمل رقعة محددة من الأرض ، وتحيط به ظروف بيئية وجغرافية معينة تؤثر بطريق مباشر أو غير مباشر في الحياة الاجتماعية والثقافية ، وتطبعها بطابع مميز. وقد تنتقل بعض الجماعات البدوية من مكان لآخر . إلا أن ذلك يتم داخل إقليم محدد له أبعاده وحدوده الجغرافية

٢ — السكان : ـ

لابد لقيام المجتمع من وجود اعداد كبيرة من السكان. ويحصل المجتمع على أفراده عن طريق التكاثر والانجاب . وقد تحصل بعض المجتمعات على أعضاء جدد عن طريق الهجرة أو الغزو أو الاسترقاق ، غير أن التكاثر الجنسي داخل المجتمع يعتبر موردا أساسيا من موارد التجدد البشري . (١)

---

١) د. عبد الباسط محمد حسن . المرجع السابق ص ٢٨٦ —٢٨٧

٣ — من مقومات المجتمع القواعد والنظم الخاصة بالتبادل والمشاركة التى تسود فيه ، حيث أن لكل علاقة اجتماعية اعتباران هامان : ماهو قائم؟ وما ينبغى أن يكون . وتستقر اتجاهات شعور الفرد لما هو صواب وما هو خطأ من خلال ما يلقنه الآباء للابناء من قواعد ونظم ، والتى تعتبر أساس التمايز بين هذا المجتمع وذاك ؛ وتظهر هذه القواعد متكاملة فى المجتمعات الراقية وهى عبارة عن أربعة أنواع من النظم هى القواعد الأخلاقية ، والقواعد التشريعية ، والعرف ، والأذواق .

٤ — تتشابه المجتمعات فيما بينها ، كما تتنوع فى العديد من المظاهر العامة للمجتمع الانسانى . والمجتمع الواحد يقوم كذلك على فكرتى المشابهة والمخالفة . ويقصد بالمشابهة أن أفراد المجتمع يقوم على أولئك الذين يشبه بعضهم بعضا الى حد ما فى الجسم والعقل . والذين هم داخل نطاق جيره معينة . ولديهم إدراك متبادل لفكرة الانتماء للمجتمع . وكما يقوم المجتمع على المشابهة ، فانه يقوم كذلك على المخالفة ، إذ لو كان الناس كلهم متشابهين فى كل شىء لتضاءلت العلاقات الاجتماعية ، وقل الأخذ والعطاء ، ذلك أن من سمة المجتمع أن كل فرد فيه يسعى للحصول على شىء ما ، وإعطاء شىء آخر مقابل ما حصل عليه ، وتظهر صورة التباين والاختلاف حتى فى نطاق الأسرة ؛ ففيها تظهر الفروق البيولوجية بين الذكر والأنثى . كذلك فان هناك تباينا فى الكفاية والمصالح .

٥ — المكانة الاجتماعية :

تشير المكانة أو المركز الى وضع الفرد . أو الوضع الاجتماعى للجماعة . أو الوظيفة ، أو الدور التى يقوم به الفرد . ويعبر عن ذلك بالعلوية أو

السفلية . ويعتبر المركز الإجتماعى ضرورة لترتيب المراكز والمراتب . ويتحكم فى هذا الترتيب الاختلافات فى قدرات الأفراد . والقوة الفيزيقية ، والمهارة ،والنسق القرابى. والجماعات السلالية. والجنس، والثروة ، والمهنة، وكذلك الاختلافات فى الأدوار التى يقوم بها الأفراد فى التنظيمات الاجتماعيه كالجيش ورجال الدين . [1]

٦ — تقسيم العمل :

يعتبر تقسيم العمل من الأسس الجوهرية فى البناء الاجتماعى ، إذ من الواضح أنه لا يستطيع أى فرد بذاته أن يكون لديه اكتفاء ذاتى . فالأفراد فى المجتمع الواحد يعتمد كل منهم على الآخر فى تبادل السلع والخدمات . وأبسط صورة لتقسيم العمل وتنظيم العمل السلوك هو بين الآباء والأبناء فى نطاق العائلة . وبالرغم من وجود تقسيم العمل ، إلا أنه لا بد من وجود نوع من التكامل داخل المجتمع الواحد . [2]

٧ — السيطرة والجماعة :

ويشمل الأول كل أنواع الاخضاع — أى استخدام الافراد على غير إرادتهم بوصفهم وسائل الغايات . وتفسير ذلك أن كل علاقة اجتماعية تتضمن قدرا من الصراع بين الأشخاص ، فطالما وجد شخصان وجها لوجه ، يستسلم أحدهما الاخر . ويتمثل ذلك فى العلاقات بين الأصدقاء ، وغير الأصدقاء ، حيث ينتصر فرد وينهزم الآخر .

---

1 — Roger Brown, Sccial Psychology, P. 55

2 — John W. Bennett & Melvin Tumin, Social life, P. 157

أما المبدأ الثاني ، وهو الجماعة ، فيشتمل على كل صور التعـاون ، ويكون الأفراد المساهمون فيه غايات ووسائل بعضهم لبعض . وإذا جاز لنا أن نستخدم تعبيرا مجازيا ، قلنا أن مختلف أشكال التنظيم الجماعي كما تبدو خلال التاريخ ، هي نتيجة لصراع ما بين هذين المبدأين ، يزيده تعقيدا ذلك الاتساع الدائم لنطاق التنظيم ودقته ، فالجماعات البسيطة تمثل مبدأ الجماعة ، أو التبادل على نطاق ضيق . فاذا انتقلنا منهـا إلى جماعات أكثر تعقدا من الوجهة الاقتصادية ، فسوف نجد مجموعات أكبر ، وصورا جديدة للتركيب الاجتماعي تقوم جنبا إلى جنب مع الصور المبنية على القرابة والجوار . وإذا انتقلنا من الصيادين إلى الرعاة والزراع وجدنا أمثلة أكثر للحكومة المنظمة ، سواء في الجماعات الأولية البسيطة ، وفي الجماعات القبلية الكبرى . بل نجد في العالم البدائي ذاته تنظيمات على نطاق يمكن مقارنته بما يوجد في عهود المدنية . (١)

وظائف المجتمع : —

يعتبر المجتمع وسيلة لقيام الثقافة ووجودها واستمرارها ، كذلك فانه يمد الانسان بالحماية والراحة والغذاء والتربية .

ويتدخل المجتمع في مضمون أفكار الفرد المنتمي اليه . وفي أخلاقه وآماله ، بل وفي كثير من أمراض عقله وجسمه .

ولا عجب إذا رأينا في الحبس الانفرادي أشد أنواع العذاب بالنسبة للانسان لأنه يحول دون إشباع حاجاته الأساسية .

١ — موريس جنزبرج . علم الاجتماع ص ٥٧ .

العوامل المؤثرة فى حياة الفرد والمجتمع

أولا : العوامل الفيزيقية Physical

يقصد بالعوامل الفيزيقية كل مايتعلق بالمنطقه التى يشغلها أفراد المجتمع من حيث التكوين والموقع وسطح الأرض . وما فى باطنها من مصادر للثروة الطبيعية ، وتوزيع الأرض ، والمياه ، والجبال ، والسهول ، والمواد المعدنية ، وجميع القوى الكونية والجاذبيه والكهربية والإشعاعية التى تعمل فوق الأرض ، وكذلك المناخ السائد فى الإقليم الذى تشغله الجماعة من حرارة وبرودة وأمطاروجفاف . وقد لعبت هذه العوامل جميعها دورا أساسيا فى حياة الأفراد . وكذلك المجتمعات منذ فجر قيامها ، وشكلتها إلى حد ما وفقا لمقتضياتها لاسيا فى العصور الحديثة .

إن أنشطة وحياة المجتمعات تختلف باختلاف الظروف البيئية الطبيعية . ويحدث هذا حتى المجتمعات غير الانسانية . إذ تتوقف الحياة الاجتماعية للنمل خلال فصل الشتاء القارس ، وتنشط خلال فصل الربيع الدافىء . ويمثل هذا المثال ثبات عامل الوراثة ، وتغير عامل البيئة . كما تتأثر قدرات التركيب العضوى للانسان وصفاته بالبيئة العامة التى تكتنفها . وليتخيل القارىء مثلا أننا نقلنا فجأة إلى كوكب أكبر حجما من كوكبنا ، فان أجسامنا سوف يزداد وزنها فى الحال . وهذه الواقعة وحدها سيترتب عليها تغيرات أخرى كثيرة لاحصر لها فى حياتنا . وأول ماسيقابلنا أننا سوف لانعرف أنفسنا ، بمعنى أننا سنظل أغرابا فى نظرنا . وإذا أفترضنا أننا نستطيع الحياة فى هذا الكوكب الجديد فما لاشك فيه أننا سنمارس الحياة

كأشخاص آخرين ، وان يكون فى وسعنا إدراك الحياة إلا فى بيئة ملائمة تسمح بذلك ، أو بعبارة أخرى بيئة معدة للحياة الاجتماعية . وعلى ذلك فالحياة والبيئة أمران متلازمان ، حيث تتكاثر الجماعات الانسانية وتتكاثف — مثلا — فى وديان الأنهار ، بسبب خصوبة الارض ، وبالتالى سهولة الحصول على المواد الغذائية .

ولقد كانت وديان الانهار منذ الازمنه السحيقة ، كوادى النيل والفرات مهداً للحضارات والإنسانية. ثم إن النهر بفروعه يحدد عادة المنطقة الطبيعية التى تسكنها الجماعة ، وهو يستخدم كطريق للرحلات المائية ، فهو عامل إتصال بين أجزاء الجماعة ، وبين الجماعة وغيرها من الجماعات . فالجماعات التى تعيش على ضفتى نهر تتحد . تتآلف غالبا ، لتجانس الظروف الطبيعية ، وبالتالى لتجانس العقلية .

وكل إختلاف فى البيئة يعنى إختلاف فى العادات وفى أسلوب الحياة ، إذ تتأثر الجماعة بالبيئة الطبيعية التى تعيش فيها . فمثلا إكتسب أفراد الجماعة الذين يعيشون فى وسط طبيعى معين متكيفاً مع هذا الوسط بحيث لا يستطيع سكان منطقة أخرى أن يعيشوا فيه ، ومهما كانت الظروف المحيطة بالإنسان ، صحراء قاحلة ، أو وديانا سهله ، أو جبالا شاهقة ، فان هناك تكيفا يحدث بين الإنسان والبيئة . فالفرد من سكان أوزاركس أوجبال كنتوكي يفكر ويشعر بطريقة تختلف عن تلك التى يفكر أو يشعر بها النيويوركي . والفرق بين الاثنين فى كل من الحالتين يرجع بكيفية ما إلى البيئة التى يعيش فيها كل من الشخصين .

وتؤكد المشاهدة العامة أن الناس يختلفون فى القرية عنه فى المدينة ، وفى حالة احترافهم الزراعة عنه فى حالة احترافهم الصناعة . وحيث السهول توجد الزراعة ، وحيث المروج توجد المراعى ، وحيث المناجم توجـــد الصناعة . كما تختلف حياة سكان الجبال عن حياة سكان السهول والوديان. فالجبال تؤدى إلى تواجد الجماعات الإنسانية فى نطاق ضيق ، ولاتوجد إلا نسبة ضئيلة جدا من الجماعات الإنسانية تعيش على ارتفاع ٥٠٠٠ قدم أو أكثر من سطح البحر ، ومعظم الجماعات تسكن على ارتفاع يتراوح بين ١٠٠ ـ ١٠٠٠ قدم . والجماعات الجبلية تمتاز بأنها محافظة ، وأفرادها عادة قصار النظر ، ويعيشون فى عالم محدود . وهم يمتازون بالشجاعة والكرم والتمسك بالعصبية ، وبالقوة والصبر ومتانة الأعصاب .

كذلك تختلف حياة سكان المناطق الحارة عن حياة سكان المناطق الباردة ويمتاز سكان المناطق الساحلية بالنشاط والاقدام والرغبة فى الاحتكاك بالغرباء ، كما يمتازون بسعة الأفق ، ومن الواضح أن الأثرياء يعيشون فى بيئة تختلف عن بيئة الفقراء ، وأن بيئة الطوائف الملونة فى المدن الأمريكية تختلف عن ذوى اللون الأبيض ، وبيئة أصحاب المهن الكبيرة شيء غير بيئة الصناع .

وتختلف الجماعات التى تسكن مناطق طبيعية واسعة عن تلك التى تسكن مناطق ضيقة ، فالجماعات التى تسكن مناطق ضيقة تمتاز بأن الصلة بين أفرادها قوية شديدة ، كما يمتاز أفرادها بقصر التفكير (الهنود المكسيكيون). أما الجماعات التى تسكن مناطق واسعة فحظها من الثروات الطبيعية أكثر ، ثم إن حجم المساحة قد يكون حائلا دون التدخل الاستعمارى ، فنابليون وهتلر فشلا فى غزو روسيا ذات المساحة الكبيرة . كذلك فان كبر حجم

المساحة يؤدى إلى احتكاك الجماعة بشعوب وجماعات أخرى مما يزيد فى أفق تفكير أفرادها . كذلك لوحظ أن أفراد هـذه الجماعة فى الغالب ذو نزعة فردية Incivicualisn .

وتفصل الحواجز الطبيعية المناطق بعضها عن بعض . فالمناطق الصحراوية تعتبر حواجز طبيعية تحول دون نمو الجماعات الانسانية . وفى هذه المناطق من النادر أن تظهر المدن الكبرى . ونجد السكان متخلخلين ، كما نجـــد المعيشة غير المستقرة ، والثروة التى تقوم أغلبها على أموال منقولة أو غـير ثابتة كقطعان الماشية والأغنام ، ويصعب إقامة تنظيم إجتماعى على نطاق واسع . والظروف الصحراوية المناسبة تخلق أفرادا ذوي شجاعة نادرة . كذلك تعتبر المحيطات حواجز طبيعية بالنسبة للأمم البدائية ، كما تعتبر حائلا للغزوات الخارجية.

وتؤثر البيئه كذلك فى مختلف نواحى العمران والنظم ، فى النظم الأسرية ، وفى مستويات الصحة ، وفى القدرة على التفكير والإبداع الفنى ، وفى ألوان التسلية والهوايات وأنواع الرياضة (١).

ويتأثر المجتمع كذلك بموقع المنطقة التى تشغلها Locaticn ووضعها Pcsiticn . وهذان العاملان يمثلان أهم العوامل التى تؤثر فى مدى اتصال إقليم بآخر ، كما تتحكم فى أمنه الداخلى . كذلك فانها تؤثر فى النشاط الاقتصادى ، وبالتالى فى النشاط الاجتماعى . فموقع مصر بين الشرق والغرب له أثر فى تاريخها السياسى والحضارى والثقافى ، ووجود هولنده عند مصب

---

١ — رم. ماكيفر وشارلز هـ. بيج . المرجع السابق ص ١٥٤

الرين ، وعلى شاطىء المحيط ساعد تلك الدول على أن تصبح فى يوم ما سيدة البحار ، ووجود انجلترا فى جزيرة منفصلة عند القارة الأوربية جعلها بمنأى عن كثير من الغزوات والهجرات .

والموقع عادة ثابت ؛ أما الوضع فهو متغير . والوضع عباره عن المسافة الزمنية بين إقليم وآخر وما يتطلبه من نفقات فى قطعها . فوضع القاهرة بالنسبة لباريس قد تغير الآن ، إذ أصبحت المسافة بينها لاتستغرق أكثر من عدة ساعات وبوسائل مريحه ، ولاشك أن تغيير الوضع يؤثر فى العلاقات الاقتصادية والثقافية بين المجتمعات المختلفة [1].

أما المناخ ،فقد اتفق العلماء منذزمن بعيد على حقيقة مؤداها أن هناك علاقه بين المجتمع ولأفراد وبين الظروف الفيزيقية والمناخية التى يعيشون فيها . فها هو أرسطو Aristotle وصف سكان أوربا الشمالية بأنهم نشطون ، لكن ينقصهم الذكاء والمهارة؛ وذلك بسبب المناخ البارد . أما سكان آسيا فهم أذكياء قادرون على الاختراع والابتكار ، ولكنهم أقل حركة ، ومن ثم ظهرت العبودية .

وظهر مونتسكيو فى القرن الثامن عشر ، وأكد أن الذين يعيشون فى مناخ بارد يتسمون بالشجاعة ، ونشاط الجسم والعقل ، بينما تقلل درجة الحرارة المرتفعة من الشجاعة [2].

وقدم الجغرافى الأمريكى هنتنجتون (١٨٧٦ – ١٩٤٧) أفضل برهان

---

١ ـ حسن شحاته سعفان . أسس علم الاجتماع ص ٧١

2 — A-W Green, Sociology, An Analysis of Life in Modern Society, P.8.

على دور المناخ في نمو الحضارات العظيمة . وأكد أن المناخ الأكثر ملاءمة لنشاط الانسان يتطلب اعتدال درجة الحرارة ، وأيضا بسقوط كمية عادية من الأمطار ، وهبوب رياح متوسطة باستمرار [1].

ولاشك أن المناخ يحدد إمكان معيشة الجماعات في منطقة دون غيرها . ذلك أن للحياة الانسانية نوعا خاصا من المناخ ، لأن الحرارة والرطوبة وسقوط الأمطار من أهم العوامل التي تحدد دائرة النشاط البشرى . كما أنه يحدد نوع النبات وقيمة ومقدار المحصول . كذلك بأن نوع غذاء الانسان يحدده ما ينمو في المنطقة من نباتات . كما يحدد المناخ نوع الحيوان الذي يعيش ، جمل ، لاما ، حصان ، بقرة . كذلك فانه يحدد نوع الملابس وثقلها وشكل المسكن ، وباختصار يحدد الأنماط الاجتماعية .

وتحدد الظروف المناخية تيارات الهجرة البشرية من وإلى المناطق المختلفة ، كما أنها تؤدى إلى صراع عنيف بين الرجل والطبيعة ، حتى يهيىء إلى حد ما الظروف التي يستطيع أن يعيش في كنفها .

وتؤثر الظروف المناخية على نفسية الجماعة ونشاطها ، كما تشكل إلى حد كبير أمزجة الناس ، فسكان المناطق الباردة معروفون ببعد النظر والتفكير ، ويمتازون بالصبر والجلد والقدرة على النضال ، ومصارعة الظروف ، ويغلب عليهم برود الطبع وبلادة العاطفة . أما سكان المناطق المعتدلة ، فيمتازون باعتدال الأمزجة والرزانة وبعد النظر والقدرة على كبت الانفعالات .

---

١ ـ ماكليلا ند/ دافيد . مجتمع الانجاز ـ الدوافع الانسانية للتنمية الاقتصادية . ترجمة د عبد الهادى الجوهرى ود. محمد سعيد فرح ص ٢١ .

بينما سكان المناطق الحارة معروفون بأنهم اندفاعيون ، عاطفيون، خياليون. تسيطر عليهم عدم القدرة على ضبط النفس . وهم ذو مزاج مبسوط ، ويميلون إلى الطرب والتفكه والرقص ، وتسيطر عليهم قوة الاندماج .

وقد نوه بعض العلماء إلى العلاقة بين المناخ وبين الجريمة والانتحار ، والجنون ، وقوة الجسم . والعقل . وغير ذلك .

ومع ذلك فان المناخ وحده لايستطيع أن يفسر لنا أسباب نمو الحضارة فى مكان ما أسرع من مكان آخر فى نفس المنطقة المناخية من العالم . فمثلا تقع بولنده وبريطانيا فى منطقة المناخ الذى يدفع الانسان إلى بذل مزيد من النشاط ، إلا أن متوسط دخل الفرد فى بريطانيا يعادل سبعة أو ثمانية أمثال متوسط داخل الفرد فى بولنده [١].

---

١ ـ ما كليلاند / دافيد . المرجع السابق . ص ٢١

ثانيا : العوامل الوراثية والبيولوجية

يوعز بعض العلماء الفوارق بين المجتمعات إلى وحدة الجنس وهم يذهبون إلى أن هناك قدرات واستعدادات نفسية وذهنية وصفات جسمية وحيوية تخص كل جنس على حدة . وعليه فهى تلعب دورا هاما فى التطور الاجتماعى والحضارى ، وذات تأثير كبير على حياة الفرد والمجتمع .

ويعنى علماء الانثروبولوجيا بالجنس جماعة من الناس يشتركون خلال حدود معينة من التنوع فى مجموعة من الخصائص والسمات والملامح الفيزيقية الموروثة ، وذات دوام نسبى رغم ما يطرأ على البيئة من تغيرات ، وهى لها دور فى تحديد مستوى الذكاء ، وتكفى لتميز جنس عن جنس آخر ، وتفسر تفسيرا صحيحا الاختلاف فى خصائص الأفراد والمجتمعات ، وهذا يعنى أن الفوارق بين أجناس البشر هى فوارق أصيلة ، وملازمة لتلك الأجناس ، وليست نتاجا ثقافيا .

وأهم السمات التى استخدمها علماء الانثروبولوجيا فى تصنيفاتهم :

١ — لون الشعر وكذلك شكله الذى يقسم إلى مسترسل ، وناعم ومموج ، أو مجعد ، ومفلفل أو أكرت .

٢ — اللون : ويشتمل على لون الشعر والعين والبشرة .

٣ — شكل الرأس : وخاصة نسبة عرض الجمجمة ، أو الرأس إلى طولها .

٤ — القامة والأبعاد الجسمية .

٥ — بعض خصائص الوجه ، كشكل الأنف وشكل الشفتين ،

وشكل الجفون .

وترجع هذه النظرية إلى العصور القديمة ، وتستمد مقوماتها من التقاليد القديمة التى كانت تؤيد فكرة التميز أو التفوق العنصرى . فقد ميز أرسطو بين اليونان وغيرهم من الشعوب . واعتبر اليونان أحرارا ورثتهم الطبيعة قوة العقل والجسد . أما غيرهم فحظهم من العقل قليل .

وانتقلت هذه الفكرة إلى الرومان فقد إعتبروا انفسهم الشعب المختار الذى يجب أن يحكم العالم بأسره . ولعل هذه الفكرة هى التى أدت بهم إلى إستعمار العالم الخارجى وتكوين امبراطورية واسعة النطاق .

هذا ويعتبر الألمان المحدثون أبلغ المدافعين عن نظرية الجنس وأقوى الداعين إلى التفوق العنصرى فقد ذهبوا إلى أن العنصر الجرمانى هو الجنس الممتاز ، والشعب الألمانى هو شعب الله المختار . وهو الذى أنشأ الحضارة الأوربية . وذهب بعضهم إلى أن مصير الحضارة منوط بمحافظة الجرمان على نقاوة عنصرهم .[1]

ومن الطريف أن أحد العلماء ويدعى مارتن Martin أعد قائمة أوضح فيها أقيسة حجم الجمجمة فى مختلف الأجناس ، وكان متوسط حجم الجمجمة فى الجماعات الأوربية ١٤٥٠ سم³ للذكور ، ١٢٥٠ سم³ للاناث . أما شعوب آسيا والجماعات الأقيانوسية فى المحيط الهادى والأمريكيون ، والقبائل الاسترالية فقد بلغ حجم جماجم أفرادها ١٣٧٠ سم³ فى الذكور و ١٠٨٠ سم³ للاناث ، أما قبائل الاندمان فتبلغ ٢٨١ سم³ ، ١١٤٨ سم³

---

١ — د مصطفى الخشاب . المرجع السابق ص ص ١١٩ — ١٢٠

بينما حجم الجمجمة عند أرقى الكائنات الحيوانية (النسناس أو الغوريلا) لا يتجاوز ٥٠٠ سم^٣. (١)

وصف دنكر Deniker الأجناس إلى ذوى الشعر الصوفى كالبوشمان وذوى الشعر الجعد كالاستراليين ، والشعر المستقيم كالاندونيسيين ، وذوى الشعر الأشقر كالأوربيين . وصنف هادون الأجناس على أساس شكل الجمجمة ، ولون الشعر ، وطول القامة ، حيث هناك أجناس طويلة الرأس كالاستراليين وشعوب البحر المتوسط ، وأخرى متوسطة كالنوردميين فى شمال أوربا ، وثالثة عريضة الرأس كشعوب أوربا وآسيا . واستخدم هوتون Hooten لون الشعر ولون العين . (٢)

وقام جريجور ميندال Gregor Mendale بدراسات عن الوراثة بين القردة الاسترالية ، وكذلك على نبات البسلة وتعرف على الأسباب التى تؤدى إلى التشابهات والاختلافات بين السلالات . وخلص إلى نتيجة مؤداها أن ما ينطبق على القردة والبسلة فيما يتعلق بالوراثة ينطبق على الانسان .

وقد أرجع ميندال هذه التشابهات والاختلافات إلى الكروموسومات والتى توجد فى مجموعات مزدوجة فى أجسام النبات والحيوان والإنسان . (٣)

---

١ ـ موريس جنزرج . المرجع السابق ص ص ٧٦ — ٧٧

٢ ـ د. قبارى محمد اسماعيل الانثروبولوجيا الاجتماعية ص ١٤٣

3 – J. K. Brierly, Biclogy and Sccial Crisis. P.P. 3-4

وأثار فرنسيس هذا الموضوع فى كتابه « العبقرية الوراثية » وحاول أن يظهر أنه بينما يبدو أن ظهور العبقرية خاضع للحظ ، فان هناك إحتمالا كبيرا فى أن يكون الأطفال الموهوبون أبناء لآبائهم ، هم أنفسهم ذو درجة عالية من الذكاء . أما كارل بيرنسون ، فقد استخلص نتيجة دراسته أن تأثير البيئة أقل بكثير من تأثير الوراثة فى تحديد الفروق الانسانية الهامة . وخلص إلى رأى مؤداه أنه بالنسبة للأفراد الذين ينتمون إلى جنس بشري واحد داخل مجتمع ما ، تلعب الوراثة دورا أهم سبع مرات من الدور الذى تلعبه البيئة .

وخلص هؤلاء العلماء إلى أن الجنس الابيض يعرف بالذكاء والحيوية والجنس الأصفر بالعمل والكفاح . أما الجنس الأسود فيعرف بالجمود والعاطفة . ومن ثم فان العامل الأساسى فى التقدم أو التأخر الاجتماعى هو الجنس . بمعنى أن الجنس السامى (الراقي) قادر على التقدم ، أما الجنس الخسيس (المنحط) فلا ينتظر منه ذلك ، وأن الحضارة والثقافة وليدة الأجناس السامية .

واشتغل باحثون آخرون على مجموعات طبقية أو مهنية . ووضح من هذه الدراسات أن الأسر المالكة تنتج نسبة أعلى من العباقرة ، وأن أسر رجال الدين فى الولايات المتحدة تنجب أكبر نسبة من الممتازين ، ويتبعها بالترتيب أصحاب المهن الأخرى ، فرجال الأعمال ، فالمزارعون فالعمال ، وأن رجال العلم الامريكيين يبرزون أكبر عدد منهم من طبقات المهن ، كما أن أقلهم يجيئون من طبقة الزراع وهكذا .[1]

---

١ – ر. م. ماكيفر وشارلز بيج . المرجع السابق . ص ٢٦٦

وقد وجهت اعتراضات كثيرة إلى هذه الأفكار . فالفروق العنصرية أو الجنسية لا تؤدى بالضرورة إلى فروق سيكلوجية ، فلون الجلد — مثلا — وحجم الجمجمة ، وشكل الأنف لا صلة له إطلاقا بدرجة الذكاء أو مستوى الثقافة ، أو حالة النضج الانفعالى ، أو حتى القدرة على التعبير أو التجريد . بل وحتى لو وجدت فروق فطرية بين الشعوب ، فلا جدال فى أنها ستفرق عن طريق البيئة .

والحق أن الشعوب تختلف فى العوامل الفيزيقية الحيوية ولكن ليس هناك دليل قاطع على مدى تأثير هذه العوامل على حياة المجتمعات ، بل إننا قد نجد اختلافات بين الافراد فى المجتمع الواحد أعلى منها فى الفروق بين الشعوب . ومن ثم فمن الصعب أن نعزو الاختلافات بين البشر إلى عامل الوراثة ، إذ هى ترجع إلى الوراثة والبيئة معا ، فلون الشعر ، وحجم الجمجمة ، وشكل الانف ترجع إلى الوراثة والبيئة معا حيث يرتبط لون البشره بمدى أثر أشعة الشمس على « المادة الملونة » الموجودة تحت سطح الجلد . والدليل على ذلك الابحاث التى قام بها كولبرجيه فى هذا المضمار ، وانتهى إلى أنه لا توجد أشكال من المخ يختص بها أى جنس معين ، وأن وجود فروق بين الاجناس المختلفة فى درجة هذه الاشكال هو أمر غير محتمل .

ولوحظ أن ظروف البيئة تعتبر من العوامل الاساسية فى تحديد مستوى الذكاء ففى اختبار ألفا للجيش الامريكى ، سجل الزنوج درجة ذكائية أعلى حين تفوقوا على زملائهم البيض . وفى إختبارات ذكائية أخرى تبين ارتفاع متوسطات الذكاء بين الزنوج الشماليين عن البيض الجنوبيين

الذين يعيشون فى ظروف بيئية سيئة نسبية .

ولقد تبين لعلماء الانثروبولوجيا أنه لا انفراد لجنس من الاجناس بالمجد والسمو ، فتلك نزعة استعمارية تدعي أن شعوب أوربا ذو عقلية ناضجة ومستوى ذكاء عال بخلاف الشعوب الافريقية والآسيوية فان عقليتها أقل مستوى ، ومن ثم يحل لشعوب أوربا أن تستعمر شعوب أفريقيا وآسيا لتعمل على رقيها وتقدمها .

هذا وليس هناك جنس نقي خالص ، فالأجناس تختلط وتمتزج ملامحها بين البشر ، ولا يوجد على الارض الانسان المنعزل الذى لا يختلط ولا يلتحم بسائر الأجناس الاخرى . فقد وجد فى الكهف الأعلى فى شوكوتين Chukutien فى الصين الشمالية ثلاث جماجم لها نفس العمر على وجه التقريب ، فالجمجمة الاولى تشبه جمجمة صينى شمالى من السكان الحاليين ، والثانية تشبه جماجم سكان ماليزيا ، والثالثة تشبه جماجم الاسكيمو ، مما يؤكد أن تكون كل هذه الاجناس قد اتصلت منذ عهد بعيد فانتشرت واختلطت الامر الذى يؤكد خرافة الجنس النقى . [1]

أما البلاد التي ركنت إلى العزلة وتجنبت الاختلاط فقد أصابها التأخر والجمود ، وأخذت فى الهرم والانحلال مهما كانت الاصول الاثنولوجية التي ينتمى اليها . فبلاد اسكندناوه لم تشهد حضارة عريقة كالتى ازدهرت فى الشرق (حضارة مصر وبابل والصين القديمة) ، على أنها تنتمى إلى الجنس الآرى الذى يعتبر أرقى الاجناس فى عرف الفلسفة الالمانية .

---

١ ـ د. قبارى محمد اسماعيل . المرجع السابق ص ١٥٨

ثالثاً : العوامل السكانية :

يقصد بالعوامل السكانية إزدياد عدد السكان أو نقصانهم وتوزيعهم على المكان ، ويؤثر فى ذلك عوامل ثلاث هى : معدل المواليد ، ومعدل الوفيات ، والهجرة .

ولا شك أن العوامل السكانية تلعب دورا هاما فى حياة الفرد والمجتمع . فاكتظاظ السكان فى منطقة ما يؤدى إلى كثرة الاتصال بين الأفراد واحتكاكهم بعضهم ببعض وهذا يهيء السبيل إلى ظهور التخصص فى العمل . غير أنه إذا زاد حجم السكان زيادة كبيرة ، فان هذا يؤدى إلى كوارث للجنس البشرى ، وإلى قيام الحروب ، وحدوث المجاعات ، وإستنفاد المصادر الطبيعية ، وإنهيار الحضارات . أما إذا قل السكان فى المجتمع وتناثروا هنا وهناك فان من شأن هذا الحال أن يؤدى بهم إلى الروح الفردية Individualism ، وإعتماد كل على نفسه . ولقد كان الناشيون والنازيون يشجعون النسل لأغراض عسكرية ، على حين أن البلاد التى يزداد فيها نسبة المواليد (مصر) تعالج هذا عن طريق تحديد النسل .

ثم أن هناك تقسيما فى العمل بين الرجل والمرأة ، فالمجتمع يعتمد على الرجل فى شئون الحرب والصيد والشرطة ، وعلى النساء فى أمور الحضانة والتمريض والزراعة ورعاية الأطفال . وزيادة عدد الذكور فى مجتمع زيادة كبيرة تؤثر فى النظم الاجتماعية . ففى أوائل هذه القرن زاد عدد

الذكور على الإناث فى بلدان ألمانيا ، وقد أدى إلى أن كانت البنت هى التى تدعو الشاب إلى الرقص ، بل وترقص مع عدة شبان فى آن واحد ، فأصبحت الخطبة تأتى إلى الشباب من جانب الفتاة . وهكذا فان إنقلاب المعايير الإجتماعية إنما يأتى نتيجة لعامل سكانى .

وفى أوربا وبعد الحرب العالمية الأولى ذهبت الحرب فى كثير من الدول بعدد كبير من الشباب والرجال ، ولم يبق إلا الشيوخ والأطفال والنساء ، ففكر كثير من العلماء فى إدخال نظام تعدد الزوجات . ولكن حال دون تنفيذ ذلك الدور الذى قامت به الكنيسة الكاثوليكية .

ويغير المجتمع معاييره الاجتماعية إذا زادت نسبة الشيوخ عن الشباب وبالعكس ، فاذا طغى عنصر الشباب كان المجتمع شابا غنيا سريع التخلص من المعايير القديمة . وبالعكس إذا طغى نسبة الشيوخ على الشباب كان المجتمع محافظا قليل التغير .

ومن المسائل السكانية التى لها تأثير كبير على نظام المجتمع والنماذج الاجتماعية الهجرات migraticns ، سواء فى ذلك الهجرات إلى داخل المجتمع in.migraticn أو إلى خارجه emigraticn . فالمجتمع المهاجر إليه يجد نفسه أمام مختلف من الجماعات لكل منها ثقافة فيحدث نضال بين الثقافات يؤدى إلى تكوين وحدة ثقافية متماسكة .

رابعا : العوامل الثقافية : —

يصعب أحيانا أن تفرق بين ما هو ثقافي وما هـو إجتماعي ، ذلك أنه إذا كانت الحاجات الاجتماعية والانسانية يمكن أن تفسر تفسيراً اجتماعيا ، فان طرق اشباعها تأتي عن طريق العناصر الثقافية . وهذا ما دعى عدد من الانثروبولوجيين إلى تعريف الثقافة بأنها مجمل التراث الاجتماعي للبشرية .

ويختلف عامل الثقافة عن عامل الوراثة وعامل البيئة . وقد أدرك علماء الاجتماع علاقة العناصر الثقافية بالفرد والمجتمع ، وعلاقة الثقافة بالشخصية . وفي هذا يقول كنجزلي دافز (١) : لو أن هناك عاملا واحدا لتفسير تفرد الانسان ، وتفرد مجتمعه الانساني وتميزه ، فلا شك أن هذا العامل هو الثقافة . فذكاء الانسان ، وحديثه ، ولغته ، كلها أمور تحكمها الثقافة التي تقوم بتجسيد التفكير والسلوك من خلال التفاعل الاجتماعي القائم على الاتصال بين مكونات المجتمع .. ويذهب دافز إلى أن الثقافة لا تكسب الانسان تفرده وتميزه فحسب . بل إنها تميز المجتمع الذي يعيش فيه عن غيره من المجتمعات .

وتتغير الثقافة باستمرار ، وأي تغيير في عنصر من عناصر الثقافة نتيجة للاختراعات الحديثة يؤدي إلى تغييرات في العلاقات الاجتماعية وسلوك الأفراد . فما من زائر للولايات المتحدة الأمريكية في عصرنا الحالي إلا ويشاهد ثقافة تختلف إختلافا كبيراً عن تلك التي شاهدها في عصر مضى .

وإذا كانت الثقافة تختلف في المجتمع الواحد من عصر إلى عصر ، فانها

---

(١) د عبد الباسط محمد حسن . المرجع السابق . ص ٢٨٧

كذلك تختلف من مجتمع إلى مجتمع في زمن معين . فهناك مجتمعات ذات أنماط بدائية كثقافة قرية من قرى الهند يستخدم فلاحوها عربات تجرها الثيران ، ومحاريث خشبية ، كما يستخدمون روث البقر وقودا ، وهناك مجتمعات ذات أنماط ثقافية معقدة كثقافة سكان بومباى الذين يستخدمون الكهرباء وأجهزة الراديو ، ويقيمون الجامعات والمكتبات، وينشئون المبانى، ويعبدون الطرق والشوارع .

وتؤثر الأنماط الثقافية فى شخصية أفراد الجماعة بحيث يتباين سلوك أفراد جماعة عن جماعة أخرى على الرغم من تشابه الاستعدادات الفطرية فى الكائن الانسانى . فالشخص الذى عاش فى جماعه تسودها الافكار السحرية ويقوم أفرادها بطقوس سحرية تنشأ شخصيته متأثرة بذلك ، والشخص الذى عاش فى جماعة تسودها الروح العسكرية تتأثر شخصيته بتلك الروح، والشخص الاسكندناوى أو الهولندى لا يختلف كثيرا عن الشخص الألمانى فى طبيعته العدوانية الموروثة ، غير أن سلوكه يختلف عن هذا الآخر نظرا لانعدام الروح العسكرية ، والفرد التركي يختلف عن الفرد المصرى ، وتعود هذه الاختلافات إلى إختلاف الثقافة التركية عن الثقافة المصرية ، وأهل الزونى فى الجنوب الغربى من الولايات المتحدة يمتازون بالوداعة والهدوء والميل للتآلف ، بينما أهل الكواكتيل Kwakiutle فى الشمال الغربى منها يتصفون بنزعتهم الفردية والميل إلى التنافس . أما قبائل دوبو Dobu بالقرب من غينيا الجديدة فمشهورون بالتشكك والتشاجر والمنازعات . ويعرف أهل الكومانش بحب العمل والشجاعة والديموقراطية.

وتلاحظ كذلك اختلاف نظرة القروى أو البدوى لقيمة الوقت عن

الشخص الذى يعيش فى مدينة . بل إن هذا الشخص البدوى أو القروى يدرك قيمة الوقت حين تتغير أحوال معيشته ، وبلتحق بالعمل فى إحدى الصناعات ، كما حدث فعــلا لبدو المملكة العربية السعودية أو ليبيا حين التحقوا بشركات ، وأصبحت حياتهم تسير وفقاً لنظام جديد ، لم يكن له وجود فى حياة الرعى .

وهذه المشاهدات إن دلت على شىء فإنما تدل على نسبية ما يعرف انحرافا أو شاذا أو غير سوى . فما يعتبر كذلك فى مجتمع ما قد يعتبر سويا فى مجتمع آخر فالاتصال الجنسى قبل الزواج ظاهرة شائعة فى كل المجتمعات المعروفة ، ولكن الثقافات المختلفــة تقف منها مواقف مختلفة تتفاوت بين الإباحة التى قد تقف إلى حد التشجيع من ناحية . والاستنكار أو توقيع العقوبات الشديدة من ناحية أخرى . والجنسية المثلية homosexuality قد تعتبر ظاهرة سوية فى مجتمع ، ولا تعتبر كذلك فى مجتمع آخر ، وقد تعتبر غير سويه فى مجتمع ، وتعتبر سوية لمن يمارسونها . (١)

ولاحظ علماء الاجتماع كذلك أنه إذا هاجر شخص من مجتمع ذو ثقافة معينة إلى مجتمع ذو ثقافة متباينة ، فان هذا الشخص إما يستطيع أن يكيف نفسه بالانماط الثقافية والاجتماعية فى المجتمع الجديد acculuration ، وإما أن يكون متأثراً تأثراً كبيرا بأنماط ثقافة مجتمعه الذى نشأ وترعرع فيه ، ولايستطيع أن يكيف نفسه مع الانماط الثقافية والاجتماعيةالجديدة، ويقع فريسة للأمراض النفسية والعصبية .

وهكذا فان تفاعلات الطفل وتصرفاته لا تعود إلى الغريزة كما هى حال المجتمعات الحيوانية ، وإنما تعود إلى ما تعلمه الطفل على يد أبويه ،فقواعد السلوك قائمة فى المجتمع قبل ولادته ، والعادات والقوانين واللغة والنظم جزء من التراث الثقافى الاجتماعى ، وهى تشكل حياة الانسان .

---

(١) د أحمد أبو زيد .البناء الاجتماعى ـ الجزء الاول ـ المفهومات ص٢٢٧

تطور المجتمعات الانسانية

يميل الإنسان منذ أن ظهر على وجه الأرض إلى التجمع بأفراد نوعه . وقد عبر أرسطو عن ذلك بعبارته الشهيرة التي يقول فيها : الإنسان حيوان سياسي ـ اجتماعي . وكان هذا التجمع يتم بطريقة تلقائيه ، ودون وعى أو قصد . وظهرت بذلك أبسط أشكال التجمع ، وهى التي تميزت بمجموعة من الناس قريبين من بعضهم البعض في مساحة معينة .

وتعتبر العشيرة أبسط وأقدم التجمعات الإنسانية . وتعرف العشيرة بأنها جماعة ذات طبيعة سياسية واجتماعية . وهى تتكون من عدد من الاسر الذين هربوا من الجفاف ، وذلك قبل أن يصلوا إلى مواطنهم الجديدة . ويتبين من الاساطير أنهم واجهوا أخطار الفيضانات . وتعيش هذه الاسر في شكل مجموعات صغيرة ، مابين أربعة وعشرين وثمانين شخصا ، من أفراد تربط بينهم علاقات وثيقة . وينشأ التماسك بينها من اعتقاد افرادها أنهم جميعا ينتمون إلى توتم واحد . ويتعاون أفراد العشيرة من أجل أغراض الدفاع المشترك أو أداء الطقوس الدينية وهم يتصلون بجماعات أخرى متشابهة من التي تتكلم لهجات متشابهة يتزاوجون معهم . وتتباين القواعد التي تنظم العلاقات الجنسية من عشيرة إلى أخرى تباينا هائلا ، غير أن تأثيرها بوجه عام يتجه إلى منع أعضاء جماعة معينة من الزواج بأى عضو آخر فيها . فعلى الرجل أن يبحث عن شريكته في مجموعة أو فئة أخرى ، ولا جدال في أن هذا يؤدى إلى قمع أى ميل إلى العزلة العائلية ، يكون قد طاف بأذهانهم.[1]

---

(١) انظر رستون كولبورن . وديان النهر من أصل المجتمعات المتحضرة ص ٨٢

وتعيش هذه العشائر أســـاسا على البيئة الطبيعية ، وما تجود به على الإنسان ، إذ كان الانسان الأول يحصل من قطف الثمار وجذور النباتات والقواقع والحشرات على مايحتاج إليه فى غذائه النباتى . كما كان يزاول صيد الحيوانات والاسماك . وهذا ولم يكن لديه من الآلات اللازمة للصيد أو الجمع سوى بعض ماتجود به الطبيعه عليه من فروع الاشجار ، وقرون الحيوانات ، وقطع الأحجار .

وفى هذه المرحلة كان هناك نوع من تقسيم العمل بين والنساء، فقد كان الرجال يتركون زوجاتهم فى الكهوف ويذهبون باحثين عن حيوان يصطادونه بينما كان النساء يقـومون بقطف الثمـار ويتميز هذا الشكل الاقتصادي بالاكتفاء الذاتى ، إذ لم تكن هذه المجتمعات تعرف البيع والشراء ، كما كانت طرق المواصلات لاتسمح بذلك ، كذلك لم تعرف أسس التبادل كالنقود ، ولكن عرفت فيما بعد مايسمى بتبادل الهدايا . ولم تكن هناك ملكية خاصة لادوات الانتاج ، إذ كان الهيكل الاقتصادى قائما على أساس الملكية الجماعيه — أى مشاعا بين أفراد الجماعة كلها

وعلينا أن نلتمس للحياة السياسية أصلا فى هذه الدائرة من الاســـر المتزاوجة ، فالمشاعر العائلية رغم أنها تقوم على الجنس والوالدية ، تشتمل على غير هذه الميول الاجتماعية ، وبخاصة تلك التى تتعلق بالدفاع والرزق مما يؤدى الى الخروج عن نطاق الاسرة الضيقة ، ويستلزم وجود رئيس للعشيرة ، يشرف على شئونها . ويكون هذا الرئيس أكبر أفرادها سنا ، وأكثرهم تجربة وأعرفهم بمسالك البيئة ويقوم رئيس العشرة بمهمة حفظ

الأمن بين أفراد معشره ، وفض المنازعات ، غير أن سطوته لا يمكن تحديد مداها ، وهى تتوقف على درجة استغلاله هو شخصيا لها .

والصورة التالية للتجمعات الانسانية تتمثل فى القبيلة وهى تتكون من عدد من العشائر ، وتكون الارض بوجه عام ملكا مشاعا . وقد تكون ملكية الارض مشتركة بين القبيلة والعشيرة ، أو بين العشيرة والأسرة . ويقسم المحصول بينها تبعا للعرف ، وإن كانت القسمة غير متساوية . ومع ذلك فان الملكية لا تصل إلى الصورة الفردية الخالصة للارض .

أما الملكية الفردية فتوجد بالنسبة إلى الاشياء الخاصة كالملبس والاسلحة والاكواخ وأدوات العمل .

ولا يوجد فى القبيلة نظام الحكومة بالمعنى المعروف ، ولكن يعترف بحقوق وواجبات يحددها العرف . وتتركز السلطة فى يد رئيس القبيلة ، وهو أكبر سنا ، وأكثر أفرادها تجربة . ويتمتع بسلطات أوسع من تلك التى يتمتع بها رئيس العشيرة . ويحق لرئيس القبيلة أن يقبل فى مجتمعة من يشاء من أفراد العشائر المجاورة ، وفرض سلطانه عليهم . وقد يختار رئيس القبيلة مجلسا من رؤساء العشائر يعاونه فى أداء مهامه ، وذلك كما فى قبائل الهنود الحمر فى أمريكا الشمالية .

أما القبائل المتقدمة بعض الشيء ، فينتشر فيها النظام الملكى . وتتركز السلطة فى يد الملك الذى لم يعد يحتاج إلى رؤساء العشائر أو مجلس القبيلة لإعادة انتخابه أو لانتخاب أحد من أبنائه . وتعتقد بعض القبائل أن الملك من نسل الآلهة ، ويقومون بتقديسه .

ومنذ استطاع الانسان أن ينتج أكثر مما يزيد عن حاجاته الضرورية حتى ظهر فائض فى الانتاج ، وأصبحت هناك ملكية خاصة المنتجات الزراعية انتقلت إلى ملكية الانسان للحيوان ، ثم إلى ملكية الإنسان للانسان . ومن هنا ظهر النظام العبودى . وانقسم المجتمع إلى طبقة الأشراف وأصحاب الارض ، وطبقة العبيد أو الرقيق وطبقة صغيرة من العمال . وكان هذا النظام يقوم على العبودية ، فمالك الارض يملك وسائل الانتاج والمنتجين أو العبيد .

وفى العصور الوسطى ـ أى فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر شاع النظام الاقطاعى . ويتكون المجتمع الاقطاعى من مجموعة من القرى الصغيرة المشتركة والتى تنظم فيها الحياة بطريقة تقليدية ، ولهذا تظل ثابتة نسبيا ، ولا تتغير لعدة قرون متتالية . ويتمثل ذلك النظام فى منح ملاك الاراضى عبيدهم بعض مساحات شاسعة من الاراضى ليزرعونها لحسابهم مقابل أجر معين . كما يتمثل فى اقتطاع مساحات شاسعة من الاراضى ومنحها للفرسان ورجال الدين .

وكان الفلاحون هم العنصر الاساسى للمجتمع فى العصور الوسطى ، وهم لايملكون الارض ، ولم يحظوا بأية رعاية . وكان للاشراف سلطات وحقوق غير محدودة بالنسبة للفلاحين ، إذ كان لهم حق محاكمتهم وسجنهم وقتلهم ، وقمع أى ثورة يقومون بها ، وكان الاشراف يقدمون للملك جزءا بسيطا من ريع الارض ، كما كانوا يقدمون له الجنود المدربين لمساعدته على صد أى عدوان خارجى أو مساعدته فى التوسع الاستعمارى . [1]

---

١) أنظر د. سناء الخولى . مدخل إلى علم الاجتماع ص ١٦١

وفى ظل النظام الاقطاعى نمت قوى الانتاج ، وأدخل نظام الدورة الزراعيه ، وانتشر استخدام طرق تخصيب الأرض . وقد ساعد ذلك على ظهور الكثير من المدن التى يرسل اليها فائض الانتاج الزراعى لاطعام سكانها الذين لا يعملون بالزراعة . وكانت أول مدينتين كبيرتين هما روما واستامبول حيث تكونتا فى القرن الحادى عشر بعدد من السكان بلغ المليون فى كل منها . ويلاحظ أن المدينة فى المجتمع الاقطاعى تعتبر مركزا حضريا تتركز فيه الصفوة Elite الحضرية الصغيرة . (١)

ثم ظهر المجتمع الحديث Mocern . وفى هذا المجتمع تفقد الجماعة القرابية كثيرا من وظائفها ، كما نضعف أهميتها ، كما تتناقص التزامات الفرد القرابية الى حد كبير . وفى المجتمع الحديث يقوم تقسيم واسعا ومركبا ومعقدا للعمل ، لأن النمو التكنولوجي خلق نوعيات متباينة من الأعمال التى تتطلب مهارات متعددة ، وهو الأمر الذى وسع مجالات التخصص .

الاتجاهات النظرية فى تفسير طبيعة المجتمعات :

تعددت النظريات فى تفسير نشأة المجتمعات . وأهم هذه النظريات :

١ ـ نظرية التعاقد الاجتماعى Social Contract

٢ ـ الاتجاه التاريخى .

٣ ـ النظرية النفسية .

٤ ـ نظرية الكائن العضوى .

٥ ـ نظرية التفاعل الاجتماعى .

---

١) انظر د. صلاح العبد وآخرين : مبادىء علم الاجتماع ـ دراسات نظرية وتطبيقية فى تنمية وتحديث المجتمعات النامية ص ١٢١

نظرية التعاقد الاجتماعي :

فى بداية القرن السادس عشر، وعندما أخذت الدول القومية فى النشأة والتكوين قامت نظريات تناقش فلسفة الدولة ، وتفسر أصل الاجتماع الانسانى وتطوره وغاياته وتقوم هذه النظرية إجمالا على أن المجتمع الانسانى قد مر بمرحلة كان يعيش فيها بلا نظام ولاقانون . ولما سئم الأفراد هذه الحالة كونوا مجتمعا عن طريق الارادة والتعاقد لانشاء حياة اجتماعية منظمة، فاتفقوا على تعيين حاكم ، يتنازلون جميعا له عن جزء من حريتهم ويرتضون النظام الذى يضعه ، وهذا الاتفاق الذى سيتم بينهم – فيما ظنوا – يعمل على إحلال النظام محل الفوضى ، والأمن والسكينة محل الاضطراب [١].

ويعتبر توماس هوبز Thomas Hobbes من أشهر من تناول هـــذه النظرية . ومن أهم كتبه كتابه البحث فى نظام المدينـــة « De Cive » و « التنين Leviathan » . ويرى هوبز أن المجتمعات قبل أن تصل إلى مرحلة الحياة الاجتماعية ، وقبل وجود الدولة مرت بمرحلة كانت تعيش فيها على الطبيعة the State of Nature . فكانت مرحلة لانطاق ، تتسم بالوحشية ، ويحددها قانون الغابة ، كانت حالة حرب جميع الناس ضد جميع الناس . وإن حربا كهذه تحول دون صناعة أوتجارة أو زراعة أو فلاحة ، ودون العلم والأدب والرفاهية ، ودون الحياة كلهـا ، ويرجع ذلك إلى الافتقار إلى وجود قوة عليا (الدولة) توجه المجتمع وتقيم المعايير [٢].

---

١ — أنظر د. محمد طه بدوى . أصول علم السياسة ص ٢٥٩

2 – See Paul Site, Control and Constraint, An Introduction to Sociology, P.P. 287 - 288

ولما سئم الناس حالة الحرب المستمرة ، فكروا فى أن يبرموا معا عقدا ، ويسلموا طواعية كافة حقوقهم الطبيعية إلى شخص منهم يحكمهم ويكون لهم رئيسا . ومن هنا نشأت فكرة المجتمع أو الدولة ، وأقيمت الحكومات لوضع الرقابة وتحقيق العدالة .

واعتنق جون لوك john Lock (١٦٣٢ — ١٧٠٤م) نظرية العقد الاجتماعى ، وبدأ من نفس الخط الذى ابتدأ منه هوبز كمرحلة سابقة على المجتمع المدنى . إلا أنه يختلف عنه فى وصفه لحالة الطبيعة . ففى رأيه لم تكن بحال ما حالة حرب واضطراب ، كما لم تكن مرحلة سابقة على المرحلة الاجتماعية ، بل كانت مرحلة سابقة على الحالة السياسية Prepclitical ، إذ يتيح القانون الطبيعى الفطري للجميع حالة من الحرية والمساواة واحترام الفرد لمصالح الآخرين .

إلا أن حالة الطبيعية هذه كان ينقصها القوانين التى تنشأ معبرة من الرغبة العامة ، والقضاة الذين لايتحيزون ، وسلطة تتمتع باكراه قادرة على أن تضمن تنفيذ الأحكام . ولتحقيق ذلك فضل الإنسان الانتقال من حالة الطبيعية إلى حالة الجماعة . وتم ذلك بفعل إرادى ، فصنع الناس العقد الاجتماعى . وهو تعاقد طرفاه الشعب من جهة ، والحكومة أو الملك من جهة أخرى ، وليس طرفاه واحدا — كما ذهب إلى ذلك هوبز .

ويختلف جان جاك روسو jean jacque Rousseau (١٧١٢ م) عن هوبز فى تصوره لحالة الطبيعية ، إذ يرى روسو أن حالة الطبيعية يسودها الخير والسعادة والفضيلة والمساواة . ولم تنشأ الحاجة إلى تغيير حالة الطبيعية إلا من الاحتكاك بالآخرين . وكان عصر اكتشاف المعادن والزراعة هو

العصر المميز لهذه الفترة. فقد تبع هذه الظاهرة حيازة الأراضى، والتهافت على تقسيمها، وظهور اللامساواة بين الناس، وقيام المشاكل على الحدود. وبمجرد أن أحس الأغنياء بلذة السيطرة، لم يتوانوا فى احتقار كل من يقع عليه نظرهم، واستخدموا العبيد فى اخضاع غيرهم، وأقاموا حكومة تتمتع بقوانين تصون الحياة والملكية.

وأضاف روسو إلى هذا السبب الذى أسهم فى تحول الإنسان إلى حياة المجتمع، عوامل طبيعية مثل البرد القارس، والقيظ المحرق، والجدب، فقد اضطرت هذه المؤثرات الإنسان الأول إلى التعاون مع بنى جنسه فى الصيد براً وبحرا، والتآزر لتوفير الغذاء.

والعقد الاجتماعى عند روسو هو الذى ينهى عن الفطرة، ويعمل على إنشاء المجتمع لتقام الدولة، وذلك بأن يتنزل كل فرد عن نفسه وعن حقوقه إلى سلطان حاكم — كما أكد هوبز — إلا أن هذا السلطان الحاكم ليس إنسان، ولكنه إرادة عامة مجردة، إنها المجتمع كله.

ونعترض على نظرية العقد الاجتماعى، فقد قامت على أسس لاتتفق مع طبيعة الحقائق الاجتماعية، لأن المجتمع الانسانى، وما ينطوى عليه من نظم سياسية وقضائية ودينية وأخلاقية لا يمكن أن يكون نتيجة عقد إرادى، فالمجتمع الانسانى نشأ تلقائيا منذ نشأة الحياة الانسانية، وقطع منذ فجر التاريخ تاريخا يتمثل فى التراث الاجتماعى والقواعد والنظم التى ورثناها عن الاجداد والأسلاف.

إن القول بأن الانسان الأول كان يعيش عيشة فطرية متفردا ومتوحشا لايعرف أهله وذويه، ولايعرف نظاما أو قانونا أو دينا قول مردود،

لأن الانسان كأن اجتماعى منذ نشأته الأولى ، وليس من الممكن تصور الانسان بعيدا عن الأسرة ، فالطبيعة هى التى تدفــع الانسان إلى حالة الاجتماع ، وبذلك لايعتبر المجتمع مركبا صناعيا من عمل الافراد ، ولكن من عمل الطبيعة .

الاتجاه التاريخى / التطورى : —

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن السير الرتيب للانسانية لايمكن أن يتم اعتباطا أو خاضعا للأهواء الفردية أو المصادفات ، ولكنه وليد تطور حياة الإنسان من الكهف إلى القرية إلى المدينة ، ويقع فى مراحل متعاقبة ينظمها قانون واحد يجمع فى كلماته القصيرة كل تاريخ الإنسانية .

ومن أنصار هذا الاتجاه سان سيمون Ccunt Henri de Saint Simon (١٧٦٠ — ١٨٢٥) ، فقد تفحص الظروف الأخلاقية والسياسية فى العصور الوسطى ، وقارنها بالظروف الاجتماعية فى بداية القرن التاسع عشر ، ووصل إلى نتيجة مؤداها أن العناصر العسكرية واللاهوتية تسود المجتمع الأول ، بينما سادت الحياة الاجتماعية فى المجتمع التالى بالعناصر العلمية والصناعية . وهكذا مرت القيادة السياسية بمراحل تطورية .

وحيث أن القوى المسيطرة فى المجتمع الثانى هى ميدان الصناعة والعلم ، فرأى أن قادة الصناعة والعلم عليهم أن يعيدوا تنظيم الدولة ويوجهوها حتى يقيموا نظاما اجتماعيا أفضل.

وآمن لويس هنرى موروجان Morgan بوجود مراحل محددة للتطور يمر بها الناس فى كل مكان . وميز بين ثلاث مراحل أساسية من التطور الثقافى ،

الوحشية والبربرية والمدنية . وتنقسم كل منها إلى ثلاث مراحل . وتتولد كل مرحلة من هذه المراحل بواسطة اختراع تكنولوجي عظيم . فالمرحلة الثانية من الوحشية تترتب على اختراع فن إشعال النار ، وظهرت المرحلة الثالثة نتيجة لاختراع القوس والسهم وبدأت البربرية بالتوصل إلى صناعة الفخار ، أما المرحلة الثانية منها فقد نتجت عن استئناس الحيوانات ، وبدأت المرحلة الثالثة بتشكيل الحديد وتحويله . وترتبط كل من هذه المراحل التكنولوجية بتطور متميز في الدين والأسرة والتنظيم السياسي والملكية .

الاتجاه النفسي :

لجأ كثير من علماء الاجتماع خاصة في أمريكا إلى تفسير المجتمع في ضوء علم النفس الاجتماعي . ويرتبط هذا الاتجاه بالتركيز على الذات واتجاهات الفرد وعواطفه ودوره في الفعل الاجتماعي ، وبمعنى آخر كيف يفسر الفرد المجتمع ؟ وفي ضوء هذا فإن المجتمع ليس له وجود فيزيقي ، وإنما هو حصيلة جمع عدد من الأفراد ، يلعب فيه الفرد دورا ، ويؤثر هو على سلوكه .

ومن العلماء الذين أخذوا بهذا الاتجاه جابريل تارد Gabriel Tard (١٨٣٤ — ١٩٠٤) : وتتركز نظريته حول عملية المحاكاة . وهي تتمخض عن ثلاث عمليات هي : التكرار Repetiticn ، والتعارض Oppcsiticn ، والتوافق Aception . فكل ضروب التشابه ترجع إلى التكرار ، ذلك أن كل الظواهر الاجتماعية إما ترجع إلى العلاقة بين شخصين ، يمارس أحدهما تأثيرا عقليا على الآخر ، بل إن المجتمع يأخذ في الظهور حينما يتجه الفرد نحو جعل سلوكه على نمط سلوك الآخرين .

وقد يصادف الفرد عند المحاكاة نوعا من المعارضة وعدم التأييد لكل ما هو جديد ، ويتجلى التعارض فى حالات الحرب، وعند المنافسة، والمجادلات اللفظية . ويعقب التعارض حدوث التوافق ، أى إكتشاف توازن جديد ، ومظهره الأساسى قانون المجتمع .

ونعترض على تلك المدرسة لأنها ترجع الظواهر الاجتماعية إلى ظواهر نفسية فردية ، وهى من صنع الأفراد ، وأن المجتمع ليس له وجود ، والموجود أفراده . والحق أنه قد تحدث فى المجتمع أمور لا يصح أن ننسبها إلى أفراد معينين ، وذلك لأنها تنشأ من علاقات الأفراد فى حالة الاجتماع ، وتبادل أفكارهم ، وإحتكاك مشاعرهم ، وتوحد مواقفهم . هذا بالاضافة إلى ما يحيط بهم من ظروف طبيعية وبيئية وتاريخية تصهرهم جميعا فى بوتقة جمعية . وتؤدى إلى قيام عقل جديد للجماعة .وهذا العقل مستقل عن الأفراد ، وله منطق خاص ، ومظاهر سلوك تختلف عن مظاهر السلوك الفردى .

النظـــرية البيولوجية :

ينظر هذا الإتجاه إلى المجتمع كنسق بيولوجى ، أو كائن عضوى أكبر ، يشبه فى تركيبه ووظائفه وفى وحدة أجزائه جسم الإنسان . ويعتقد أنصار هذه المدرسة مماثلة بين المجتمع والكائن الحى ، فكما أن جسم الإنسان يتكون من أعضاء ، ولكل عضو وظيفة ، فكذلك المجتمع يتكون من عناصر ، ولكل عنصر وظيفة يؤديها . فخلايا المجتمع هم الأفراد ، وأعضاؤه ونسقه هى الروابط والنظم السائدة . ويبالغ بعض الكتاب

حيثما يعينون فى المجتمع الأجزاء التى تقابل المخ والرئتين والأطراف فى الكائن العضوى .

ويرى أصحاب هذه المدرسة أن المجتمع يسير وفق القوانين التى تسير عليها الظواهر البيولوجية من حيث النمـــو والنضوج والاضمحلال . فالمجتمع يخضع فى نموه لقانون الأدوار الثلاثة : دور الطفولة ، دور الرجولة ، دور الشيخوخة . ويخضع كذلك لقوانين الوراثة . كما يخضع لمبدأ التنازع من أجل البقاء . وقد أيد هذه النظرية الفيلسوف الانجليزى هربرت سبنسر .

والواقع أن هذا الرأي يسىء إلى فردية الكائن الاجتماعى ، إذ من المضلل أن نقول اننا ننتمى إلى المجتمع كما تنتمى أوراق الشجر إلى أشجارها أو الخلايا إلى الجسم . والحقيقة أن معنى المجتمع لينكمش ما لم يكن أفراده حقائق واقعة (١) .

نظرية التفاعل الاجتماعى : —

وتقوم هذه النظرية على أساس تفاعلات العلاقات بين الأفراد . فقد أدى النمو المتزايد فى هذا التفاعل وسرعة تطوره إلى قيام الحياة الاجتماعية المستقرة . ومن أنصار هذا الاتجاه الينور Elincr G. Barber ، فقد ذكر أنه يمكن النظر إلى المجتمع بطرق ثلاثة على الأقل : النظر إلى البناء Structure — أى إلى الأنماط الدائمة والثابتة نسبيا للتفاعل الاجتماعى

---

(١) رم ماكيفر شارلز بيج . المرجع السابق . ص ٦٣

والثقافي الذي يتكون منها ذلك البناء . ثانيا : النظــــر إلى الارتباطات الوظيفية الأخرى . ثالثا : النظر إلى العمليات Processes الاجتماعية — أي أنماط السلوك التي تتضمن الثبات أو التغير النسبي داخل بعض الأبنية الاجتماعيــة .

الثقــافة Culture : —

من اللازم أن نتناول ماهية الثقافة بعد أن تناولنا ماهية المجتمع ، وإن كان من الصعب التنويه إلى ذلك فالمجتمع والثقافة مظهران لشيء واحد ، والفصل بينهما يعد فصلا تعسفيا ، فإذا كانت الحاجات الإنسانية الأساسية يمكن تفسيرها تفسيرا إجتماعيا ، فإن طرق إشباعها تأتي عن طريق الثقافة . كما أننا لا نستطيع أن نغفل أثر التغير الثقافي خاصة بعد ظهور الاختراعات على العلاقات الاجتماعية ، وما ترتب على ذلك من وضع قواعد ونظم جديدة للسلوك الاجتماعي . ولهذا فإن عالم الاجتماع لا يستطيع أن يهمل الثقافة حين يقوم بدراسة الحياة الاجتماعية .

ولكن — ما هي الثقافة ؟

قد نصف شخصا ما أنه مثقف إذا كان مهذبا ، يتكلم اللغة الفصحى ، ويتجنب إستخدام اللغة العامية ، ويتذوق موسيقى الأوبرا ، ويتقيد بآداب المائدة ، فيأكل مستخدما الشوكة والسكين . وهو في ثقافته هذه يختلف عن شخص آخر لا يتوفر فيه هذه الصفات . وهكذا نجد أنفسنا أمام معنيين للثقافة معنى عام ، ومعنى سسيولوجي . (١)

---

(1) Paul B. Horton Z chester L. Hunt, Sociology p·p· 46-47

وقد كثرت تعريفات علماء الاجتماع لمصطلح الثقافة Culture ، وهو المأخوذة عن الأصل الألماني Kulture . فعالم الاجتماع دي روبرتي E. V. De Roberty يعرف الثقافة بأنها حصيلة الفكر في المجالين النظري والعملي على السواء ، وعلى ذلك تعتبر خاصة من خواص الإنسان مميزة عن غيره من الكائنات .

وعرف جراهام والاس Graham Wallas الثقافة بأنها تراكم الأفكار والقيم والأشياء ، أي أنها التراث الاجتماعي الذي يكتسبه الناس من الأجيال السابقة عن طريق التعلم . وعلى ذلك فهي تتميز عن التراث البيولوجي الذي ينتقل إلينا عن طريق الجينات أو المورثات .

ويذكر هوبل Hoebel أن عامل السلوك المتعلم يعتبر ركنا هاما في تعريف الثقافة وأن من الضروري أن نبعد كل ما هو غريزي أو فطري ، وكل صور السلوك الموروثة بيولوجيا من مفهوم الثقافة . ولذا فالثقافة في نظره هي حصيلة الابتكار الاجتماعي ، وبذلك يمكن اعتبارها بمثابة التراث الاجتماعي الذي ينتقل من جيل إلى آخر عن طريق التعلم والتلقين .

أما الاستاذان ماكيفر وبيج فهما يستخدمان كلمة ثقافة للدلالة على كل ما صنعه أي شعب من الشعوب أو أوجده لنفسه من مصنوعات يدوية ومحرمات ونظم اجتماعية وأدوات ومعامل وأسلوب للتقليد ، وباختصار كل ما صنعه الإنسان أينما وجد ... وإذن فكلمة ثقافة ... تعني مجمل التراث الاجتماعي

والثقافة بهذا المعنى هي كل ما ينتجه الانسان ويبتكره ، وهي ذلك

الجزء من الكون الذى هو من صنع الانسان ، فالمعتقدات ، والافكار ، والمواقف ، والتنظيم الدينى ، والاجتماعى والاقتصادى والثقافة المادية والعلم والتكنولوجيا كلها أجزاء فى شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية .

ويرى ادوارد تايلور Edward Tylcr (١٨٧١) أن الثقافة أو الحضارة هى ذلك الكل المركب الذى يشمل المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعرف وكل المقدرات والعادات الاخرى التى يكتسبها الانسان من حيث هو عضو فى مجتمع » . ويقرر تايلور أن الثقافة هى كل ما يتعلمه الانسان ويكتسبه اجتماعيا ويشارك فيه مع كل أعضاء المجتمع . إنها الوسائل التى يتكيف بها الانسان مع بيئته . وهى وسيلة فى تنمية المهارات والمعرفة ، وفى البقاء ويستجيب الفرد للثقافة باعتبارها جزء من التراث الاجتماعى ، بمعنى أنها تنتقل عبر الاجيال المتعاقبة .

وصنف أوجبرن ونيمكوف [1] الثقافة إلى ثقافة مادية material culture ، وهى تشمل كل ما يصنعه الانسان فى حياته العامة وكل ما ينتجه العقل البشرى من أشياء ملموسة ، مثـل الآلات والاسلحة والاثاث والسيارات والملابس والمجوهرات والبناء ومصارف الرى ، والمحاصيل الزراعية ، والطرق والقناطر ، أى كل ما هو مادى فيزيقى ، واستخدمه الانسان . ثم ثقافة لا مادية immaterial culture وهى تشمل أنماط السلوك التى تتمثل فى العادات والتقاليد والتى تعبر عن المثل والقيم والافكار والمعتقدات ، وكذلك الكلمات التى يستعملها الانسان .

---

(١) انظر د. محمد عاطف غيث . علم الاجتماع ص ٢٧٤

ولنضرب لذلك — مثلا — بلعبه من الألعاب الرياضيه ، فالقفاز ، والمضارب ، والملابس ، ومنصات المشاهدة هي عناصر للثقافه الماديه . أما قواعد اللعبه ، ومهارات اللاعبين ، وسلوك المشاهدين ، واللاعبين فهي عناصر للثقافه اللاماديه . وكل من الثقافه الماديه واللامادية يدور حول إشباع الحاجات الرئيسية للانسان الأمر الذى يعطيه نمطه الإجتماعى الذى هو جوهر الثقافة .

وتشير هذه التعريفات جميعها إلى الثقافه باعتبارها رمزا ، Symbol ، سواء كان هذا الرمز كلمة أو فعل أو موضوع مادى .

والثقافة والقومية ليستا بالضرورة لفظتين مترادفتين . ولكن فى العالم الحديث أصبحت القوميه قوى تعمل على تقوية الوحـــدة فى التنظيم الإجتماعى . وهكذا يعالج علماء العلوم الإجتماعية القوميات الحديثه باعتبارها كيانات ثقافية [1] .

خصائص الثقافة :

فى ضوء التعريفات السابقة ، تتميز الثقافه بالخصائص الآتيه :

١ — ليست عناصر الثقافه موروثه أو فطريه فهى لاتنتقل من الآباء عن طريق الحيوانات المنوية والبويضات والكروموزومات والجينات . وإنما يكتسبها الإنسان كعضو فى المجتمع خلال عملية التعلم ، وعن طريق المخالطة والإحتكاك والتسرب والتطبيع والنقل . إنها نتيجة جهد وعمل الإنسان

1 – A. W. Creen, op. cit. p. 79.

واختراعاته وإبتكاراته لحل مشكلاته ومقابلة إحتياجاته . وهى تنمو وتتأصل خلال التفاعل الإنسانى . ومع ذلك تصبح الثقافه قيداً لحياة الإنسان بمرور الوقت ، فتمسك المجتمع تمسكا شديدا بثقافته التى أخذها عن آبائه وأجداده — مثلا — كثيرا ما يعوقه عن الحركة ، فيصاب المجتمع بالجمود والتحجر . وينجم عن هذا كله أنها تصبح مستقلة ، ومتمايزه عن الإنسان .

٢ — تميل الثقافة إلى البقاء والاستمرار ، فمادامت هى التراث الاجتماعى الذى يستقبلة أعضاء المجتمع من الأجيال السابقة ، فان لها قدرة كبيرة على الانتقال عبر التاريخ ، وحتى إذا تعرض المجتمع كله إلى بعض عوامل التغير فان بعض سماتها قد يستطيع البقاء والاستمرار .

٣ — تختلف الثقافة من عصر إلى عصر فى المجتمع الواحد من حيث نظامها الاقتصادى ، والعادات ، والتقاليد ، والأساليب الشعبية ، والمعتقدات والنظم ، والقوانين ، وطرق الحكم . كما تختلف من حيث المأكل والمسكن والملبس وأساليب العمل والترويج ومراسم الزواج والطلاق . وتختلف كذلك فى معدلات التغير التى زادت سرعتها فى وقتنا الحالى زيادة كبيرة

وكما أثر الزمان فى الثقافة ، فقد أثر أيضا فيها المكان ، فثقافة المجتمع الأمريكى — مثلا — تختلف من ثقافة المجتمع السوفييتى ، مع أن المجتمعين يعتبران مجتمعات صناعية . ومفهوم الحرية فى المجتمع الأمريكى يختلف عنه فى المجتمع السوفييتى ، ودلالة ألفــــاظ مثل « طبقة » و « ملكية » و « استغلال » و « ديموقراطية » فى المجتمع الأمريكى يختلف عن دلالاتها فى المجتمع السوفييتى ، ودور الحكومة والشعب فى المجتمع الأمريكى

تختلف عن دورها فى المجتمع السوفييتى ، وأساليب التنمية فى المجتمع الأمريكى تختلف عنها فى المجتمع السوفييتى وهلم جرا .

كذلك تختلف مظاهر المعيشة وأساليب الحياة فى المجتمع المصري عنها فى المجتمع الهندي ، مع أن كليهما مجتمع زراعى متخلف ذو دخل محدود ، ومع أن لكليهما حضارة عريقة قديمة سبقت حضارة الغرب ، وتختلف الحياة فى البلدين من حيث اللغـة ، والمأكل ، والملبس ، والمأوى ، والدين ، والفنون ، ومراسم الزواج والطلاق ، وغير ذلك من التقاليد والأعراف والعادات .(١)

٤ ــ الثقافة كل مترابط فلو حللنا ثقافة أى مجتمع فانه سوف نجد أنها تتكون من أجزاء مختلفة ، وكثير من الملامح والعناصر ، يتصل بعضها ببعض بحيث تكون كلا ثقافيا مترابطا . ويطلق علمـــاء الاجتماع على هذا الجزء أو الملمح أو العنصر اصطلاح سمه trait . وهذه السمة هى أصغر وحدة فى الثقافة . فثقافة أى مجتمع تشتمل على ألوف من السمات . وقد تنتشر سمات معينة فى ثقافات متعددة .

ولا يعد الرقص سمة ، بل هو جمع من السمات ، إذ يشتمل على خطوات الرقص ، وقواعد اختيار الراقصين ، والموسيقى . وقد يكون الرقص فى الاحتفالات الدينيـــة ، أو الشعائر السحرية ، أو فى أغنيات غزلية ، أو المهرجانات وما إلى ذلك .

٥ ــ والثقافة متكاملة ـ أى لا يوجد صراع بين العناصر الثقافية المختلفة ،

---

١) دافيد ماكليلاند . مجتمع الانجاز . المرجع السابق ص ص ٣ ـ ٤

وبمعنى آخر ، فان الأجزاء المختلفة من الثقافة تكون نسقا مترابطا ومتكاملا من الممارسات والقيم . فما دام كوم الحجارة لايكون منزلا ، فكذلك قائمة السمات لاتكون ثقافة ؛ فالثقافة هى نسق متكامل ، تتناسب فيه كل سمة مع غيرها من السمات الأخرى فى نسق ثقافى .

أن ثقافة الهنود تتركز فى الجاموسة ، فمنها يحصلون على ثقافتهم المادية . وهم يستخدمون لحمها وجلدها وعظمهـا . وتوجه دياناتهم صيد الجاموس بنجاح ، ويقاس نجاح نسقهم المكانى بمهارة الإنسان فى الصيد ، ويتلاءم أسلوب حياتهم مع هجرة الجاموس . وعند قبائل الهنود الحمر - هنـــود الأوجبواى Ogibway الذين يعيشون حول بحيرة سوبيريور - يعتبر الارز البرى من السمات الهامة فى ثقافتهم المحلية ، فرغم البساطة الظاهرية لهذه السمة فانها تتألف فى واقع الامر من عدد كبير جدا من العناصر الثقافية التى تتمثل فى الممارسات والطقوس والعادات التى تمتزج كلها معا لتؤلف هذه السمة الثقافية . فرغم أن الارز ينمو بريا إلا أن أحدا من أفراد القبيلة لايستطيع أن يقطف منه كيفما شاء - بل يتبع فى ذلك قواعد معينة وفى موسم معين ، ويحزمونه فى حزمات بطريقة معينة يصعب على الطيور الإغارة على السنابل ، ويبذلون فى سبيل إعداده للطعام كثيرا من المجهود سواء فى الحصد أو الدرس أو التخزين أو الطهى ، ويرتبط بهذا كله كثير من القواعد المتعلقة بحق الانتفاع بالارض والتزامات العمل وقواعد اللياقة والسلوك والمحافظة على الوقت ، بالإضافة إلى كثير من الممارسات والتحريمات والمحظورات الدينيـــة .

وتشير إلى أهمية الماشية فى ثقافة النا ندى Nanci . فاللحم يؤلف عنصرا

هاما فى طعامهم ، ولكنهم إلى جانب ذلك يعتمدون فى غذائهم على اللبن والدم الذى يحصلون عليه عن طريق قطع أحد الشرايين فى عنق البقرة ، ثم وضع قطعة من الروث أو الطين فى مكان الجرح لمنع تدفق للدم بعد الحصول على مايريدونه منه ، ومن هنا يراعى النانديون تقديس العشب والروث ، فهم لايقطعونه من فوق الارض أو ينتزعونه منه انتزاعا ، وإذا اضطروا إلى قطعه ، فان المرأة هى التى تقوم بذلك باعتبار أنها أقل طهارة من الرجل ، وهم قد يحرقون العشب بالنار على أعتبار أن النار طاهرة ، وهم يقدسون اللبن ، ويعتبرونه القربان الطبيعي الذى يقدمونه للموتى ؛ ويقوم الرجل بحلب الابقار على اعتبار أنه أعلى منزل من المرأة وأكثر طهرا ، وإذا حدث أن تبولت البقرة على يد الرجل أثناء الحلب غسل الرجل يديه بالبول ، ثم يعود الحلب ، فالبول بركة ، أما قداسة الروث فتظهر فى استخدامه كرهم لمعالجة الجروح .

وليس من الصدفه أن الشعوب التى تعتمد على الصيد تعبد آلهة الصيد ، وأن الشعوب التى تصطاد السمك تعبد آلهة البحر ، وأن الشعوب الزراعية تعبد الشمس وآلهة المطر . وإذا نظرنا إلى نظام زواج الموتى عند بعض القبائل لوجدنا أنه يرتبط بالنظام الدينى ، ففكرة الموت عندهم تمثل نوعا آخر من الحياة ، كما أن الزواج عندهم لايستهدف إنجاب الاطفال ، ولا المتعة الجنسية ، بل يستهدف إيجاد القرابة بين شخصين أو قبيلتين .

وهكذا فان الاجزاء المختلفة من الثقافة يجب أن تتناسب معا ، بحيث تكون متكامله . وإذا ما تواجد عنصر غير متجانس مع بقيـة العناصر الاخرى ، فان الافراد يميلون الى رفضه أو التخلص منه عبر الزمن ، والفشل

فى تقدير تكامل الثقافة يؤدى إلى فشل فى التعامل مع الثقافات الاخرى . فحين أمدت الحكومة الامريكية الهنود الامريكيين بقطعان من الماشية ، قام الهنود بصيدها بدلا من حلبها . ذلك أن اللبن لايمثل أهمية فى ثقافتهم . الا أن التكامل مسألة درجة ، إذ قد لاتوجد ثقافة كاملة متكامل .

٦ — والثقافة متناسقة ومعقدة فهى متناسقة — أى تتوازن توازنا متحركا خلال الزمن باستمرار . فاذا ماحدث تغير فى عنصر من عناصر الثقافة عبر الزمن ، أدى هذا إلى تغير فى العناصر الأخرى . وهى معقدة ، ويرجع تعقد الثقافة إلى ترابط سماتها ، وتجمع الموضوعات ، والمهارات ، والاتجاهات والمواقف . وتراكم التراث الاجتماعي خلال عصور طويلة من الزمن ، وكذلك إلى انتشار وإستعارة كثير من السمات الثقافية من خارج المجتمع نفسه .

ويكون الانتشار الثقافى إما عرضيا أو متعمدا ، فمن خلال الطريق العرضى تنتشر الثقافة من مجتمع إلى آخر إذا وجد أنها ذات فائدة بالنسبة للمجتمع المنقولة اليه — أما إذا أرسل المبشرون من مجتمع لآخر فان انتشار الثقافة يكون متعمدا ، وقد يكون انتشار الثقافة عن طريق الغزوات والحروب أو عن طريق الهجرة أو التجارة أو غير ذلك من الوسائل .

كذلك تنتشر الثقافة داخليا وخارجيا . ويقصد بالانتشار الداخلى انتقال الثقافه من شخص لآخر فى المجتمع الواحد . أما الانتشار الخارجي فهو انتقال الثقافة من مجتمع إلى آخر .

ويحدث نتيجة انتقال الثقافة من مجتمع لآخر صراعات بين الثقافات

القديمة والجديدة ، ينتهى عادة بانتصار إحداهما ومحو الآخر ، وإما بنوع من المواءمة بين الثقافتين .

ومن أمثلة الثقافات التى انتصرت الثقافة العربية التى ظهرت فى القرن السابع الميلادى ، على حين أن الثقافة الرومانية عند غزوها اليونان لم تنجح فى محو الثقافات اليونانية ، بل وتأثرت بها . ومن الأمثلة على المواءمة بين الثقافات القديمة والجديدة ما نراه فى العصور الحديثه فى مصر .

٧ — ومن خواص الثقافه عموميتها وخصوصيتها ، وتتمثل عموميتها فى وحدة المشاعر والأفكار والتقاليد والعادات ... التى يشترك فيها جميع أفراد المجتمع كالشعائر والمعتقدات الدينيه واللغه .

غير أن هذه العمومية لا تمنع من أن توجد فى كل قطاع من قطاعات المجتمع ، جماعة محليه لها ثقافتها الخاصة ، فعلى الرغم من وحدة السمات الثقافيه فى المجتمع كله ، إلا أن هذا لا يمنع من وجود سمات ثقافيه ينفرد بها الرجال دون النساء ، كما قد يكون للمتزوجين أو الآباء بعض العادات الإجتماعية تميزهم عن العزاب وعن الأبناء .

دور الثقافه فى الحياة الاجتماعية :

تسهم الثقافة فى المحافظة والابقاء على الوظائف البيولوجية للكائن البشرى عن طريق توفير حاجاته إلى الطعام والشراب والدفء والمأوى ، والاشباع الجنسى والتناسل والحب والتشجيع . وتؤثر الثقافة فى حياة الناس وتوجه أفعالهم ، وليس أدل على ذلك من إختلاف سلوك الناس فى ثقافة عن ثقافة أخرى من حيث المعتقدات وأساليب العمل . فالانسان

يولد بلا لغة ، ولا قيم . وأفكار . ولا تعليم . وهو يفتقر إلى المـــال والاصدقاء والحب والعلاقات العائليه ، وهو يولد بلا حقوق وواجبات وهو فى أمس الحاجة إلى هذه الأمور، ولكنه يتشرب هذه العناصر الثقافية ويكتسبها من المجتمع الذى يعيش فيه .

ومن خلال الثقافة يستطيع الانسان أن يطور مفهومه عن الذات ، وعن المجتمع والالة . كذلك فان الثقافة تمد الا نسان بنسق المعنى والواقع . ومن خلال الثقافة يرسم الإنسان أهدافه ويحصد نواتج التعبير الخلاق . والثقافة مسئوله أيضا عن الامن الداخلى والخارجى . والثقافة فى أكثر عناصرها ديناميكية تمدنا بمـا يحقق لنـا التلاؤم والتكيف مع البيئـات الطبيعية والاجتماعية والتنشئة المتميزة [1] .

(١) د وب إس مى . المرجع السابق ، ص ٣٣ .

الفصل الثالث

الجماعات الاجتماعية

Social Groups

الجماعات الاجتماعية

Social Groups

عرفنا أن المجتمع مجموعة من الافراد الآدميين الذين يعيشون تلقائيا ، ولهم نظم وقواعد وتقاليد وعادات وآمال واحدة . والمجتمع يشتمل على عدد من الجماعات ، أو بمعنى آخر هو أكبر جماعة تحوى داخلها الجماعات الأخرى .

وهناك مصدران أساسيان فى تعريف الجماعة الاجتماعية : مدخل سيكلوجى ، ومدخل سيولوجى . ويمثل المدرسة السيكلوجية جابريل تارد ، وفى رأيه أن المحاكاه هى الظاهرة الاجتماعية الاصلية ، وأنه يمكن تعريف الجماعه الاوليه بأنها مجموعة من الكائنات لا ينفكون عن محاكاة بعضهم البعض . وإذا لم يتحاكوا فى اللحظة الحاضرة ، فانهم يتشابهون ، وسماتهم المشتركة نسخ قديمة من النموذج بعينه . ويؤكد أن العلاقه الاجتماعية الاوليه هى تلك التى تتألف من شخصين يؤثر أحدهما فى الاخر تأثيراً روحيا ، فكل شىء من الناحيه الاجتماعيه ليس إلا إختراع وتقليد [1] .

أما علماء الاجتماع فقد إهتموا بدراسة الجماعات الاجتماعيه ، وركزوا على أهمية العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى فى تعريفهم للجماعات الاجتماعيه . فالحياة الاجتماعية فى رأيهم — هى وحدة إجتماعية تتكون من عدد من الافراد يكونون فى إتصال أحدهم بالآخر ، ويقومون بأدوار

---

(١) د. محمد على محمد وآخرون . المجتمع — الثقافه — الشخصيه — مدخل إلى علم الاجتماع ص ص ٧١ — ٧٢ .

معينه بالنسبه لبعضهم البعض . مما ينجم عنه تفاعل مشترك ومستمر ، أى يؤثر ويتأثر كل منهم بالاخر ، ويستجيبون جميعاً لمؤثر واحد ، ويشتركون فى مصالح وأهداف متشابهه ، وقيم ، ومعايير خاصة توجه سلوكهم . كما تتفق الجماعه من حيث التفكير . ولهم قدر معين من الوعى المتبادل ينعكس على مسالك أفراد الجماعه .

فقد ذهب ماكس فيبر Max Weber [1] إلى أن الجماعه الاجتماعيه هى « نسق من العلاقات الاجتماعية يترابط الافراد فيه بوحده من الشعور والاحساس العاطفى ، وبوحدة المصالح ، ويشتركون فى ثقافه معينه تحدد لهم أدوارهم الاجتماعية ، والمستويات التى تميز أعضاءها عن غيرهم من الأعضاء .

ويعد التفاعل الاجتماعى جزءا أساسيا فى حياة أفراد الجماعة ، فاذا سأل سائل فرداً من هو؟ أجاب إجابه فى صيغه جمعيه ، كأن يقول ـ مثلا ـ أنه طالب بمعهد العلوم الاجتماعية ، أو أنه أصغر ثلاثه أخوة . وهكذا يضع الفرد غيره فى إعتباره عند حديثه عن نفسه [2] .

فقد أشار بينت Bennet وكالفين تومين Tumin إلى الجماعة الاجتماعية على أنها أولئك الذين يمكن تحديدهم بالتفاعل الثابت المباشر والمستمر

---

(١) د. أحمد النكلاوى ، التغير والبناء الاجتماعى ، دراسة نظرية ميدانية ص ٥٩ .

2 — Ritchie P. Lowry, & Robert P. Rankin. Sociology, Social Science and Social Concern, P. 58.

تجاه أهداف عامه مستخدمين إتفاقا عاما على وسائل معينه لبلوغ تلك الاهداف .

وليس بالضرورة أن يتم التفاعل بين الأعضاء عن طريق الاحتكاك والإتصال الفيزيقى والاجتماعى ، وإنما لا بد من أن يدرك الفرد عضويته في الجماعة ، وأن يتم التفاعل بين الأعضاء ، وبمعنى آخر أن يعرف كل فرد الآخر ، إذ فى بعض الحالات قد يتم التفاعل بالرغم من وجود مسافات متباعدة بين الأفراد ، دون الاحتكاك الشخصى بينهم [١] .

وهذا ولا ينبغى لنا القول بأن المجتمع فى تعدد صور الجماعات مركبا غير متآلف الأجزاء أو متضارب العناصر مع تباين مشارب الجماعة الداخله فيه ، إذ أن سنة التباين بين الافراد في مقدراتهم واستعداداتهم تملى من فلسفتها وحكمتها شكلا مرغوبا ومألوفا للحياة ، خاصة أنه مهما اختلفت الكائنات البشرية ، فان هناك سمات عامة تربط بينهم فى وحدة مشتركة ينصهرون معها فى قالب واحد ، ليصبحوا أفراد جماعة ذات طابع محدد فى الحياة يهدفون اليه جميعا رغم تباين واختلاف ميولهم الخاصة [٢]

وتدخل الكائنات الانسانية الجماعة ، ذلك أن الفرد لا يقدر على الحياة الا فى جماعة ، وهو لا يقدر على الحياة داخل الجماعة إلا وفقا لفلسفتها ومعاييرها واتجاهاتها الوظيفية . والأسرة هى الجماعة الاولى التى ينتمى اليها الفرد منذ لحظة الولادة . وفى أثناء حياتها تصبح جزءا فى

---

1 — A. W. Green, op. cit. P. 48

٢ ـ د غريب سيد أحمد . المدخل إلى دراسة الجماعات الاجتماعية ص ١١

عدد كبير من الجماعات الاجتماعية .

وتتنوع هذه الجماعات من حيث ، حجمها وشكلها وطرق تنظيمها والوظائف التي تؤديها فمنها ما هو صغير الحجم كالعلاقة الثنائية لاسرة بغير أولاد ومنها ما هو كبير كالمدرسة ، والنادى ، وإتحادات التجارة ، والنقابات ، والاحزاب السياسية ، والجماعات الدينية . وهى جميعا أمثلة للجماعات الاجتماعية . ومنها ما ينشأ بطريقة تلقائية ، ومنها ما ينشأ بطريقة متعمدة ، ومنها ما يؤدى وظيفة واحدة كالوظائف البيولوجية ، أو النفسية ، أو الاقتصادية ، أو الاجتماعية ، ومنها ما يؤدى وظائف متعددة .

وتختلف الجماعة الانسانية عن مجرد التجمع المادى الذي هو مجرد تجميع عناصر مادية أو وحدات فيزيقية ، مثل عدد من شجر فى غابة ، أو منازل فى شارع ، أو طائرات فى مطار معين . إذ ليس ثمة تفاعل بين مكونات هذه الوحدات . كما تختلف الجماعة الانسانية عن القطيع الحيوانى الذى هو تفاعل اقترانى حسى لا اجتماعى رمزى . فالجماعة الاجتماعيه تتضمن أكثر من فعل ورد فعل ، فهى تتضمن الادراك والتخطيط والسعى والاعلان والتعليم .

كذلك تميز الجماعة الانسانية من النوع الاجتماعي التصنيف القائم على أساس خواص السن أو الجنس أو اللون والعنصر أو الطبقة . فقد يتشابه الافراد من حيث الدخل أو السن أو المهنة أو الهواية ، ولكنهم لا يكونون جماعة بمعناها السيكولوجى ، إذ أن تجمعهم هنا لا يمثل سوى فئة إجتماعية Social Category . وعلى ذلك فان لهذه الفئات أهميتها فى

التحليل السسيولوجي ، إذ أن الذين يتشابهون في إحدى هذه التغيرات ربما يدخلون في علاقات إجتماعية ، ويشكلون جماعات ، حينما يكون لهم مجرى حياة Style of Life خاص بهم . وقد يدخل أفراد فئة إجتماعية ما في علاقات معينه ، ويشكلون جماعات ذات أسلوب حياة خاصة ، وذلك عندما تشعر هذه الفئة بوضع إجتماعي متميز عن أوضاع غيرها من الفئات الأخرى .

ويمكن التمييز بين التجمع aggregation ، أوالحشد Crowd ، والجماعة group ، في كون المصطلح الأول يشير إلى مجموعة من الأفراد يكون إجتماعهم مؤقتا أو عابراً ، فهو يعبر عن تجاور مكاني لبعض الأفراد دون أن يحدث بينهم تفاعل من نوع ما . ومثال ذلك من يقفون على ناصية الطريق في إنتظار تغيير إشارة المرور الحمراء . أما الجماعة فتتمتع ببناء وهي جزء أساسي من مكونات أي نسق إجتماعي . ولها تاريخ وأغراض وأهداف ، فالعائلة تتمتع بتاريخ طويل ، لا يقوم فقط على التفاعل بين أعضائها في الماضي والحاضر ، ولكن يستند إلى التفاعل بين العائلة والجماعات الأخرى في المدرسة . وبالإضافه إلى ذلك ، فان الأسرة لديها مستقبل يتجلي في وحدة أهدافها وأغراضها . وقد يتحول التجمع إلى جماعه إجتماعية عن طريق التفاعل Interaction الذي يحدث بين أولئك المتجاورين في المكان ، مما يجعلهم يسلكون مسالك متعددة الصور والاشكال ، ويقومون بأعمال مختلفه ، وقد تكون لفترة وجيزة ، يحدث خلالها تنظيما إجتماعيا على درجه معينة من الدقه والثبات .

وهناك فرق بين الجماعـــة بمعناها الإحصائي ، والجماعة بالمعنى

السسيولوجى . فالجماعة الإحصائيه تشير إلى الفرد بغض النظر عن نوعية المكونين لهذا العدد . إلا أن العنصر الإنسانى فى الجماعة يعطيها التصور الإجتماعى ؛ لأن العلاقات الإجتماعية وأسلوب الحياة والتنظيم الإجتماعى لا يحدث إلا بين أشخاص [١] .

خصائص الجماعات :

تتميز كل جماعة إجتماعية بمجموعة من الخصائص تميزها عن غيرها من الجماعات الاخرى نوجزها فى الآتى :

١ — لاتنم جميع العلاقات الإجتماعية عن وجود الجماعة ، والعكس صحيح إذ تنم الجماعة عن علاقات إجتماعية — هى مواقف التفاعل .

٢ — يشعر أعضاء الجماعة بوحدتهم ومشابهتهم ،وتميزهم عن أعضاء جماعة أخرى .

٣ — كل جماعة لابد وأن يكون لديها مراكز إهتمام خاص ، ويختلف هذا الإهتمام باختلاف طبيعة الجماعة ، فقد تكون الجماعه مهتمه بجمع طوابع البريد ، وقد تكون مهتمه بفرض سيطرتها على منطقه واسعه من النشاط الإجتماعى فى المجتمع . والناس لا يكرنون جماعه لمجرد أنهم يعيشون مع بعضهم الآخر . بل إنهم يشتركون فى الإهتمام والقيام بنوع معين من النشاط . ذلك أن طبيعة وسائل الإتصال الحديثه أصبحت لا تفرض على الجماعة أن يكون أعضاؤها متجاورين فيزيقيا .

---

(١) د. غريب سيد أحمد ، المرجع السابق ، ص ١١ .

٤ ـ الجماعات لابد أن تكون منظمة . فهناك بناء داخلى يحددالمراكز ، والأدوار ، ووسائل الاتصال ، ومواضع السلطات [١] .

وظائف الجماعات :

تقوم الجماعات الاجتماعية بوظائف عديدة ومتنوعة فى المجتمع . وتزيد وظائف الجماعة أهمية بالنسبة لمركزها الثقافى والحضارى والدولى وتزيد تعقيدا كلما كانت الجماعة أكثر تطورا ، وحضارتها أكثر تعقيدا . ويبدو ذلك واضحا من المقارنة بين مجتمعين أحدهما متحضر وثانيهما متخلف ثقافيا وحضاريا . فلاشك أن الوظيفة التى يؤديها المجتمع الأول أشق وأدق من الوظيفة التى يؤديها المجتمع الثانى وذلك لأن المجتمع الأول ينطوى على مطالب كثيرة ويزخر بأنماط ثقافية منقولة بتركة ورثها عن الأجيال ، ولابد أن يؤديها فى الحاضر والمستقبل .

أما المجتمع الثانى فأنماطه الثقافية ضيقة النطاق ، ونظمه محدودة ومطالبة متواضعة . فوظيفته أهون وأبسط وأسهل أداء . ولاننكر أن الطفل فى حدود القبيلة لايخضع لما يخضع له الطفل الحديث من قيود وروابط وعلاقات اجتماعية ، ولايطلب ما تتطلبه من العناية والتربية والتعليم والإعداد المهنى . ولاننكر كذلك أن الرجل البدائى يختلف عن الرجل المتحضرفى شتى ألوان الحياة وفى مظاهر السلوك وفىمطالب الحياة الخاصة. ويختلف الرجلان كذلك فى الوظيفة التى يؤديها كل منهما ومبلغ أهميتها بالنسب لمركز كل منهما فى الحياة الاجتماعية بالإجمال [٢].

---

١ ـ د. محمد عاطف غيث دراسات إنسانية واجتماعية صص٤٢-٤٣

٢ ـ د مصطفى الخشاب المرجع السابق ص ١٣٥

وتتمثل وظائف الجماعات الاجتماعية فى الآتى :-

١ - لكل جماعة وظيفة مميزة ، ومثال ذلك أن وظيفة الأسرة هى الأنجاب ، وضمان الاشباع الاقتصادى لأعضائها المكونين لها . ووظيفة النقابة أو الاتحاد حماية المصلحة المتبادلة وتعميقها ، ووظيفة النادي تهيئة وسائل الترفيه لأعضائه . وغالبا ما تقوم الجماعات بعدة وظائف ثانوية مرتبطة بحاجات الأعضاء .

٢ - لايقتصر الدور الذي تلعبه الجماعة على نقل التراث الاجتماعى، فهو أوسع نطاقا من ذلك ، لأن الجماعة هى التى تطبع الأفراد بميزات خاصة من خلال الاتجاهات الثقافية والمطالب الاجتماعية الخاصة بالأفراد .

٣ - تعطى الجماعة القوة للفرد ، فهى تسند تصرفاته ، وتضبط وتؤيد سلوكه وتؤكد له حسن أفعاله ، واتجاهاته ، مما ينعكس على التنظيمات الأكبر حجما .

٤ - تهيىء الجماعة وسط اجتماعيا يشبع فيه الفرد حاجاته ويمارس تأثيره الإيجابى . وفى هذا الوسط الاجتماعى يستجيب الأشخاص للاستجابات الشخصية التى تعبر عن العاطفة أو التفوق أو المركز ، أى أن الفرد يشبع رغباته فى هذا المضمون الاجتماعى للحياة (١).

---

١ - انظر . سناء الخولى مبادىء علم الاجتماع ص ١٢٥

& See jan.es B Mckee, op cit. p. 149

تصنيف الجماعات:

تعددت تصنيفات الجماعات الاجتماعية حيث اعتمد كل منها على وجهة نظر عالم الاجتماع ، وتعريفه للجماعة والمجتمع . ومن هذه التصنيفات الآتية : —

الجماعة الأولية والجماعه الثانوية Primary and Seconcary groups

حاول بعض العلماء تصنيف الجماعات وفقا لنوع العلاقات والاتصال والتفاعل بين الأفراد. ومن هؤلاء العلماء تشارلس كولى Charles Cooley (١٨٦٤ — ١٩٢٩) . فقد قسم الجماعات البشرية إلى جماعات أولية وجماعات ثانوية . والجماعه الأولية عنده هى الجماعة التى تقوم العلاقـة بين أفرادها وجها لوجه face - to - face . وبعبارة أخرى هى علاقة مباشرة تتمثل فى الاتصال المباشر بين عـــدد محدود من الأفراد . حيث يعرف كل فرد الآخر معرفة عميقه . وهى أولية لأنها تكسب الفرد تجارب مبكرة وكاملة للوحدة الاجتماعية .

والفرد فى الجماعة الأولية يكون سريع التأثر بضغوطها واحتياجاتها ، ومن ثم فهي عامل ذو فاعليه فى الضبط الاجتماعى وتلعب دورا كبيرا فى عملية التنشئة الاجتماعية ، وتحديد دور الفرد .

وتقوم هذه الجماعات على التعاطف الودى بين أعضائها ، وعمق العلاقة بين الإفـراد ، والتعـاون ، والدوام النسبى . وفى هذه الجماعة يفنى الشخص فى شخصية الجماعة ، ويجمع بين الأفراد وحدة الآمال والمشاعر ، ويحدث اندماج كلى بين الأعضاء . ويجد الفرد نفسه جزءا

لايتجزأ من الجماعة ، وتقوم الصلات على أساس الدم والأخوة والصداقه والمعرفه الشخصية .

والأسرة هى المجتمع الاولى ، ثم جماعة اللعب ، وأخيرا المجتمعات المحليه الصغيرة كالقريه . ومن البديهى فان الجماعة الاولية ليست مستقلة استقلالا كاملا عن المجتمع الكبير ، وانما هى تعكس روحه ، فالعائله الألمانية ، والمدرسة الالمانية ، إنما هى انعكاس للعسكرية الالمانيه (١).

أما الجماعة الثانويه أو المشتقه فتوجد فى المجتمع المعقد فى ثقافته ، الشاسع فى مساحته ، والكبير فى عـــدد سكانه ، والذى يتميز بالحراك الجغرافى والمهنى ، مما يجعل التأثير وجها لوجه يكاد يكون مستحيلا ، وتحل العلاقات غير الشخصيه محل العلاقات الشخصيه ، وتتسم العلاقات بالسطحيه والنفعية والجزئية ، ويتحكم فى هذه الجماعة القانون الوضعى .

وتتمثل الجماعة الثانوية بصورة واضحة فى أغلب المنظمات الحديثة ، كوحدات العمل أو الرابطات التجارية ، أو نادى المدينة . وعلى وجه العموم فهذه الجماعة توجد من أجل تحقيق هدف نوعى ومحدود .

٢ ـ الجماعة التلقائية والجماعة الطوعية Voluntary :

ينتمى الفرد إلى الجماعة التلقائيه بحكم مولده ـ أى دون أن يكون له رأى فى ذلك . فالفرد يولد فيجد نفسه فى أسرة معينه أو مجتمع محلى ، أو

1 — See Ropiert Cccley Angell, The Two Major works of Charles Cocley, Sccial Organizaticn and Human Nature, and Sccial Orcer., P. 27

فى جنس معين دون أن يكون له أدنى إختيار فى الإنتماء إلى هذه الأسرة أو هذا المجتمع المحلى أو ذاك الجنس . وتقوم هذه الجماعة على روابط ثلاث هى : رابطة الدم ، ثم الجوار ، ثم جماعة الصداقه المتساوين إجتماعيا أو التجاذب الروحى .

أما الجماعات الطوعيه فهى تنظيمات رسميه ليست جزءاً من الحكومة ، يحكمها القوانين ، ويتحكم فيها الروتين والبيروقراطية ، وهيئة من المديرين والموظفين . وينتمى الفرد إلى هذه الجماعات بطوعه وإرادته ، ورغبته ، وعلى أساس من التعاقد ، ويستطيع الخروج منها فى أى وقت من الأوقات. وتتسم العلاقات الطوعية أو التعاقديه بالطابع اللاشخصى ، ويكون الهدف منها تبادل المصالح والمنافع المشتركة . ويتمثل ذلك فى المدن الكبرى التى تقوم على الصناعه والتجارة والعلاقات الخارجيه وإرتباطات العقـــود والأدوات والأوراق الماليه ، وكذلك فى جماعات كرة القدم والنوادى والهيئات .

٣ ـ الجماعات الرسمية forn al والجماعات غير الرسمية informal :

ترتبط الجماعات الرسمية بالتنظيم الإجتماعى بإعتبارها جزءاً من المجتمع الكبير . وهى تتميز عن التنظيمات غير الرسمية الصغيرة كجماعة الأصدقاء وفرق العمل ، كما تختلف عن النظم الإجتماعية مثـــل النظم الدينيه والنظم العائلية . فجماعة الأصدقاء تنظيم غير رسمى يظهر إتفاقا وعرضيا ، ولا تحكمه قواعد وقوانين ، وذلك على عكس التنظيم الرسمى الذى يظهر عن قصد وتعمد ويعمل حسب قوانين وقواعد للوصول إلى هـــدف أو أهداف معينه .

والتنظيمات غير الرسميه هي جماعات منظمه ، ذلك أن كل الجماعات الإجتماعية تتمتع ببناء ، ولكنه ليس بناء تنظيمي رسمي . فني هذه الجماعات قادة وتابعون ، وقواعد وإجراءات، ولكنها قواعد غير مكتوبة ، وغير معلنه. وفي غالبية الأمر فان هذه التنظيمات غير الرسمية هي جماعات أوليه ، أما للتنظيمات الرسمية فهي جماعات ثانويه . وتظهر التنظيمات الرسمية بكبر حجم المجتمع .

ويختلف النظم الرسمية عن النظم الإجتماعية من حيث أن التنظيمات الرسميه هي هيئات وروابط من الأفراد ، بينما النظم هي أنساق من القيم والشعارات [١] .

٤ ـ الجماعات المنظمة Organized والجماعات غير المنظمه Unorganized:

ويتمثل ذلك في تصنيف سوروكن ، حيث قسم الجماعات إلى جماعات منظمه وجماعات غير منظمة . أما الجماعات غير المنظمة ونصف المنظمة فهي تمثل الجمهور والجمهرة أو الحشد أو المظاهرة .

أما الجماعات المنظمة فهي إما :

أ ـ جماعات ذات رباط واحد ، وهذا الرباط قد يكون حيويا كجماعة جنس واحدة ، أو سن ، أو نوع ، وقد يكون رباطا ثقافيا إجتماعيا كرباط اللغة أو الدين أو السياسة أو المهنة .

1 — Paul B. Horton & Chester L. Hunt. Sociology, p. 216.

ب ـ جماعات ذات أربطة متعددة مثل الأســـرة والعشيرة والقبيلة والأمة (١)

٥ ـ الجماعات الداخلية in Group والجماعات الخارجية out Group

قسم جراهام سمنر Sumner الجماعات الإجتماعية فى كتابه العادات الشعبيه Folkway (١٩٠٦) بين نوعين من الجماعات الداخلية، والجماعات الخارجية والجماعة الداخلية يعبر عنها بالضمير « نحن We group »، كأن يقول الفرد : عائلتى، مهنتى. سلالتى، قوميتى. فهو يشعر أنه ينتمى إليها وبسود هذه الجماعات روح الود والعطف.

أما الجماعات الخارجية. فهى التى لا ينتمى إليها الفرد، وتعتبر غريبه عنه. ويسودها روح النزاع والنضال، والشراسة والعداوة والخوف والتنافس وتظهر فى علاقة مجتمع بمجتمع آخـــر ولذا يعبر عنهـا بالضمير « هم »

ويؤخذ على سمنر أنه يركز على جوانب التضامن والاتفاق فى داخل الجماعة الواحدة، ويستبعد عوامل الإختلاف والتفرقه، علما بأنه فى الجماعه الواحدة توجد قوى تؤدى إلى التقارب كالتعاون والتوافق، وأخرى تؤدى إلى التنافر كالصراع والقهر (٢).

---

١ ـ د حسن شحاته سعفان. المرجع السابق ص ص ١٣٩ ـ ١٤٠.
٢ ـ د عبد الباسط محمد حسن. المرجع السابق ص ٢٣٦.

٦ ـ الجماعات البسيطه والجماعات المركبه :

ذهب إميل دوركايم فى كتابه تقسيم العمل إلى تقسيم الجماعات إلى جماعات بسيطه وجماعات مركبة والجماعات البسيطة هى التى لا تنقسم إلى أجزاء ، ولا توجد علامات تدل على أنها مركبة . فالمدينة — مثلا — تمثل مجتمعاً أو جماعة مركبه لأننا نجد أنها قبل وصولها إلى شكلها النهائى كانت عبارة عن عدد من القرى والكفور . والقرى والكفور هى جماعات مركبه لأنها كانت فى الاصل عبارة عن عدة قبائل تجمع بعضها مع بعض . ونحن إذا بحثنا فى تاريخ المجتمعات فاننا سوف لا نجد ذلك المجتمع البسيط الذى لاينقسم إلى أبسط منه وقد أطلق دوركايم على ذلك المجتمع الوهمى اسم أو المعشر Herde

ولا تعرف هذه المجتمعات البسيطه تقسيم العمل ، وفيها يتشابه الأفراد فى مكاناتهم وأدوارهم ، ويؤدى هذا التشابه الموجود بين الأفراد إلى تقوية المشاركة الوجدانيه بينهم . وإلى ظهور علاقات إجتماعية تنشأ بطريقة تلقائيه ، وتؤدي إلى خلق نوع من التضامن الإجتماعى يقوم على فناء شخصية الفرد فى شخصية الجماعة ، ويطلق عليه دوركايم إصطلاح « التضامن الآلى أو الميكانيكى » Mechanical Solidarity .

أما المجتمعات المركبه ، فيظهر منها تقسيم العمل بصورة واضحة وينقسم الناس إلى فئات مهنيه تتخصص كل فئه منها فى جانب من جوانب النشاط الإقتصادى والإجتماعى . وتعتمد على غيرها فى بقية الجوانب . ولذلك تأخذ العلاقات فى هذه المجتمعات الطابع التعاقدى الذى يقوم على تبادل المصلحة ، وإعتماد الأفراد بعضهم على بعض مما يزيد فى تماسكهم

الإجتماعى حيث يشعر كل فرد بأنه محتـاج فى وجوده إلى الآخرين . ويطلق دوركايم على هذا النوع من التماسك أوالتضامن إصطلاح « التضامن العضوى Organic Sclidarity » ، أى يشعر كل فرد بأنه يؤدى دوراً مختلفاً عن بقية أفراد الجماعة ، ويعتمد عليه الآخرون ، كما يعتمد هو على غيره من الاعضاء [١] .

٧ - تقسيم الجماعات على أساس التدرج الاجتماعى : Social Stratification

وهو يقوم على أن بناء المجتمع يشتمل على مراكز متدرجه ، وأن لكل فرد فى المجتمع درجة إجتماعيه أو مركزا إجتماعيا خاصاً يفرقه عن غيره من الافراد : فلو نظرنا إلى أفراد الجماعة لوجدنا بينهم فروقاً فى السن والمهنه والتعليم والمركز الإجتماعى والثروة والدخل ... إلخ . وهـذه الفروق تؤدى إلى ظهور الطبقـات الاجتماعية ، وحدوث ظاهرة التدرج الإجتماعى ، وتنشأ علاقات أفقيه بين الفئـات الاجتماعيه المتماثلة أو بين الاشخاص الذين يشغلون مراكز متجانسه كجماعه الاصدقاء ، وزملاء الدراسه ، ورفاق العمل . أما العلاقات الرأسيه فتنشأ بين أصحاب المراكز العليا والدنيا فى الجماعه .

---

١ — نفس المرجع . ص ٢٣٢ .

الفصل الرابع

المجتمع المحلي

Community

المجتمع المحلى Community

فى المجتمعات الأمية تظهر فوارق بين كلمة المجتمع Society والمجتمع المحلي Community ، ومع ذلك اتفق علماء الاجتماع على وجود نوعين من المجتمعات هما : المجتمع والمجتمع المحلي .

وقد استخدمت كلمة مجتمع محلي إستخدامات مختلفة ، وتعددت تعريفاتها وإتجاهات علماء الاجتماع فى النظر إليها . ومع ذلك فما زال معناها يكتنفها الغموض والإبهام .

فمن العلماء من إتجه إتجاها سيكلوجيا ، إذ نظر إلى المجتمع المحلي على أنه يرتكز على عناصر نفسية قوامها الإحساس بالتشابه Sense of Likeness بين مجموعة من الأفراد يشعرون بوجود رابطة عقلية أو روحية تؤلف بينهم . فها هو نيسبت R. Nisbet وبراونل B. Brownell تصورا المجتمع المحلي على أنه وحدة نفسية يكتسب الأفراد من خلال توحدهم بها شعور بالأمن والانتماء والاستقرار النفسى .

وهناك الاتجاه الايكولوجى ، وهو الذى يبحث فى العلاقة بين الناس (السكان) ، والأرض (البيئة الفيزيقية) ، وتكيف الإنسان مع البيئة ، باعتبار المجتمع المحلي وحدة اقليمية محلية مكانية وزمانية . وفى ضوء هذا يعرف المجتمع المحلي فى ضوء عنصر واحد هو الإقليم المشترك أو البيئة الجغرافية التى يعيش فيها الأفراد ، فالقرية ، والمدينة ، كل منها يحتمل مكانا محدودا على سطح الأرض . والمدينة تنقسم أرضها إلى مركز المدينة ، وحى العمل الرئيسى ومنطقة للمصانع ، وأخرى للمسارح ، وحى للفقراء ،

وحى للأغنياء ، وحى الزنوج ، وآخر للزنوج ، وحى لليهود ، وهناك أراضى غير مسكونة ، وخالية من السكان . ولكل من هذه المناطق وظائف تختلف عن وظيفة المنطقة الأخرى .

ويعد أموس هاولى A. Hawley أحد أقطاب المدخل الإيكولوجى ، فقد عرف المجتمع المحلى بأنه : تلك الرقعة المكانية التى يرتبط بها ، وفيها السكان ، والتى تتم من خلالها تكامل الأفراد مع بعضهم البعض إستجابة لمتطلباتها اليومية وخصائصها .

غير أن التجاور المكانى وحده لا يؤدى بطريقة تلقائية إلى خلق مجتمع محلى ، بالإضافة إلى أنه لو حدث وهاجر الناس من المنطقة التى يقيمون فيها لاختفى المجتمع المحلى بالرغم من إستمرار المكان أو الاقليم .

كذلك يضيف بعض العلماء إلى الاقليم المشترك عنصراً أو أكثر لتحقيق شرط المجتمع المحلى . فمنهم من ذكر أن المجتمع المحلى وحدة سياسية محلية (قرية ، مركز ، أو مدينة) . ويؤخذ على هذا التعريف أن المدينة الكبيرة المتروبوليس ليست مجتمعا محليا واحدا . فالناس يتكدسون فى منطقة جغرافية ضيقة . ويتخلخلون فى منطقة أخرى . كذلك فان هذا التعريف ينقصه المشاركة الاجتماعية . وفى معظم المدن الكبرى فان الناس يسكنون فى منطقة ، ويعملون فى منطقة أخرى ، ويشترون إحتياجاتهم من منطقة ثالثة ، ويذهبون إلى المسارح والسينما فى منطقة أخري . وهناك من يسكن فى الضواحى على حافة المدن الكبرى .

وهناك من تبنوا منظورا ثقافيا فى تحليلهم للمجتمع المحلى ، فذهبوا الى

أن توحد الأفراد بمجتمعاتهم المحلية ينجم أصلا عن مشاركتهم فى عدد من القيم والمعايير والأهداف المشتركة والمعتقدات ، وبالتالى يصبح المجتمع المحلى فى نظرهم وحدة ثقافية فى المقام الأول . ففى رأى خبراء الشئون الاجتماعية للدول العربية الذين عقدوا مؤتمرا فى القاهرة عام ١٩٥٥ ، أن المجتمع المحلى هو مجموعة من الأفراد يتميزون بطابع ثقافى مشترك ، ويتميز بكل أو بعض الخصائص الآتية : —

١ — بقعة جغرافية محددة ثابتة إلى حد كبير .

٢ — مصالح إجتماعية وإقتصادية مشتركة .

٣ — مجموعة من العادات والتقاليد والروابط والقيم الاجتماعية ، تستشعر فيهم الشعور والإحساس بالانتماء لمجتمعهم .

ويؤخذ على هـــذا التعريف أنه أغفل أهمية وجود مؤسسة أو بناء تنظيمى يمكن عن طريقه أن يحقق أفراد المجتمع أهدافهم . كما أنه وإن كان قد عرض لبعض خصائص المجتمع المحلى ، فانه قد جانبه الصواب فى تحديد جوانب أخرى تشكل فى مجموعهـا محور المضمون فى عملية تنمية المجتمـــع (١) .

ولهذا نرى Lloyed Cook يعرف المجتمع المحلى بأنه : جمع من

---

(١) د. محمد كامل البطريق و د. محمـــد جمال شديد . تنمية المجتمع المحلى — دراسة تحليلية للأساس النظرى لمنهج تنمية المجتمع والأبعاد الرئيسية لمدى تطبيقه بفاعلية فى المجتمعات الريفية ص ٢٩ .

الناس يعيشون فى حيز ما يجعلهم فى اتصال مستمر ، ولهم خبرات متصلة ، وعندهم عدد من المؤسسات والنظم التى تعمل متعاونة على تنشيط الحياة بالمجتمع ، وتماسكه ، ووحدته . وقد وافق زيمرمان Zimmerman على هذا التعريف وأضاف إليه : . . . إن هذه المجتمعات تضع بصفة دائمة برامج لها لكى تحيا ، كما تكون لكل مجتمع محلى شخصيته التى تدفع أفراده إلى العمل المستمر لرفاهيته . (١)

ومن العلماء من قسم المجتمع المحلى فى ضوء عناصر سسيولوجية ، إذ أضاف البعض عنصر التفاعل الاجتماعى . ويحدث هذا التفاعل بدرجات متفاوتة بين الجماعات المختلفة . ويعتبر جورج لندبرج و . ر . م . ماكيفر من أنصار هذا الاتجاه . فقد عرف جورج لندبرج (٢) للمجتمع المحلى بأنه : تجمع من الناس يتوفر فيهم أدنى درجة من التجانس الجغرافى والتفاعل .

أما ماكيفر ، فقد عرف هذا المصطلح فى كتابه « المجتمع المحلى » Community ، بأنه منطقة للحياة المشتركة والعامة . قد يكون «قرية» أو مركز town ، أو مقاطعة district ، أو الريف Country ، أو منطقة أكثر إتساعا . وهى تتميز عن المناطق البعيدة عنها حيث تتسم الحياة العامة بسمات تميزها عن غيرها كحدود المنطقة ، وأنماط الأخلاق والتقاليد وأسلوب الحياة . وتلك هى مظاهر الحياة العامة .

---

(١) د. صلاح العبد . مبادىء علم الاجتماع ص ٢٠٣ .

(1) Peter Mann, An Apprcach to urban Sccio1ogy, p.p. 186 - 187.

ويرى ماكيفر وبيج أن السمة المميزة للمجتمع المحلي هي أن المرء يمكنه أن يحيا حياته كلها في داخله . فالانسان – مثلا – لا يستطيع أن يحيا حياته كاملة في داخـل مؤسسة تجارية أو في داخل كنيسه ، بينما يستطيع أن يفعل ذلك في داخل قبيلة ، أو مدينة . وعلى ذلك فالصفه الأساسية للمجتمع المحلي هي أن كل علاقات الفرد الاجتماعية يمكن أن توجد في داخله . ويضيف ماكيفر أنه يمكن النظر إلى المجتمع المحلي باعتباره جزءاً من مجتمع أكبر .

ويتبين من ذلك أن كلا من لندبرج وماكيفـر قد تناول مصطلح « المجتمع المحلي » من منظور مختلف ، ومع ذلك فقـد اتفقا على الأسس الآتية : —

١ – أن المجتمع المحلي يرتبط بمنطقة جغرافية .

٢ – تشير كلمة مجتمع محلي إلى تجمع من الناس يتميزون بطابعهم الخاص في حياتهم العامة ، أو أشكال التفاعل التي تميزهم عن غيرهم من التجمعات الانسانية الأخرى .

٣ – أن المجتمع المحلي مصطلح نسبي ، إذ ينظر إليه باعتباره مجتمعاً يتميز عن المجتمعات الأخرى . وهكذا فالمجتمع المحلي يعتبر مسألة درجـــة .

وينظر البعض إلى المجتمع المحلي باعتباره بناء وديناميكية . ويشير البناء الى تنظيم المجتمعات المحلية ، واختلاف بعضها عن بعض من حيث الشكل والحجم . أما الديناميكية فتشير الى التفاعل وأنماط التغير .

وتعتبر التربة الأساس البنائى للمجتمع المحلى ، فهى تمد الإنسان بالغذاء والمـــاء .(١)

وإعتبر شنور Schnore المجتمع المحلى وحدة أساسيه للبناء الاجتماعى. وتتمثل عناصره فى المظهر الديموجرافى والايكولوجى والبنائى . ويؤخذ على هذا التعريف أنه إستخدم ألفاظا غامضة مثل « الوحدة » و « الكيان » .

وذكر ردفيلد (٢) فى كتابه « المجتمع المحلى الصغير » أن المجتمع المحلى يتكون من كيانات متعددة متكاملة يكون المجتمع المحلى الصغير واحدا منها . ويتكون المجتمع المحلى الصغير من عناصر هى الأفراد والقوميه والحضارة . ويؤخذ على هذا التعريف أنه تصور المجتمع المحلى الصغير فى ضوء عدد من الصفات كالتباين والحجم الصغير والاكتفاء الذاتى وتجانس السكان . كذلك فان التجانس والاكتفاء الذاتى هى مسائل نسبية تضم عددا من الخصائص . فالقرية تشمل العديد من المهن والطبقات الاجتماعيه ، وفيها يتنوع الإنتساب الدينى والسياسى .

وجملة القول فان مصطلح « المجتمع المحلى Community » هو شكل من أشكال الجماعات يشير إلى مجتمع معين ، أو مجتمع ما داخل مجتمع أكثر إتساعا ، فاذا قلنا ـ مثلا ـ المجتمع المحلى الشيكاغى Chicago

(1) Charles H. Scuthwick., Ecclogy ond the Quality of cur Environment, p.p. 321–322.

(2) Peter Worseley, Introducing Sociology, p. 249.

Community ، فاننا نشير إلى هذا المجتمع بالنسبة إلى مجتمع أكثر اتساعا هو المجتمع الأمريكى American Society . وتعيش هـذه الجماعات على مساحة صغيرة من الأرض تجعلهم فى إتصال مستمر ينتج عنه التفاعل بين أعضائها ، ويعدهم هذا التفاعل للعمل على وحدة المجتمع الذين يعيشون فيه وعلى تماسكه ، ويتميزون بثقافة عامة ونسق إجتماعى ينظم نشاطاتهم ، وخـبرات مشـتركة ، ومؤسسـات عامـة تنظـم العلاقات بينهم .

وفى ضوء هذا يتضح أن المجتمع المحلى لا بد أن يتوافر فيه الشروط الآتيـــة : —

١ — يتوحد المجتمع المحلى بالضرورة بموقع ومكان محدد يعيش أفراده داخل منطقة جغرافية ذات خصائص فريدة ومتميزة ، طبيعية كانت أم مصطنعة ، مما ينجم عنه الاحساس بالمكان والمحل ، ويؤدى إلى أن كل فرد يشعر بأن له دوراً يلعبه ووظيفة يؤديها فى مقابل الوظائف والخدمات الأخرى التى يؤديها الآخرون . فلكل قرية أو مدينة حدود تفصلها عن القرى والمدن المجاورة ، وهى حدود معترف بها من سكان المجتمع المحلى ، وسكان المجتمعات المحلية المجاورة .

٢ — التفاعل الاجتماعى :

يتفاعل أفراد المجتمع المحـلى تفاعلا مستمرا حتى يتمكن الأفراد والمجتمع من تحقيق المصالح المشتركة . وهنا يتجلى عاطفة « نحن » التى تقود إلى الوعى الذاتى أو الوعى بالذات ، وإلى الانتماء ، والتميز عن مجتمع

محلى آخر . وفى العادة يترجم هذا الوعى الى إتجاهات لدى الأفراد ، كالاعتزاز والمباهاة بالمجتمع المحلى والولاء له والدفاع عنه . وكثيراً ما تخلق مثل هذه الاتجاهات النفسية والاجتماعية حواجز « نفسية » ذات أهمية قصوى بين المجتمعات المحليه المتجاورة .

وينجم من التفاعل قيم وسلوكيات ونظم مشتركة وثابتة . كما يتوفر فى المجتمع المحلى عدد من المؤسسات الاجتماعية كالأسرة والمؤسسة الاقتصادية والمؤسسة التعليمية والمؤسسة الدينية والإدارة الحاكمة . فوجود هذه المؤسسات ضرورة لتحقيق أهداف المجتمع المحلى . وجدير بالذكر أنه يوجد بين هذه المؤسسات الاجتماعية ترابط وتكامل فى خدماتها للمجتمع المحلى .

٣ — خاصية الاكتفاء الذاتى : —

المجتمع المحلى عبارة عن جماعة مكتفية بذاتها من الأفراد . فنى إطار المجتمع المحلى وحدوده يعتمد الأفراد على بعضهم البعض للقيام بالوظائف الأساسية ، كما ترتبط الأهداف الجمعية والنشاطات الفردية بتنوع واسع النطاق من الاحتياجات والمصالح والاهتمامات التى لا يمكن لمؤسسة أو تنظيم بعينه مهما كبر أن يواجهها فنى الوقت الذى لا يستطيع الفرد فيه أن يقضى حياته داخل مصنع أو تنظيم أو كنيسه ، يستطيع أن يفعل ذلك فى قبيلة من القبائل أو إحدى المدن . (١)

---

١) د. السيد عبد العاطى السيد . علم الاجتماع الحضرى — مدخل نظرى . ص ص ٥١ — ٥٢ .

وقد جرى العرف على تصنيف المجتمعات المحلية إلى ريفية وحضرية طبقا لحجم وكثافة السكان والمهنة سواء كانت زراعية أو تجارية أو صناعية .

المجتمع المحلى الحضرى والقروى :

ساد العرف فى معظم أفكار الفلاسفة والكتابات السيولوجية على تقسيم الحياة الاجتماعيه إلى نموذجين مختلفين ، النموذج الأول يتمثل فى الحياة الريفية ، والثانى فى الحياة الحضرية .

فقد تناول الفلاسفه المدينة ووصفوها فى مرتبة أعلى من القرية ، واعتبروها مركزا للعقلانيين ، ومحورا للأيديولوجية والثقافية والتكنولوجيا . ومع ذلك نجد فى ثنايا بعض الكتابات تحذيراً من أخطار الحياة فى المدينة ، وتأكيد لفضائل سكان القرى . فقد أقام أفلاطون مدينته فى وسط ريفى ، وفى رأيه أن مدينته المثالية يجب أن لا تتعدى ٥٠٤٠ نسمة .

واشترط أرسطو وجوب أن يعرف كل فرد الآخر فى المدينة . واعتبر حياة المدينة الحياة الأفضل . ومع ذلك فقد وضع الفلاحين فى مرتبة أعلى من غوغاء المدينة . وإن كان لا يضعهم ضمن الطبقه الحاكمة . فالحكم — كما يقول أرسطو — يتطلب مهارة خاصة لا تتوفر فى الفلاحين . ولاشك أن قوة الحكومة ، وقوة دولة المدينة تقوم على قدرتها فى المحافظة على قوة وحيوية طبقه الفلاحين .

ويبدو أن كلا من أفلاطون وأرسطو قد فقد الثقة فى التجار وأصحاب

الحرف ، ونظرا إلى حياتها باعتبارها مثالا للخسة وعدم الفضيلة كما كان أفلاطون وأرسطو خياليين . ونقد أرسطو أفلاطون بقوله أن المدينة التى تتكون من عشرة أفراد تفتقد إلى الاكتفاء الذاتى ، ولا تستطيع أن تحكم نفسها حكما صائبا . (١)

وتناول المفكر العربى ابن خلدون فصلا فى التمييز بين البدو والحضر ، وأشار إلى مجتمع البدو قاصدا به مجتمع الريف ، ومجتمع الحضر قاصـدا به مجتمع المدينة . وأرجع الفـروق بين المجتمعين إلى مصادر الانتاج والـــثروة

ومن المحقق أن دراسة الفروق الريفية والحضريه اكتسبت طابعا علميا مع مطلع هـذا القرن نتيجة للتطور الذى طرأ على مناهج البحث فى علم الاجتماع . وقد قدم علماء الاجتماع ثنائيات تقابل بين نوعين من المجتمعات يختلفان فى الخصائص والسمات المميزة لكل منهما .

ميزهنرى مين بين مجتمع يقوم على المكانة Status وآخر يقوم على التعاقد Ccntract . وطرح تونيز مقابلة بين مجتمع Gemeinschaft تشيع فيه روابط القرابة والعـــلاقات الأولية ، ومجتمع حضـرى Gesellschaft تسوده علاقات المصلحة والتعاقد . وأقام هوارد بيكر

(1) See jeffery R. Hadden & joseph j. Barten, (Ed.), New Tcwns and Suburban Dream, Ideelog and utopia in Planning and Develcpment, p. 33 & see Thelma. s. Baker, (Ed.), urbanizaticn of Man. A sccial Science Perspective, p. 165.

تفرقة تقوم بين مجتمع مقدس Sacred وآخر علمانى Secular .
ومزاميل دور كايم بين مجتمع يقوم على التضامن العضوى Organic Sclidarity يعتمد على المنفعة فى استجابة أفراده وتماسكهم ، ويقصد به المجتمع الحضرى، وآخر يقوم على التضامن الآلى Mechanical sclidarity حيث يتعامل أفراده تلقائيا ويستجيبون لبعضهم ميكانيكيا (١)

وحدد ردفيلد خصائص المجتمع الشعبى لكى يقابل به المجتمع الحضرى والمجتمع الشعبى – فى رأيه – مجتمع زراعى . لا يستخدم الآلة والعلم ، ويتسم بضآلة تقسيم العمل والتخصص والمهنى . وهو مجتمع متجانس يربط بين أعضائه إحساس قوى بالتضامن ، والسلوك فيه تقليدى وشخصى . وهذا المجتمع يطغى عليه كل ماهو مقدس على كل ماهو علمانى ، كما أن الاقتصاد يعتمد على المكانة أكثر من اعتماده على السوق . أما المجتمع الحضرى فهو على العكس من ذلك حيث يقوم على تقسيم العمل ، والنمو التكنولوجى الذى يؤدى إلى تنوع فى المهارات ، وتباين فى المهن .

وحدد لويس ويرث الخصائص المميزة للمجتمع الحضرى فى مقاله الشهير « الحضرية كأسلوب للحياة Urbanism as a Way of life » ، وذكر أن المجتمع الحضرى يتميز بالحجم والكثافة واللاتجانس . فكلما زاد عدد السكان ، وعظم تباينهم ، وضعفت الروابط القرابية والجيرة ،

(١) د عبد الهادى الجوهرى وآخرون دراسات فى التنمية الحضرية – مدخل إسلامى ص ٩٠ .

تظهر المنافسة وميكانيزمات الضبط الرسمى . وأضاف أن الحضرية كأسلوب للحياة تتميز بالعلمانية Secularization ، وظهور الجماعات الثانوية ، والميل نحو تفتت الأدوار ، وعدم وضوح المعايير .

أما سوروكن Sorokin وزمرمان Zimmerman ، فقد اعتبر المهنة المعيار الرئيسى للفروق الريفية الحضرية وينبثق عن هذا المعيار سلسلة من الاختلافات تتبلور فى ثمانية خصائص تستخدم المقارنة بين الريف والحضر ، وهى :

١ ـ المهنة Occupation

٢ ـ البيئة Environment

٣ ـ حجم المجتمع Size of Community

٤ ـ كثافة السكان Density of Population

٥ ـ التجانس واللاتجانس الاجتماعى
Homogeneity and Heterogeneity of Population

٦ ـ التمايز والتدرج الإجتماعى
Social Differenciation and Stratification

٧ ـ الحراك Mobility

٨ ـ نسق التفاعل System of Interaction

ويؤخذ على الثنائية الريفية والحضرية أن الريف والحضر يتساويان فى الاستمرار ، ويقترب الريف من الحضر ، ويقوم بينهما تأثيرات وعلاقات

متبادلة . إذ ليس هناك مجتمع ريفي خالص ومجتمع حضري مدني خالص ، بل هناك نوع من التدرج فيما يتعلق بالخصائص الحضرية والريفية تبدأ من القرية الصغيرة حتى المدينة الكبيرة . فما تزال بعض المدن تجمع في خصائصها ووظائفها خصائص ووظائف الحياة المدنية ، ونجد فيها بعض السمات الريفية بجانب الحياة الحضرية . وبالمثل نجد أن مظاهر النشاط العمراني في كثير من القرى وبخاصة المجاورة لحدود المدن الكبرى والداخلة في نطاقها تقترب إلى حد كبير في مظاهر النشاط العمراني من الحضر بحيث يبدو أن التمييز بين الحضر والريف هو تمييز نظري أو رسمي أو تعسفي أكثر منه تمييزا يستند إلى طبيعة الحياة الاجتماعية (١) .

ولا نقصد من ذلك تماثل الريف والحضر ، بل نعني أن تأثير المدينة واضح ومستمر ، إلى الحد الذي يصعب فيه التمييز . ففي المجتمع الأمريكي خاصة يخضع كل من أهل الريف والحضر لنفس وسائل الاتصال وأساليب السيطرة والخضوع التي تتمثل في مراكز الشرطة والقانون والمحاكم والسجون . وبالتالي لا تختلف أساليب حياة الناس التي تعيش في مدن صغيرة Towns تقع على تقاطع المواصلات . فهم يقعون تحت نفس الظروف ، وتتوحد سماتهم الشخصية ، ويستجيبون لرموز واحدة ، ويتوافق طموحهم وأذواقهم وشكل ملابسهم ويؤدون نفس الأعمال .

وفي فرنسا يكاد التمييز بين مجتمع القرية ومجتمع المدينة يكون معدوما ،

---

(١) انظر د. عبد المنعم محمد بدر . مجتمعنا الريفي — دراسة تحليلية مقارنة — في علم الاجتماع ص ٨١ .

حيث يبدو تنقل السكان دائما بين القرية والمدينة . كما أن وسائل الاتصال كالتليفزيون والراديو شكلت طريقة واحدة فى المعيشة لكل من سكان القرية والمدينة . (١)

وينطبق نفس الحال على دول أخرى مثل الاتحاد السوفييتى والصين الشعبية وبعض الدول الاشتراكية الأخرى ، حيث تتبنى تلك الدول لأساليب أيديولوجية قضية مؤداها إلغاء الفوارق بين الريف والحضر ، والقرية والمدينة إلغاء تاما ، وبالتالى عدم الفصل بين ما هو ريفى وما هو حضرى فى الدراسات الاجتماعية .

وترجع صعوبة إبراز الفروق الريفية / الحضرية إلى أربعة عوامل هى: العامل الريفى ، والعامل الحضرى ، والماضى ، والحاضر . إذ كيف نقارن بين الريف والحضر دون أن نضع فى إعتبارنا الزمن الذى حدثت فيه المقارنة ، حيث يستطيع عالم مقارنة قرية فى العصر الحالى بقرية فى عصر مضى ، بينما يستطيع آخر أن يقارن قرية فى عصر مضى بمدينة فى العصر الحالى . وتتضح المقارنة باستخدام هذه المتغيرات الأربعة طالما كان البعد الزمنى واضحا .

وتقع الصعوبة الأخرى فى تحديد المقصود من كلمة مجتمع ريفى . فهذا المصطلح يمكن أن يطلق على قرية بدائية فى افريقيا ، وعلى قرية فى

---

(1) See joseph Rouceck Contemporary Sociology, urban Scciology, p.p. 424 – 325 & see jean Paul Trystan, Sociologie et urbanism, p. 25.

الولايات المتحدة الأمريكية يعيش سكانها فى حالة ثراء . (١)

وعلى الرغم من ذلك، فقد اهتم بعض علماء الإجتماع خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، ببحث نمو المدن وإنتشارها والتعقد التى أصابها والتغيرات الإجتماعية التى حدثت فى اسلوب الحياة ، ومشاكلها الاجتماعية ، بينما اهتم آخرون ببحث الحياة الإجتماعية فى الريف ومشاكله ، خاصه أن الفروق بين الريف والحضر تبدو واضحه فى المجتمعات الناميه . فقد تحولت كثير من المجتمعات الريفيه الى مجتمعات حضريه ، وترتب على ذلك تحول وتغيرات جوهرية فى مظاهر الحياة الإجتماعيه وأنماط العلاقات والتفاعل والسلوك وطريقة الحياة مما دفع علماء الإجتماع إلى إستخدام منهج المقارنة بين المجتمعات الريفية والحضريه لفهم هذه التغيرات التى لا تزال تحدث حتى الآن .

---

(1) Peter Mann, ep. ct. p.p. 4–5.

الفصل الخامس

النظم الاجتماعية

النظم الاجتماعية

لا يستطيع إنسان أن يعيش بمعزل عن الآخرين ، فطالما وجد الفرد ، فانه يعيش مع بقية أفراد الجماعة حتى يشبع حاجاته الاقتصادية والمعنوية . وينتج عن هذه المعيشة الجمعية تفاعل اجتماعي وعلاقات اجتماعية منظمة فى صورها المادية والمعنوية . وهذا التفاعل لا يتم سبهللا ، وانما يتم بطرائق منظمة ، ويخضع لقواعد وضوابط معينة . وتتعدد هذه العلاقات وتتنوع بتنوع مطالب الجماعة ذاتها لتحقيق الوجود الاجتماعى .

وقد صنف علماء الاجتماع هذه العلاقات إلى أقسام كل منها يقوم بوظيفة معينة حسب الأغراض التى ينهض بها ، فالعلاقات الخاصة بالملكية والبيع والشراء والانتاج والتوزيع والاستهلاك تسمى بالعلاقات الاقتصادية أو النظم الاقتصادية . والعلاقات الخاصة بالقرابة والزواج والطلاق والميراث وتعدد الزوجات تسمى بالعلاقات أو النظم الأسرية . والعلاقات الخاصة بالعبادة ودفن الموتى تسمى بالنظم الدينية . وعند هذه النظم ينجز الإنسان أهدافه، ويجد حلا لمشاكله ، فالنظم هى عماد الجماعة، وبنيانها، ويقوم بنشاطاته وهى التى تهيء للمجتمع طابعه .

وعلى الرغم من شيوع هذا الاصطلاح ، فقد اختلف علماء الاجتماع فى تعريفهم له تبعا لوجهة نظر كل منهم ومن هنا نجد أنفسنا أمام عدد هائل من التعريفات ، ولهذا نكتفى بذكر بعض منها .

عرف الأستاذ نادل Nadel [1] النظام الاجتماعي بأنه طريقة مقننة

---

١) د. أحمد أبوزيد . المرجع السابق . ص ١٢٦

للسلوك الاجتماعي أو « طريقة مقننة للعمل المشترك » . ويرتبط النظام باعتباره سلوكاً مقنناً بوجود بعض الجزاءات الاجتماعية Social Sanctions . وربما كان السبب في اتباع الناس للنظم الاجتماعية في مجتمعاتهم وتمسكهم بهذه النظم خشية التعرض لهذه الجزاءات .

ويؤيد ذلك بريستيد Briestedt [١] إذ عرف النظام الاجتماعي بأنه : أسلوب محدد ورسمي ومنتظم لعمل شيء ما .

أما الأستاذ ماكيفر Maciver فقد قدم لنا أكثر من تعريف في كتبه المختلفة . ففي كتابه المجتمع المحلي Community يعرف النظام بأنه « الصور أو الأشكال التي يدخل الناس بمقتضاها في علاقات اجتماعية » . ولكنه في كتابه « المجتمع » Society يقول أنه يمكن تسمية كل ما هو مقرر اجتماعيا نظاما . فكل نظام لابد أن ينطوي على قدر معين من اعتراف المجتمع به وقبوله له وتدعيمه إياه ، وأن لكل نظام قدر معين من الثبوت والدوام . والثبوت دون التدعيم غير كاف ، فليس من المناسب أن يتحدث عن الفقر والفقراء على أنه نظام ، لأن المجتمع لم يقصد عمدا إلى إقرار الفقر وتدعيمه رغم وجود الفقراء بيننا دائما ، فالفقر نظام في سلك الرهبنة أو بين رجال اليوجا ، ولكن من الغلطة والقسوة بمكان أن نتحدث عن الفقر على أنه نظام في جماعة كبرى ، لمجرد التماثل الذي ينطوي عليه ذلك التدعيم .

ولهذا يذكر الاستاذ ماكيفر في كتابه الذي اشترك فيه مع بيج Page

1 - Paul B. Horton & Chester L. Hunt, op. cit. q. 168.

بعنوان « المجتمع » أن النظم الاجتماعية هى : الأشكال المقررة لأساليب العمل والسلوك فى الحياة الاجتماعية ـ أى أشكال من الترتيب والنظم أقرتها ودعمتها إدارة عامة مشتركة فى نطاق الحياة الاجتماعية . وفى مجال آخر يذكر أن النظم الاجتماعية هى أساليب نمطية للسلوك الاجتماعى، ويتكون منها الجهاز الذى عن طريقه يستطيع البناء الاجتماعى أن يستقر ويستمر . (١)

وقد أثار ماكيفر مسألة العلاقة بين المنظمات أو الروابط associations، وبين النظم Institution . فالأولى هى الجماعات المنظمة لمتابعة مصلحة أو عدة مصالح مشتركة . والثانية هى الصور المقررة والمميزة لنشاط هذه الجماعة ، فنحن ننتمى إلى منظمات وروابط ، ولا ننتمى إلى نظم ، فالأسرة التى ننتمى إليها هى منظمة أو رابطة لها نظم تضمن وصول العمل المشترك إلى أهدافه وتنظيم علاقة الفرد بالآخر ، مثل الزواج والعلاقة الزوجية، والمنزل.وعليه فالبناء الاجتماعى يتكون من المنظمات (الروابط) ، والنظم معا .

وقد أراد ماكيفر أن يفرق بين المنظمة أو الرابطة كجماعات تتكون من أعضاء لهم أدوارهم. فنحن ننتمى إلى روابط لا إلى نظم . أما النظم فهى عبارة عن مجموعة من القواعد والإجراءات المعترف بها لتنظم هذه الأدوار ـ أى الأسلوب أو الطريقة التى تؤدى بها الأعمال . فاذا نظرنا إلى طلبه أو معهد لهيئة من العميد والأساتذه والطلبة فاننا ننظر إليها كرابطة ، وإذا نظرنا إليها كأداة للتعليم ، فاننا ننظر إليها كواحدة من النظم السائدة .

---

١) انظر ر م ماكيفر الجماعة ـ دراسة فى علم الاجتماع ص ١٩٦

وفرق ماكيفر بين النظم من جهة والعرف والأعراف من جهة أخرى . فذكر أن العرف والأعراف طرائق ثابته لاتصال الناس بعضهم ببعض ، وهي ليست نظام ، بل هي المادة الخام للنظم .

واستخدم هـ. م بارنز كلمه «البناء» في تعريفة للنظم الاجتماعية السائدة. فقد عرفها بأنها البناء الاجتماعي والآلة التي عن طريقها ينظم المجتمع الإنساني . كما يوجه وينفذ نواحي النشاط المتعددة المطلوبه لإشباع الحاجات الإنسانية واستنادا إلى هذا المعنى تعتبر الأســـرة الدولة والزواج والحكومة نظما ســـائدة .

ويرى مالينوسكى أن النظم الاجتماعية « وحدات للنشاط البشرى المنظم » وفكرة النظام عند مالينوسكى تقتضى وجود اتفاق عام فى المجتمع على فئـة معينة من المعايير تتألف من المهارات المكتسبة والعـادات والقيم الخلقية والقانونية ، كما أنها تتضمن فى الوقت نفسه وجود جماعة من الناس ينتظمون فيما بينهم ويدخلون فى علاقات محددة أحدهم بالآخر

هذا وتترابط النظم الاجتماعية بعضها مع بعض بحيث يؤثر ويتأثر كل منها بالآخر ، ويدخل فى نموذج يمثل الحيـــاة الاجتماعية ككل فى مجتمع معين .

من جملة ماسبق يتبين أن النظم الاجتماعية عبـــارة عن تنظيم التفاعل الاجتماعى الذى هو قاعدة العلاقات الاجتماعية ، متضمنا ذلك مجموعة من المعايير والاجراءات تتفق عليها الجماعة ، والتى تحدد أنماط السلوك والفعل الاجتماعى وهى تحدث بطريقة منظمة ورتيبه . وترمى إلى تحقيق هدف

محدد بالذات ، وتؤدي وظيفة ودورا معينا لتصون البناء الاجتماعي ، وتحافظ عليه . ومن أمثلة ذلك النظم الأسرية والدينية والاقتصادية والسياسية والتربوية والترويحية ... الخ .

خصائص النظم الاجتماعية :

١ — من خصائص النظم الاجتماعية أنها تلقائية ـ أى ليست من صنع فرد أو أفراد ، ولكنها من صنع المجتمع والحياة الاجتماعية ، فيولد الفرد فيجد النظم الاجتماعية سابقة لوجوده فيتشربها . وإنه لمن الأهمية أن ندرك العلاقة بين الحياة الاجتماعية والنظم . فكل لون من الحياة الاجتماعية يخلق النظم الملائمة له . فالحياة الدينية فى المجتمع المسيحى تخلق النظم الكنسية ، وفى المجتمع الإسلامى تخلق المسجد وتخلق الحياة التجارية النظم الاقتصادية .

ومع ذلك ، فهناك نظم مقننة ، وهى النظم التى ينشئها المجتمع بشكل شعورى وتنظيم واعى ومقصود لتحقيق أهداف معينة ، ويحددها بقواعد وقوانين كنظام التأمين ونظام التعليم .

٢ — للنظم الاجتماعية صفة العمومية ، ولكنها نسبيه ، بمعنى أن يؤخذ فى الاعتبار دائما الجماعه المحليه التى تقبل هذا النظام وتمارسه ، فكثيرا ما يتخذ السلوك الاجتماعى شكل النظام المقرر فى مجتمع معين بالذات دون أن يستتبع ذلك بالضرورة قبول ذلك « النظام » أو « شيوعه » فى المجتمع الكبير الذى يكون هذا المجتمع المحلى جزءا منه .

٣ — للنظم الاجتماعية قوة الجبر والالزام ، إذ هى مدعمة بجزاءات

معاييره قوية ، والأفراد مجبرون على اتباعها ، ومن يخرج عليها يلقى العقاب المادى أو المعنوى، ولهذا فهى تعتبر نوعا من أنواع الرقابة والضبط الاجتماعى، مما يعمل بالتالى على أن تكون أكثر عناصر البناء الاجتماعى ثباتا واستقرارا، ومقاومة التغير ، مما يؤدى إلى تثبيت دعائم الحياة الاجتماعية واستقرارها . وهذا لايعنى أنها لاتتغير على الاطلاق ، ولكنها تتغير ببطء خلال فترات طويلة مصاحبه للتغيرات الأخرى فى المجتمع .

٤ — تتداخل وتترابط النظم الاجتماعية فيما بينها ، وهذا يعنى أن كلا منها يؤثر ويتأثر بالآخر، وكل نظام يتكيف مع النظم الأخرى فحين ندرس النظام الأسرى- مثلا- لايمكن أن نغفل تأثيره وأثره فى النظام الاقتصادى، والنظام السياسى ، والدين ، والتربية . وعلى ذلك فان ادراك العلاقات المتبادلة بين النظم الاجتماعية أمر جوهرى لفهم جوهر الحياة الاجتماعية .

ومع ذلك فان مدى التأثير المتبادل ، واتصال النظم أو انفصالها بعضها عن بعض يختلف من مجتمع لآخر . ففى المجتمعات البدائية يقوم نظام واحد (النظام العائلى) بجميع وظائف النظم الاجتماعية الأخرى ، بعكس الحال فى المجتمعات المتقدمة أو الحضرية حيث يستقل كل نظام فى عمله عن النظم الأخرى . كذلك ففى جميع المجتمعات يحدث تعديل فى جميع النظم الاجتماعية أو بعضها على الأقل إذا حدث تعديل فى إحداها ، ولكن الاختلاف هو فى درجة ومدى التعديل الذى يطرأ على النظم الاجتماعية الأخرى ، من مجتمع إلى مجتمع آخر .

. ليس النظام مجرد ظاهرة بسيطة فى تكوينها ، حيث تبلغ النظم

الاجتماعية درجة كبيرة من التعقيد ، ويدخل في تكوينها عدد كبير من العناصر المتداخلة والمتشابكة . فالنظام الأسرى ومع ما يبدو من بساطته ، إلا أننا يمكن أن نميز فى هذا النظام ثمانية أنماط على الأقل من العلاقات الاجتماعية الأساسية لكل منها وظيفتها المحددة ، وهى : ـ

أ ـ علاقة الزوج والزوجه التى تقوم على أساس الحقوق الزوجية والجنسية والمسئولية المشتركة نحو البيت والأولاد بكل مايتضمن ذلك من العنايه بالأطفال وتنشئتهم ، وتقسيم العمل بين الزوج والزوجه ، وحقوق كل منهم فيما يتعلق بالملكية والسلطة والطلاق وما إلى ذلك .

ب ـ علاقة الأب والابن التى تقوم على مسئولية الأب نحو أبنـــه ، وما يشتمله عليه من تأديب وتعليم ، وما يقابل ذلك من وجوب الطاعة واحترام من جانب الابن ، ثم علاقات التعاون الاقتصادى فى نواحى النشاط المختلفة التى يضطلع بها الذكور خاصة بعد أن يكبروا .

حـ ـ علاقة الام والابنه فيما يتعلق بالمساعدات التى تتوقع الأم أن تتلقاها من ابنتها حين تكبر .

د ـ علاقة الاب بابنته ومسئوليته إزاء حمايتها ومساعدتها ماديا حتى بعد الزواج فى كثير من الاحيان ، كما تتضمن هذه العلاقة موقف الاب من أبنتـه وطريقة تدليله لها وهى صغيرة ، وكيف تتغير هذه العلاقة تدريجيا بتقدم عمر البنت .

هـ ـ العلاقة بين الام والابن والدور الذى تلعبه الام فى تنشئة الابن الذكر ، والتصاق الابن بأمه فى فترة الحياة المبكرة ، ثم استقلاله التدريجى

عن محيط النساء، وكذلك الدور الذى يلعبه الابن فى حياة الأم ، ومسئوليته نحوها حين يتقدم بها السن خاصة بعد أن يموت زوجها .

و ـ العلاقة بين الأخوين ، وهى فى الغالب علاقة زمالة فى اللعب أثناء الطفولة ، ولكنها لا تلبث أن تتطور إلى علاقة تعاون اقتصادى فى كثير من المجتمعات التقليدية ، كذلك مسئولية الأخ الأكبر نحو إخوته الصغار خاصة بعد موت الأب .

ح ـ العلاقة بين الأختين ، والتى تتسم بعنايه الأخت الكبرى باختها الصغرى ، وموقفها منها موقف الأم ، خاصة إذا كان فارق السن كبيرا .

ط ـ العلاقة بين الاخ والأخت ، وهى علاقة زمالة فى اللعب أثناء الطفولة ، وإن كان هذا يتوقف إلى حد كبير على فوارق السن بينهما ، ثم لاتلبث هذه العلاقة أن تتطور تدريجيا بحيث يطرأ عليها نوع من التحفظ فى السلوك إزاء أحدهما الآخر .

وظائف النظم الاجتماعية : ـ

١ ـ أن النظم الاجتماعية فى وحدتها وترابطها هى التى تؤلف البناء الاجتماعى الشامل المتماسك ، وهى التى تكون الحياة ككل فى المجتمع .

٢ ـ تشكل النظم الاجتماعية القيم والرموز والشعارات والقوانين والمعايير الاجتماعية ، وتقوم بمهمة الضبط . ويبدو شكلان من ضبط النظم ، أولهما : هذا الضبط الذى يفرضه كل عضو فى الجماعة أو الرابطة على

نفسه عندما يدرك الحاجة إلى التقيد بنظمها إذا أراد بلوغ الغايات التى تحددها هذه النظم . أما الشكل الثانى من أشكال الضبط فهو أضيق حدودا ، وهو الذى يفرضه فى نطاق النظم بعض أعضاء المجتمع بعضهم على بعض ، أى يعرضه نفر من النـاس ممن هيأت لهم وفرة عددهم أو عـلو مكانتهم إسبل التحكم فى تكوين النظم والمحافظة عليها .

٣ – تعتبر النظم الاجتماعية أحد العوامل الرئيسية التى تشكل الإنسان الاجتماعى ، وتعطيه دوره ، ومركزه فى المجتمع . كما أنه توجـه السلوك الجمعى الذى تريده حسب أهدافها ووجهتها ، لأنها بمثـابة طريقة وأسلوب للعمل الذى يتبعه الفرد . كما تقـدم للفرد والجماعة طرق مواجهة المشاكل العامة للحياة ، وهذه الطرق هى جزء من ثقافة المجتمع .

٤ – يؤدى كل نظام وظيفة فى الحياة الاجتماعية ، وتحقق بالضرورة غرضا محددا ومعينا بالذات مادام المجتمع يعترف به ويقره . ومع ذلك نجد أن النظام الاجتماعى يؤدى أكثر من وظيفة ، فقـد ذكر ميرتون أن النظام الاجتماعى يقـــوم بوظيفة ظاهرة ووظيفة كامنه ، وفى الأغلب وظيفة أساسية أو مركزية . وإلى جانبها عدد كبير من الوظائف الجانبية أو المساعدة . فالوظيفة المركزية للعائلة ، والتى تنفرد بها دون غيرها من النظم الاجتماعية هى إنجاب الاولاد الشرعيين ، مع ضمان استمرار نوع معين من العلاقات التى تقوم على المحبة والتعاون بين الاشخاص الذين يعتبرون أقارب تبعا لقواعد معينة تسود فى ذلك المجتمع . ولـكن إلى جانب هذه الوظيفة المركزية التى تؤديها العائلة هناك وظائف أخرى اقتصادية ودينية وتربوية وتعليمية وسياسية .

تصنيف النظم الاجتماعية : —

اختلف العلماء فى تصنيفهم للنظم الاجتماعية حسب وجهة نظر كل منهم . ونذكر هنا بعضا من هذه التصنيفات .

١ — فرق بعض علماء الاجتماع بين النظم الاجتماعية الموجودة فى المجتمعات المتجانسة . والنظم الاجتماعية الموجودة فى المجتمعات المتمدينة ، ففى الأولى تقوم العلاقة على أساس دموى قرابى Kinship ، ويقوم الآباء والاقارب بتفسير قواعد النظم الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية لأبنائهم . كما تميل النظم الاجتماعية فى هذه المجتمعات إلى القيام بوظائفها داخل إطار القرابة الدموية .

يقول العلامة إيفانز بريتشارد [١] فى وصف قبيلة النوير بالسودان : إذا أردت أن تعيش بين أعضاء مجتمع « النوير » ، عليك أن تحترم النظم التى تسمح لك بذلك، وتنص تلك النظم على معاملتهم كأقارب لك وهم يعاملونك كأحد أقاربهم ويترتب على تلك العلاقات القرابية حقوق وواجبات ومميزات ، وفى ذلك المجتمع يكون الفرد إما قريبا لجميع أفراده أو غريبا ويعامله معاملة الاعداء . ومن هذه العبارة يتبين أنه ليس من الضرورى أن تكون العلاقة بيولوجية ، إذ كثيرا ماتكون قرابة اجتماعية .

وقد أظهرت الدراسات الميدانية اهتمام المجتمعات البدائية بالنظام القرابى بصورة أقوى كثيرا من المجتمعات المتمدينة ، وفيما يلى عبارات بسيطة جاءت

---

(١) د عاطف وصفى الانثروبولوجيا الاجتماعية ص ص ١٧٣ — ١٧٤

على لسان أحد الهنود الحمر من قبيلة « بومو » بكاليفورنيا . يقول الرجل : ماهو الرجل ؟ الرجل لاشيء فهو بدون اسرته يصبح أقل أهمية من بقعة تافهة ، بل أقل أهمية من بصقة ، فعلى الاقل يمكن استخدام الاهـل فى المساعدة فى وضع السم للعدو ، أما إذا كان الرجل بدون أهل فلن توافق امرأة على الزواج منه .

أما فى المجتمعات المتمدينة ، فتخف حدة سيطرة الجماعة القرابية على أنشطة السلوك الاجتماعى ، إذ نجد المدارس ودور العبادة والنوادي ودور السينما هى التى تقوم بهذه الوظائف والأسرة ليست بتلك الاهمية الموجودة فى المجتمعات المتجانسة ، حيث تقوم الشرطة بحماية الفرد ، كما تقضى المحاكم بأحكامها العادلة على الافراد ، وتقوم مكاتب البريد بتوصيل الرسائل ... وهكذا . ولهذا فإنما مانقول أن الحدود التنظيمية المختلفة فى المجتمع الحضرى تكون متمايزة ومرئية عما هى عليه فى المجتمع المتجانس .

٢ ـ وهناك علماء يصنفون النظم الاجتماعية على أساس وجودها فى المستوى المحلى والقومى والدولى إذ من المعروف أن النظام الاجتماعى لايوجد إلا فى جماعة معينة بالذات هى التى تعترف به وتقره وتمارسه . ومع ذلك فهناك نظما اجتماعية على المستوى الدولى Internaticnal instituticns فهناك نظم دينية دولية كالكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، ونظم سياسية دولية كمحكمة العدل الدولية ، وعصبة الامم فيما بعد الحرب العالمية الاولى ، وهيئة الامم المتحدة فيما بعد الحرب العالمية الثانيه ، والاحزاب الشيوعية فى العالم . كما أن هناك نظما أقتصادية على المستوى الدولى مثل اتحادات العمال

الدولى ، والبنوك الدولية كذلك هناك نظم دولية للترفيه والفنون والعـــلوم

٣ — وهناك تصنيف يقوم على أساس انتشار النظام الاجتماعى ، إذ أن هناك نظما اجتماعية عامة الانتشار ، وأخرى محدودة الانتشار ، الأولى مثل النظام الدينى فى مجتمعنا : فهو نظام عام الانتشار . أما النظم المحدودة الانتشار مثل نظام الكشافة ، فهو نظام محدود الانتشار ولانتساب فئـة ضئيلة من السكان اليه .

٤ — وهناك تصنيف يقوم على أساس أن هناك نظما اجتماعية أساسية basic ، ونظما اجتماعية غير أساسيه وإضافية Sub-sidery . وتشمل النظم الاجتماعية الأساسية جميع النظم التى تعتبر ضرورية لقيـام الصورة أو الشكل الاجتماعى — أى أن المجتمع لا يوجد بدونها . فهى الحد الأدنى الذى لابد من توافره لاستمرار المجتمع ورسوخ بنيانه . وهى أنساق كبرى تتألف فى الواقع من عدد كبير من العناصر ، وذلك مثل النظم الأسرية والدينية والاقتصادية والسياسية والتربوية .

أما النظم الاضافية، فهى وإن كانت مفيدة، إلا أنها تعتبر غير ضرورية لقيام الشكل الاجتماعى ، أى أن الحياة الاجتماعيه لاتتوقف بدونها ، ومن الأمثلة على ذلك النظم الخاصة بالترفيه والرعاية الاجتماعية .

ويقول العلامه بالارد Ballard [١] إن مايدخل ضمن النظم الأساسية والاضافية يتوقف على الثقافة السائدة فى المجتمع والظروف السائدة فيه ، إذ أن مايعد نظاما أساسيا فى مجتمع ما قد يعد إضافيا فى مجتمع آخر ،

---

١ — د. حسن شحاته سعفان . المرجع السابق ص ٧١ .

والعكس بالعكس . فالنظم التعليمية والترفيهية تختلف أهميتها من مجتمع لآخر .

٥ – ومن العلماء من صنف النظم الاجتماعية حسب الوظيفة التى تؤديها أو يمكن أن يؤديها كل نظام منها فى الحياة الاجتماعية ككل . فها هو « هربرت سبنسر » فى كتابه مبادىء علم الاجتماع Principles of Sociology يحاول أن يصنف كل انماط السلوك الاجتماعى فى سته من النظم هي : النظام العائلي ونظام الطقوس أو الشعائر ، والنظام السياسى ، والنظام الدينى أو الكنسى ، والنظام المهنى ، ثم الصناعة . وقد أضاف بعض العلماء إلى هذا التصنيف النظم التعليمية ، والنظم المتعلقة بالرعاية الاجتماعية .

النظم الاسرية

تعريف الأسـرة :—

يشترك كل من الإنسان والحيوان فى الغريزة الجنسية ، إلا أن الإنسان يميز بين العلاقات الجنسيه المسموح بهـــا والعلاقات الجنسيه المحرمة أو الممنوعة ومعنى ذلك أن الجماعات الإنسانيه لاتعتبر العلاقـة بين الجنسين فردية أو بيولوجية ، وإنما تعتبرها إلى جوار ذلك خلقية أو اجتماعية ، وما الزواج إلا وسيلة اتخـذتها الجماعات لتنظيم هذه العلاقة . وعلى ذلك تعتبر الأسرة نظاما اجتماعيا تساهم بنصيب كبير فى نظم الجماعة ، وفى تنظيم الغريزة الجنسية ، وهو يقوم على تفضيل العلاقة الدائمـة بين الطرفين ، والرغبه فى الحياة المشتركة ، وما يشجع على ذلك احتقار الجماعة لمن ينصرف عن الزواج إلى علاقة أخرى من العلاقات التى يستنكرها المجتمع [١].

والأسرة من أهم النظم الاجتماعية ، وأقدمها . وهى موجودة فى كل المجتمعات الإنسانية فى العـــالم وعبر التاريخ ولايخلو منها أى مجتمع من المجتمعات ، فهى نواة المجتمع وهى تعكس صفاته . وهى ذات أشكال متعددة ، وتبعا لذلك اختلف علماء الاجتماع فى تعريفها ، واصطلاح الأسرة الذى يقابل لفظ Family بالانجليزية يعنى معيشة رجل وامرأة أو أكثر ، على أساس الدخول فى علاقات جنسية يقرها المجتمع ، وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات ، كرعاية الأطفال المنجبين وتربيتهم ، ثم امتيازات كل من الزوجين إزاء الآخر ، وإزاء أقاربهم وإزاء المجتمع ككل . فـما

---

١ — د. عبد الحميد لطفى . المرجع السابق ص ص ١٠٩ — ١١٠

هو بيرجس ولوك فى كتابهما « الأســـرة The Family » ١٩٥٣ وضعا تعريفا للأسرة مضمونه أنها جماعة من الأفراد يربطهم الزواج والدم أو التبنى يؤلفون بيتا واحدا ويتفاعلون سويا ، ولكل دوره المحدد كزوج أو زوجة ، أب أو أم ، أخ أو أخت مكونين ثقافة مشتركة .

ويؤخذ على تعريف بيرجس أنه يتغاضى عن الاختلافات الحقيقية التى توجد داخل بناء الأسرة سواء بين المجتمعات أو داخل مجتمعات معينة . ويمكن اعتبار تعريفه تعريفا للأسرة النووية nuclear Family ، وهى عبارة عن جماعة من الناس مكونه من الزوج والزوجة والأطفال غـــير البالغين ، وتكون وحدة كجزء من المجتمع المحلى .

أما كلمة عائلة extended family فهى تطلق على الجماعة التى تقوم فى مسكن واحد وتكون من الزوج والزوجة وأولادهما الذكور والإناث غير المتزوجين ، والأولاد المتزوجين وأبنائهم وغيرهم من الأقارب كالعم أو العمـة والابنة الأرمل الذين يقيمون فى مسكن واحد ، ويعيشون حياة اجتماعية واقتصادية واحدة تحت إشراف رئيس العائلة . فهـا هو كل من N.W. Beli and F.F. Vagel يعرف الأسـرة الممتـدة فى كتـابهما Modern Introduction to the Family « ، ١٩٦٠) بأنها « أى تجمع من الأسرة النووية تربطه علاقات السلالة ، الانحدار ، أوالزواج ، أوالتبنى .

خصائص الأسرة :

تتميز الأسرة بعدد من الملامح البارزه هى :—

١ ـ العمومية . فهى تقريبا أكثر الاشكال الاجتماعية عموميه فقد

وجدت فى كل المجتمعات ، وفى كل مراحل النمـو الاجتماعى يكاد يكون كل إنسان ، أو كان بالفعل عضوا فى أسره ما .

٢ ـ الحجم المحدود : فهى بالضرورة جماعة محدودة الحجم جدا ، ولذلك فهى أصغر الكل إذا قيست بالنظم الأخرى ، وهى نواة الحياة الاجتماعية

٣ ـ تقوم الأسر على زواج داخلى أو خارجى ، ويقوم ذلك على أساس نظره المجتمع إلى الأقارب باعتبارهم محارم لايجوز الزواج منهم ، أو الرغبه فى توسيع نطاق العلاقات القرابية والمحافظه على الثروة والعصبية. وقد يتم اختيار الزوجات (أوالأزواج الرجال) بواسطة الوالدين الكبار، وقد يترك الاختيار حسب رغبة الأفراد المعنيين . ويرتبط الزواج دائمـا باقامة الطقوس والشعائر والاحتفالات التىقد تكون كبيرة ، عظيمة ومعقدة فى بعض المجتمعات ، أو بسيطة فى مجتمعات أخرى . ففى مجتمع الكووروما I w.on a يجرى الاحتفال بقيام العريس بتجهيز طعام الغذاء للحاضرين[1].

٤ ـ إن أكثر الاسر انتشارا هو ذلك الذى يقوم على أساس من الزوج الواحد والزوجه الواحدة وأطفالها . ومع ذلك فقد رأى العلامة « ميردوك » نتيجة لدراسته ل ١٩٢ مجتمع إنسانى أن ٢٥٪ منها (٤٧ مجتمع) يأخذ بنظام الاسرة الزواجية المكونه من زوج واحد وزوجة واحدة وأطفالها ، وأن ٤٨٪ (٩٢ مجتمع) يأخـذ بنظام الاسر الممتدة (تكون على الاقل من عائتين صغيرتين إحدها امتدادا للأخرى، و٢٧٪

---

1 — See A. W. Green, op· cit· P, 289

من تلك المجتمعات ٥٣ مجتمع ، تأخذ بنظام الاسره متعددة الزوجات أو الازواج[١].

كما دلل مورجان وانجلز على وجود أمثلة من الزواج الشيوعى أو الجماعى فى المجتمعات البدائيه . أما وستر مارك فقد قدم الادلة التى تثبت أن الاسر البدائيه كانت أسرا وحدانية .

وجملة القول أن هناك أنواعا ثلاثة من الزواج :

١ ـ الزواج الوحدانى (وحدانيه الزواج والزوجة)

٢ ـ الزواج المتعدد (تعدد الازواج أو الزوجات) أى زواج أمرأة واحدة بأكثر من رجل ، أو زواج رجل واحد بأكثر من امرأة .

٣ ـ الزواج الجماعى .

وبالإضافة إلى ذلك هناك نظام الزواج الليفراتى Leviratic ، وهو الذى يقضي بانتقال الارمله إلى أخي زوجها المتوفى بعد موته

أما من زاوية انتساب الاطفال إلى أبيهم أو أمهم ، فقد قدم باخوفين أدلة تثبت أن النظام الاموى كان سابقا فى الوجود على النظام الابوى فى المجتمع الانسانى ، وذلك على عكس هنرى مين الذى جمع أدلة تثبت أن النظام الابوى كان موجودا فى الصور الاولية للأسره .

٥ ـ للاسرة طبيعية مزدوجة ، تتمثل فى أن كلا من الزوج والزوجة

---

١ ـ د. عاطف وصفى المرجع السابق ص ١٣٨

يرتبط بأسرتين يكون فى واحدة منها الابن أو الابنة ، ويكون فى الأخرى الأب أو الأم

٦ — الأسرة دائمة ومؤقتة . فهى دائمة من حيث كونها نظاما موجودا فى كل مجتمع إنسانى فى كل زمان ومكان ، وهي مؤقته من حيث أنها تأخذ فى الانهيار عندما يتزوج الأبناء ، وفى حالة موت الزوج أو الزوجة ، وتنهار تماما وتختفى بموت الزوجين . وتقوم وتحل محلها أسرة أخرى وهكذا

٧ — يعيش أعضاء الاسرة الزواجية تحت سقف واحد ، قد يكون حجرة صغيرة أوشقة فاخرة أو كوخ بسيط أو قصر عظيم وقد اختلفت المجتمعات فى تحديد مكان بيت الزوجة . فهناك من تسكن مع أسرة الزوج، ويطلق على هذا اصطلاح Virilccal ، وهناك من تسكن مع أسرة الزوجة uxcrilccal ، وهناك من المجتمعات من يترك للاسرة الزواجية الجديدة حرية السكن مع أسرة الزوج أو أسرة الزوجة Bilccal ، وهناك من تسكن مع أسرة خال الزوج Avunculccal ، وأخيرا هناك مجتمعات لاتحدد مكان مسكن الاسرة الزواجيه الجديدة . وإنما يترك ذلك لحريتها تبعا لمؤثرات أخرى مثل قرب المسكن من عمل الزوج أو عمل الزوجة .

ويلاحظ أن كثيرا من المجتمعات تجمع بين أكثر من نظام واحد من النظم السابقة الذكر ، فمثلا عند قبائل الهنود الحمر يعيش الزوجين عند أهل الزوجة فى الستة شهور الأولى من الزواج . ثم ينتقلان إلى منزل جديد بالقرب مسكن أهل الزوج حيث يستقران فيه وبالنسبة لقبائل

الأشانتي بغرب أفريقيا يوجد نظام السكن مع أسرة خال الزوج ونظام السكن مع أسرة الزوجة .

٧ – يبدو النظام الاسرى بسيطا . ومع ذلك فهو يشتمل على عدد من العلاقات الاجتماعية المعقدة . فمثلا عند الزواج يدفع المهر ، وهو يتألف من عدد من الظواهر الاجتماعية التي تختلف من مجتمع لآخر ، فقد يكون المهر نقودا ، وقد يتألف من بعض السلع الاستهلاكية أو الممتلكات أو الماشية ، كما يختلف مقداره وطريقة الاتفاق عليه وطريقه دفعه ، ومايلازم ذلك من مراسيم وطقوس معقدة من مجتمع لآخر ، وفي بعض المجتمعات يستعاض عن المهر بتبادل الزوجات والازواج بين العائلتين [١].

وظائف الأسرة :ـ

تتنوع أشكال الحياة الأسرية وتختلف من مجتمع إلى آخر ، وحتى في المجتمع الواحد من زمن إلى زمن . ومع ذلك فان وظائفها واحده في كل المجتمعات ، حيث تواجه العديد من المطالب والاحتياجات . وتقوم الأسرة بعدد من الوظائف الأساسية هي الوظيفة الجنسية ، ووظيفة الانجاب والتكاثر ، والوظيفة اقتصادية ، والوظيفه التربويه .

وفيما يتعلق بالوظيفة الجنسية ، فان الأسرة هي النظام الرئيسي التي من خلالها يشبع الفرد رغباته الجنسية . ولاعجب إذا لاحظنا أن كثيرا من حالات الطلاق تتم بسبب الضعف الجنسي . وهكذا يمكن القول أن الوظيفة الجنسية تؤدى إلى تقوية العلاقة الاجتماعية بين الزوج والزوجة .

---

١ ـ د. أحمد أبو زيد . المرجع السابق ص ١٣٤

ومع ذلك فقد أثبتت الدراسات الميدانية أن بعض المجتمعات لاتعطى أولوية لهذه الوظيفة ، فهى تسمح بالاتصال الجنسى للصغار قبل الزواج ، أو خارج نطاق الأسرة . وتعتقد بعض المجتمعات أن عذريه الفتاة أمر لا أهمية له ، وتنظر إلى الممارسات الجنسية على أنها إعداد للزواج ، وليست من قبيل الترفيه . وفى قبيلة « بانارو » بغينيا الجديدة لايسمح للعريس أن يتصل بعروسه إلا بعد أن تلد نتيجة اتصال جنسى بين العروس وأحد أصدقاء والد العريس . وهذا يعنى أن المسموحات الجنسية تختلف من مجتمع إلى آخر [١].

وتحقق الأسرة الوظيفة التكاثرية أو الإنجاب ، حتى تحافظ على النوع ، ويدوم ويبقى المجتمع ويستمر فى الوجود . وليس أدل على ذلك من أن الأطفال الذين يولدون خارج نطاق الأسرة يعدون أطفالا غير شرعيين . أما الأطفال الذين تنجبهم الأسر فهم أطفال شرعيون رسميون ومقبولون ومعترف بهم من قبل المجتمع .

هذا ولايخلو أى مجتمع من المجتمعات من الاحتفالات والطقوس التى تجريها الأسرة احتفالا بمولود جديد ، كما تفرض المجتمعات جزاءات على الوالدين أو أحدهما فى حالة قتل طفلها هذا بالإضافة إلى الأساس العاطفى الذى تقوم به الأسرة ، فهى توفر للأطفال الحنان والعطف . وقد تبين بصورة واضحة أن الكثير من الامراض الفيزيقية يعود إلى الافتقار إلى الحب والدفء والعلاقات العاطفية .

---

١ ـ أنظر د محمد عاطف وصفى . المرجع السابق ص ١٣٩

وتقوم الاسرة كذلك بحماية أطفالها ، وتربيتهم ، فهي تحتضنهم ، وتطعمهم ، وتأويهم ، وتكسيهم . وتحميهم من الامراض من أجل الحفاظ عليهم . وفي كثير من المجتمعات يعد الاعتداء على أحد أعضاء الاسرة اعتداء على الاسرة بأكلها . كما يترابط أعضاء العائلة من أجل الدفاع أو الانتقام من عدو . ولاعجب إذا رأينا الاب مسئول عن حماية ابنته ومساعدتها ماديا حتى بعد الزواج في كثير من الاحيان ، والام تتعلق بأطفالها وتتفانى في العناية بهم بدافع الامومة التي تقوم على أساس ما تواجهه من صعاب ومشاق خاصة بالحمل والولادة والرضاعة . هذا ولايقتصر توفير الراحة والطمأنينة على الاطفال ، بل أنه يمتد إلى الكبار الذين يجدون لذة ومسرة في مداعبة أطفالهم .

وفي هذا تقول العلامة « مارجريت ميد » لقد تبين بصورة واضحة أن الاطفال الذين يوضعون في مؤسسات خاصة بعد الولادة تصيبهم مشاكل وأمراض كثيرة رغم رعايتهم رعاية جسمية جيدة ، إذ أن هناك آثارا سيئة جدا على الاطفال الذين ينفصلون عن أمهاتهم بعد الولادة ، ومن أمثلة ذلك التأخر العقلي والاخفاق في تعلم الكلام والبلادة وفقد الاحساس والنكوص وأحيانا الموت .

والوظيفة الاقتصادية ذات أهمية كبيرة في الاسرة،فهي وحدة اقتصادية أساسية في غالبية المجتمعات البدائية ، وهي الوحدة الانتاجية الاولى ، فأعضاؤها يعملون ويتعاونون معا ويشاركون في عملية الانتاج . وفي عصرنا الحالي تمثل الاسرة وحدة انتاجية استهلاكية في الريف ، ووحدة استهلاكية في المدن .

وقـد أدى التفرق الجسمي للرجل على المرأة إلى تقسيم العمل بينهما ، واختص الذكور بالإسهام فى الحياة الإقتصادية بالاعمال التى تحتاج إلى القوة مثل قطع الاخشاب والأحجار والصيد وبناء المنزل . أما النساء فهن يؤدين الاعمال المنزلية مضافا اليها بعض الاعمال الصغيرة كجمع الخضروات وإحضار الماء وإعداد الطعام .... كما أن لكل منها حقوق فيما يتعلق بالملكية والسلطة . ومع ذلك فتختلف المجتمعات فى مدى مشاركة الرجل والمرأة فى هذا الجانب الوظيفى ذلك أن النظام التقليدى الخاص بتقسيم العمل قـد تعرض لكثير من التغيرات حين أصبح للمرأة مصدر مستقل للدخل بحيث لاتعتمد فى حياتها على ما يكسبه الرجل ، ولم يعد الرجل وحده هو المصدر الوحيد للرزق وكسب العيش .

وإذا لاحظنا الاتصال الجنسى بـين الزوج والزوجة ، مضافا اليه الوظيفة الاقتصادية لأيقنا أن الاسرة تكون الوحدة أو النواة الاولى فى المجتمع ، ذلك أن الاتصال الجنسى بدون التعاون الاقتصادى أمر موجود فى العديد من المجتمعات، كما أن التعاون الاقتصادى بدون الاتصال الجنسى موجود أيضا ، وذلك مثل تعاون الاخ والاخت ، والام والابن ، ولكن الجمع بين الوظيفة الجنسية والوظيفة الاقتصادية لايتحقق إلا فى نطاق الاسـرة .

وتقوم الاسرة كذلك بالوظيفة التربوية وقد أجريت دراسات عديدة تبين منها أن الاسرة هى الحـد الاول فى عملية التنشئة الاجتماعية للطفل . فهى تعلم الطفل لغته ، لان الطفل فى نشأته الاولى لايعرف من أمر اللغة شيئا ، ولايكاد ينطق إلا بأصوات تشبه أصوات الحيوان والطيور .

والاسرة هى الجماعة الاولى التى يتلقى فيها الطفل الكثير من عادات المجتمع ، والتقاليد الاخلاقية والدينية ، وكذلك مصالحه . وهى البيئة الاجتماعية الاولى التى تطبع الطفل بطابعها . وهى تقوم بالعناية بالاطفال وتربيتهم وما يصاحب هذا من تعليم وتأديب ، وما يقابل ذلك من الطاعة والاحترام ، فالطفل يولد ولايعرف شيئا عن المجتمع الذى ولد فيه ، وعليه أن يكتسب التراث الاجتماعى من خلال معيشته فى المجتمع . وهكذا فان الاسرة نظام يحافظ على الضبط الاجتماعى .

ومن خلال الأسرة يكتسب الطفل شخصيته ، وتتكون ذاته نتيجة احتكاكه فى حياته المبكرة بأعضاء العائلة ، والمواقف التى يواجهها ، وردود الفعل العاطفية التى يمر بها .

ويكتسب الفرد مكانته الاجتماعية من الأسرة التى ولد وتربى فيها ، وذلك فى ضوء مؤشرات العمر ، والجنس ، ونظام الولادة ، ولون البشرة ، وانتماء الأسرة إلى طبقة ما كما تحدد الأسرة الفرص والمكافآت والتوقعات بالنسبة لأعضائها . كذلك يكتسب الفرد مهنته ، وملكيته ، وتعليمه ، ودينه ، وانتسابه السياسى من الأسرة التى ولد فيها . وفى الاسرة يتعلم الطفل أن يكون رجلا ، وزوجا ، وأبا من خلال معيشته فى أسرة يرأسها رجل ، زوج ، وأب ، ذلك أن البيت ليس فقط مكانا للاستجمام والراحة ، بل مكان يقوم فيه الأب بدوره كأب مسئول عن كل شىء فى بيته .

تطور النظـــم الأسرية :

يبدو أن الاسرة راسخة في القدم إلى درجة أننـــا لوعدنا إلى الوراء بعيدا ، والظروف الخاصة بعـلم الإنسان البدائى ، فاننـا لن نجد جماعة لا توجد بها الأسرة فى أى شكل من أشكالها . فقد مرت جميـع المجتمعات بمرحله زمنيه معينه كانت فيهـا صله الدم والقرابه هى النظـام الرئيسى للتنظيم الاجتماعى . وفى كثير من الحضارات قد تمثل صله الدم والقرابه التنظيم الاجتماعى بأكمله .[١]

وقد ذهب بعض العلمـــاء إلى القول بأن الشيوعيه الجنسيه Group marriage والذى يـكون بين عدد من الرجال وعدد من النساء ، كان هو النظام السائد فى فجر الانسانيه . فها هو لويس مورجان أورد فى كتابه Ancient Society أن النظام المونوجامى شكل متطور عن الشيوعيه الجنسيـــه .

وقد جاء هذا الرأى نتيجه لدراسه بعض الشعوب البدائيه ، ووجود بقايا لهذه الشيوعيه الجنسيه تتمثـــل فى إباحه الجنس فى الاحتفالات ، وتبادل الزوجات ، وتقدم الزوجات كنوع من الضيافه . وفى العشائر البوليزيه ، يعيش أفراد الأسرة الواحدة فى حالة شيوعيه جنسيه فيباشر الاخوة أخواتهم بدون قيود الزواج . ويفتقر مجتمع الاسكيمو إلى وجود الرؤساء والقوانين الرسمية ، وإلى رجال الدين والأطباء ، كما يفتقر إلى

---

١ ـ أنظر د محمد نبيل جامع المفتتح فى علم المجتمع ص ١٩٣

التخصص المهنى وتقوم العائلة بجميع متطلبات الحيـاة لأفرادها .

إلا أن هـذا الرأى قد ضعف أمام شواهد أنثروبولوجية أخرى . فقد قدم وستر مارك أدله تثبت أن الأسر البدائية كانت أسرا وحدانية ، ومخلصة فى نفس الوقت . كذلك أثبت العالم الأمريكى Lowie أن العلاقات الجنسية الحرة التى يشير إليها أصحاب نظرية التطور هى صورة وهمية لا نلاحظ وجودها فى أى مجتمع من المجتمعات ، وأنه ليس ثمة مايثبت أن هذه الحالة قد وجدت فى أى مرحله من مراحل التطور البشرى . كذلك جمع هنرى مين عددا من الأدلة تثبت أن النظام الأبوى الذى ينتسب فيه الطفل إلى أبيه كان موجودا فى العصور الاولية للأسرة .

وفى أبسط المجتمعات المعروفة تقـوم الاسره على أسس راسخة ، ويستطيع الرجل أن يميز بين زوجته الفعلية أو زوجاته فى نظام تعدد الزوجات . هذا إلى أن الاباحه الجنسيه على فترات فى بعض المجتمعات لا تتناقض مع وجود بعض أشكال نظام الزواج ، كما لا توجد حاجه إلى إفتراض دوام الإباحه . كذلك فان الكتب المقدسة كلها تجمع على أن الأسرة الأولى تألفت من آدم وحواء وأولادهما ، وكانت أسرة أبويـه .

وتأتى بعد ذلك مرحلة تعدد الازواج - أى زواج امرأة واحدة بعدد من الرجال ومن المرجح أن مرحـلة تعدد الازواج والتى كان الاطفال ينتسبون إلى أمهم والمرحلة الامومية . كانت موجودة فى المجتمعات التى يقوم فيها الزوج بالصيد والمطاردة ، فيغيب بعيدا فى الخلاء فى

رحلات طويلة ، بينما تستقر الأم فى مكانها تجمع الثمار ، وترعى أولادها وفى ظل هذا النظام كانت السلطة تتركز فى يد الزوجة أو المرأة ، وكانت تمثل المقام الأول ويوجد هذا النظام فى قبائل هنود أمريكا .

وقد كتبت روث بندكت عن أهل الزونى تقول : أن النظام الأسري عند أهل الزونى يقوم على أساس النسب إلى الأم (النسب الأمى) والنساء لا يشعرن بأي ولاء لأسر أزواجهن .

وعند عرب الجاهلية ، وقبل ظهور الإسلام كان الولد ينسب إلى أمه دون أبيه ، ويسمى باسمها ، وكانت الأم تكفل الأبناء دون الأب . وقد روى السائح الإغريقي سترابو الذى ساح فى جزيرة العرب فى القرن الأول قبل الميلاد ، « أن العائلة تشترك كلها فى الانتفاع بممتلكاتها ، ولكن لها رئيسا واحدا ، وهو أكبر أفراد العائلة سنا ، ولهم كلهم زوجة واحدة ، ومن يسبق الآخرين يدخل حجرتها ، ويتمتع بها بعد أن يترك هراوته على الباب (وكان من عادة كل رجل أن يحمل هراوته) وهذا الاختلاط يجعلهم كلهم اخوة ، وكانوا يتزوجون أمهاتهم ، ولكنهم مع ذلك كانوا يعاقبون كل من يزنى خارج العائلة بالاعدام [1]

ويوجد شكوك قوية فيما إذا كان هذا النظام وجد فى أى وقت بالمجتمع البدائى ، ولو أن النساء فى بعض الجماعات مثل الايروكوا الأمريكية ، والوياندوت والاسكيمو ، وفى بعض القبائل الافريقية يتمتعن بدرجة

---

١ — روث بندكت . ألوان من ثقافات الشعوب ص ص ٠٤ — ١١٠

كبيرة من السلطة عادة . ومع ذلك فان ظهور النساء فى مراكز السلطة ليس شاهدا على النظام الاموى ، فقد حكمت الملكة اليزابيث انجلترا فى القرن السادس عشر ، حيث كان يسود النظام الأبوى كذلك شغلت كثيرات من النساء مراكز عليا قبل ذلك وبعده . (١)

ولما حلت الحياة الرعوية والزراعية محل الصيد والمطاردة ، أدت حرفة الرعي ومتطلبات القتال إلى قلب الوضع في الأسرة من النوع الاموى إلى الاسرة الابوية . فالرعى والزراعة جعل الأب يستقر فى الأرض ، وزادت مسئوليته ، وامتلك أرضا وعقارا مما رفع من شأنه وأصبح هو المسيطر على الاسرة ، فانهار نظام تعدد الازواج . وظهر نظام تعدد الزوجات واتسعت سلطة الاب على زوجاته وأولاده الذين ليس لهم سوى إطاعة أوامره التى لا تحتمل المناقشة . ووصل إلى حد أنه كان يستطيع أن يبيع إبنه أو يمنع عنه حق الحياة ، فيحكم باعدامه ، كما كان من حق الأب أن يخرج من يشاء من أعضاء أسرته ، ويتصرف فى جميع ممتلكات الاسرة ، ويشترى الاقمشة لزوجاته وأولاده حسب ذوقه وميوله هو . وهكذا بعد أن كان الاب عنصرا مجهولا تقريبا بدأ الابناء يرثون عنه ، كما يحملون اسمه ، ويتولى أكبر أبنائه قيادة الاسرة من بعده .

وكانت الاسرة الرومانية في القرن السابع تقوم على أساس قانونى وضعى ، مثالا للجماعة الانسانية التى تتمتع بالثبات والاستقرار . حقا

---

١ — ر. م. ماكيفر وشارلز بيج . المجتمع — الجزء الثانى ص ص ٤٧٠ — ٤٧٤

إنها كانت تقوم جزئيا على الفكرة الروحية لعبادة الاسلاف بحيث تتركز حول تأليه الجدود ، وتقطن مساكن هى أقرب إلى المعابد ، وللأب فيها سلطة الرب على الزوجة والابناء التى يستمدها من خلافته للأجداد .(١)

ومع تطور الزمن اختفت الاسرة الممتدة extended family نتيجة الصناعه ، واكتفى الرجل بزوجة واحدة ، وأصبحت الاسرة تتكون من الزوج والزوجة والاولاد ، فلم تعد الاسرة تشمل الاقارب والانساب والاجداد والاطفال والارامل والمطلقات كما كان فى الماضى .

ونتج عن تغير حجمها تغيرات فى تقاليد وعادات الاسرة واختلفت عن الماضى فقد قلت التزامات الفرد التي كان يلتزم بها فيما مضى نحو كبار السن والاقرباء والانساب .

وتضاءلت وظائف الاسرة ، وتولت القيام بهذه الوظائف هيئات أخرى أصبحت متخصصة فى هذه الوظائف . فقد كانت الأسرة فيما مضى هى الوحدة الإنتاجية الأولى . ثم أصبح المكتب والمصنع يقومان بتحقيق المهام الإقتصادية فى العالم المعقد بكفاية أكبر مما تستطيع الأسرة تحقيقه فى وقت مضى . وبهذا الشكل لم تعد الاسرة كما كانت فى الماضى هى المنتجة والموزعة والمستهلكة فى الوقت نفسه ، بل أصبحت وحدة إستهلاكية فقط ، ولم تعد وحدة إنتاجية . فقد أصبحت توجد فى المجتمع كل

---

١ ــ د. كمال الدسوقى . الاجتماع ودراسة علم المجتمع ص ٢٨٢

إحتياجات الأسرة من طعام وكساء وأثاث ، كما أصبحت توجد فى المجتمع منظمات تجارية ، ومؤسسات كثيرة مختلفة تقوم بمـــا كانت تقوم به الأسرة فى الماضى .

وإنتقل جزء من الوظيفة التربوية والتعليمية التى كانت تقوم بهـا الأسرة إلى المدرسة والمنظمات الأخرى كدور العبادة . وانتقلت كذلك الوظيفة الترفيهية من الأسرة إلى المجتمع ، فقد انتشرت وسائل الإعلام بشكل ملحوظ فى العصر الحديث . كما استطاعت المستشفى والعيادة أن يقدما خدمة لا يمكن للأسرة أن يجمع لها المهاره أوالمعدات اللازمة .

وانتقل أيضا جزء من وظيفة الحماية والأمن إلى المجتمع ، حيث كانت الاسرة هى المصدر الوحيد لتلقى الفرد الأمن والطمأنينة ، سواء كان ذلك فى الاسرة الممتدة أو الاسرة الصغيرة ، فقد كانت هى المسئولة عن إمداد الطفل بالامن والطمأنينة والحب والرعاية . أما فى وقتنا الحالى فقد إنتقلت وظيفة الامن إلى المؤسسات الحكومية ، والتى تتمثل فى الشرطة ، وشركات التـأمين ، وفى منظمات الامن الاجتماعى ، وفى شـــكل الملاجىء المختلـفـة .

ولا يقتصر الامر على ذلك ، فقد تدخل المجتمع فى وظيفة الانجاب فى الاسرة وبدأ المجتمع يتدخل من وقت لآخر فى الوظيفة ، فبدأت البحوث الخاصة بالتلقيح الصناعى . [١]

---

١ — د. عـــلى عبد الرازق جلبى . علم إجتماع الصناعة ص ص ٤٤٧ — ٤٤٨

الأسرة فى مجتمعنا العربى : —

لقد تغير مجتمعنا القروى ومازال فى تغير . وانعكس هذا التغير الإجتماعى على النظام الأسرى فى القرية ، فقد كان زيادة حجم السكان وتناقص الارض إيذانا ببـــدء خلافات كانت الشرارة الاولى لأزمة الاسرة المصرية . كـذلك كان لانتشار التعليم وخروج الابن القروى للتعليم فى المدينـة ، ثم استقلاله بنفسه هناك دون العودة إلى الاقامة فى القرية أثر فى هبوط التضامن الاسرى فى القرية ممـا ترتب عليه كـذلك اضمحلال سلطة الأب . وكان لتقدم وسائل التكنولوجيا الحديثة من وسائل الاعلام ومواصلات أثر كبير فى إتصال القرية بالمدينة وبالعـالم الخـــارجى .

وقد كان لهذا كله أثره فى الآتى : —

١ — كان الفرد القروى تابعا لنظام المسئولية الجمعية ولم يكن له إستقلال خاص . أما الآن وفى ضوء التغير الاجتماعى الذى حدث فى مجتمعنـا ، أصبح مستقلا ومسئولا مسئولية فردية عما يفعله ، كما أنه أصبح تابعا ، ولكن تبعيته ليست للأسرة فحسب بل ولمجتمع القرية ، ثم للدولة بأسرها .

٢ — كانت الابعاد البنائية أو الإجتماعية Incivicual in Structural Distance تقوم بين العائلات ، ولم يكن للفرد أستقلال بنائى خاص به ، ولـكن الآن أصبح البعد الإجتماعى فرديا .

٣ — كان من خصائص العـائلة القروية القديمة تحديد العلاقات بين الافراد على أساس النوع والسن ، أما الآن فقد أخذ مركز المرأة يرتفع

نتيجة لمشاركتها الرجل فى النشاط الإقتصادى ، وقيامها بالعمليات الزراعية والتجارية بعد أن كانت هذه الاعمال وفقا على الرجل . كذلك تفككت فواصل السن ، فلم يعد الشبان يلتزمون بسلوك معين كانوا يؤدونه أمام الكبار .

٤ — تميزت الاسرة القروية بتعدد الزوجات وكثرة النسل ، أما الآن وبعد التغير الإجتماعى الذى حدث فى مجتمعنا يعزف الكثيرون عن تعدد الزوجات ويميلون إلى تنظيم النسل .

مشكلات الأســـرة : —

ينظر كثير من الباحثين إلى تفكك الاسرة باعتباره أمرا متصلا بالتفكك فى المجتمع الكبير . فاتجاهات وقيم أعضاء الاسرة تعكس ما هو موجود فى الثقافات الكبرى والثقافات الفرعية . كذلك فان التغيرات الإجتماعية والثقافية التى تحدث فى المجتمعات قد انعكست على الاسرة هذه الايام فتعرضت لازمات وتصدعات . كذلك فان التغير غير المتناسب فى الانشطة الاجتماعية أدى إلى تخلف إجتماعى ظهرت آثاره على الاسرة فكثرت مشاكلها ، وانخفض مستوى معيشتها ، وتعددت حالات الطلاق ، كما كان للتغيرات التى طرأت على دور المرأة فى المجتمع الحديث والمركز المصاحب لهذا الدور آثار بعيدة المدى على طبيعة البناء الاجتماعى بصفة عامة ، والاسرة بصفة خاصة .

ومن أهم مشاكل الأسره : —

١ - لا شك أن التكنولوجيا الحديثة غيرت من إتجاه الاسرة الحضرية

وقللت من أهمية البيت ، وصرف الرجال والنسا معا عن الاهتمام به .
وبعد أن كانت الاسرة منتجة ، أى تقوم بأنواع النشاط الإنتاجى كاعداد الطعام والملابس وبعض الصناعات المنزلية ، أصبحت الآن مستهلكة لأنها تعتمد على ما تصنعه أو تقدمه المؤسسات العامه ، حتى فى حالات الطعـــام .

كذلك بأن التقسيم الإقتصادى للعمل والزيادة المستمرة فى الهيئات الإجتماعية المتخصصة قد قلل إلى حد كبير من المساهمة المشتركة فى مختلف نواحى الإهتمام بالحياة سواء فى العمل أم فى اللعب . فهناك الاماكن التى يلجأ إليها الرجال كالنوادى والمقاهى ، وبالنسبة للنساء بعض الرياضيات الخاصة وحضور الحفلات وجماعات الهوايات وهكذا ، مما يترتب عليه أن الاسره الحضرية اليوم أقل فى علاقاتها الإجتماعية ممـا كانت عليه فى أى وقت مضى . (١)

وفى عصر المجتمع الصناعى الحديث ، تعددت مطالب الزوجه ومطالب الأسرة ، وما كاد يتحقق لها مطلب حتى تطلب مطلبا آخر مما يكلف الاسرة الكثير وهذه المظاهر لم تكن موجودة فى المجتمعات القديمه ، وقبل ظهور التطور الصناعى الحديث الامر الذى يؤدى إلى ظهور مشاكل وتوترات تقوض أركان الأسرة .

---

١ — أنظر د. أحمد الخشاب وكرم حبيب برسوم . مقدمة فى علم الإجتماع ص ٧٥

٢ — خرجت المرأة إلى ميدان العمل وهذا يؤدى إلى رفع مستوى دخل الاسرة ، وبالتالى إلى رفع مستوى معيشتها . إلا أن له جوانب ضارة كما يرى بعض العلماء ، إذ أنه مكنها من الاستقلال الإقتصادى ، وبالتالى إلى عدم ترددها فى الإنفصال عن مسكن الزوجية كما أنه أدى إلى ضعف الرقابة المنزليـة ، والإستعانة بالخدم فى تربية الاولاد مما أدى إلى سوء تربيتهم . (١)

والحقيقة أننا يجب أن نتناول هذه الآراء بتحفظ شديد فمن زاوية ضعف الرقابة المنزلية والإستعانة بالخدم فى تربيه الاطفال ، فيمكن التغلب على هذا المشكل بفتح المدارس للحضـانة تأوى هؤلاء الاطفال ، بل ويلاقون العناية الكافية على أيدى مشرفات متخصصات فى هذا الفن ، كما يجب علينـا أن نعرف أن كثيرا من حالات التصدع الاسرى ترجع إلى الفقر ، وعمل المرأة ، وما تحصل عليه من أجر يساعد على رفع مستوى الاسرة المعيشية ، ويمنع عنهـا الفقر .

٣ — نشهد اليوم فى مدننا الكبرى بجمهورية مصر العربية الإختلاط بين الجنسين فى جميع نواحى النشاط ، وقد أدى هذا التطور إلى أن يتعرف الشاب إلى الفتاة عن غير طريق الاسرة ويخرجان سويا ، ثم يتفقان على الزواج بعد أن يتبين لهما التوافق بين طباعهما وأمزجتهما . وقد يتبـادر إلى ذهن البعض أن هذه الطريقـة قد حلت سوء التوافق الذى يحدث بين

---

١ — أنظر د. أحمد الخشاب . وكرم حبيب برسوم . مقدمة فى علم الإجتماع ص ٧٥

الزوجين . ولكن نظرة إلى حالات الطلاق التي يتم فيها الزواج عن هذه الطريقة ، نجد أن هذه الوسيلة لا تضمن وحدها ـ سعادة ـ الحياة الزوجية . كما يظن الكثيرون .

فالعبرة في إختيار الزوج ليست في الإختلاط من عدمه ، وإنما يتوقف الامر على وزن مشروع الزواج من جميع نواحيه ، من ناحية التكافؤ المادى . والتكافؤ الثقافى والإجتماعى ، وعدم التنافر بين ميول أحد الزوجين .

٤ — تعدد الزوجات :

عزا بعض مفكرى الغرب ومنهم الفيلسوف الفرنسى مونتسكيو نظام تعدد الزوجات فى البلاد الشرقية والإسلامية إلى عاملين كلاهما يرجع إلى تأثير المناخ ، فالجو الحار يزيد من الحساسية الجنسية فى نظرهم ، ويدفع الرجل إلى الزواج بأكثر من واحدة ، كما أن الجو الحار يظهر كما يقولون فى زيادة عدد الإناث من المواليد تفوق عدد الذكور ، ولذلك فان الرجل يتزوج بأكثر من واحدة . لإحداث التكافؤ العددى بين الجنسين . والحقيقة أن هذا التصور خاطىء من أساسه . فنظام تعدد الزوجات فى الإسلام شرع لمجموعتين من الاسباب :

١ — أسباب خاصة دعت إليها ظروف المجتمع الإسلامى فى بدء ظهور الإسلام .

ب — أسباب إنسانية عامة تنطبق على النفس البشرية فى جميع العصور .

وفيما يتعلق بالمجموعة الأولى من الأسباب :

١ ـ أن هذا النظام قد سمح لكثير من المسلمين أن يعولوا أرامل زوجاتهم الذين إستشهدوا دفاعا عن العقيدة .

٢ ـ سمح هذا النظام بتعزيز أواصر الوحده والوئام بين القبائل المتنافرة .

٣ ـ تدرج هذا النظام بالمجتمع الإسلامى من حالة الفوضى الشاملة فى الزواج إلى حالة من التنظيم لا ترهق الناس فالتشريع الحكيم لايتدرج من حالة الإباحة المطلقة إلى التحريم الصارم ، وإنما يتدرج بهم فى خطوات

وفيما يتعلق بالمجموعة الثانية من الاسباب :

١ ـ راعى نظام تعدد الزوجات أن الطبيعة الإنسانية والعواطف الإنسانية لاتظل على حال واحدة ، فقد تدب الكراهية بين الرجل والمرأة وفى هذه الحالة بدلا من أن يطلقها ويتركها مع اولادها تتلاقفها يد الاقدار ، يستطيع أن يتزوج بأخرى .

٢ ـ كما راعى أن الزوجة قد لا تنجب أولادا ، وإذا كان الزوج يحرص على أن يكون له ذرية ترث ماله وجاهه فيستطيع أن يتزوج من أخرى .

٣ ـ كما أن نظام تعدد الزوجات قد نظم العلاقات بين الرجل والمرأة على أسس عادلة ، بدلا من أن يترك هذه العلاقات خارج نطاق القانون .

ومع ذلك فقد قيد الإسلام تعدد الزوجات ، إذ جاء بالآية الكريمة « وإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » ثم أضاف ، ولن تستطيعوا أن تعدلوا

بين النساء ولو حرصتم» . فنظام تعدد الزوجات مباح قانونا . ولكنه محدود بشروط تجعل من الزوجة الواحدة أمراً حتميا .

هذا وتدل الإحصاءات على التناقص المستمر فى حالات تعدد الزوجات، وقد كانت :

١٩٠٧	٦٢	من كل ألف حالة زواج .
١٩١٧	٥٤	» » » »
١٩٢٧	٤٨	» » » »
١٩٣٧	٤٢	» » » »

هذا ولا تزال هذه النسبه فى الانخفاض [1] .

---

١ — د. السيد محمد بدوى مبادىء علم الاجتماع ص‌ص ٣٢٥ — ٣٢٩ .

٥ — الطـلاق :

يعتبر الطلاق من أهم المشاكل الأسرية وأكثرها تعقيداً . والطلاق ظاهرة إجتماعية عرفها المجتمع الإنسانى منذ القدم ، إلا أن سهولة إجراءات الطلاق أو صعوبتها أو ممارسة أحد الزوجين لها تختلف بين المجتمعات . ففى إنجلترا سنة ١٨٥٧ لم يكن يسمح بالطلاق إلا بموافقه البرلمان . كما أن زواج المطلق أو المطلقة بعد ذلك مرتهن بمشيئة القاضى يسمح أو يمنع .

وقد تقدم القانون الإنجليزى خطوة واسعة بعد سنة ١٨٥٧ ، حيث كان يسمح بالطلاق بسبب عقم الزوجة ، وبسبب عقم الزوج أو قسوته . كذلك يسمح بالطلاق لسوء الصحة بحيث تستمر هذه الحالة خمس سنوات على الأقل . كما أن للزوجة أن تطلب الطلاق إذا ثبت إنحراف زوجها الجنسى بالنسبة لها أو للآخرين .

وبعد الحرب العالمية الثانية تغيرت قوانين الطلاق فى ألمانيا ، فأصبح يسمح بالطلاق بسبب الخيانة الزوجية ، والهجر ، وسوء الصحة لمدة ثلاث سنوات ، وكذلك بسبب الأمراض التناسلية . ولكن لا يسمح بالطلاق إذا كانت الزوجة طالبة له مع إصرار الزوج على الرفض .

أما فى الدول الاسكندنافية التى تعتنق المذهب البروتستنتى مثل الدانمارك والسويد والنرويج فيتم الطلاق عن طريق الإتفاق المشترك بين الزوجين ، كما أنه يؤخذ بنظام الإنتظار ، فيقدم طلب الطلاق ولا يفصل فيه إلا بعد عام على الأقل كما هو حادث فى السويد ، وسنة ونصف فى الدانمارك ، وثلاث سنوات فى النرويج . ومن الأسباب التى يعتمد عليها طلب الطلاق :

الخيانة أو سوء الحالة الصحية لمدة ثلاث سنوات أو السجن مدى الحياة ، أو إهمال الواجبات المنزلية ، أو الأمراض التناسلية ، أو غياب لمدة سعة أشهر .

وفي روسيا تغيرت إجراءات الطلاق منذ ثورة ١٩١٧ ، ففي البدء كان الطلاق يتم لمجرد الرغبة في ذلك ، ولذلك لم تكن هناك حاجة إلى تقديم طلب لذلك ، فالزوج أو الزوجة يمكنها الحصول على الطلاق لمجرد إرسال بطاقتين إلى أحد مكاتب الزواج والطلاق ومن أجل ذلك سجلت روسيا سنة ١٩٢٠ أعلى نسبة في الطلاق في العالم .

وفي عام ١٩٤٤ صدر قانون مؤداه أن الطلاق لابد أن يكون لسبب من الأسباب الحقيقية والخطيرة على أن يثبت ذلك بصورة عادية . كما أن الإجراءات أصبحت معقدة وباهظة التكاليف ، فيقدم طلب الطلاق أولا إلى محكمة الشعب التي تحاول أن تعيد الوفاق بين الزوجين ، فاذا لم تفلح أحيلت القضية إلى محكمة الإقليم التي تزيد من البحث وتحاول تجنب إنهيار الأسرة ، فاذا لم تفلح أحيل الأمر إلى محكمة الاتحاد السوفيتي . ومن أجل ذلك أصبحت المحاكم السوفييتية من أشد المحاكم تشدداً في الحفاظ على الأسرة ، وتحاول أن تؤسس قاعدة أخلاقية تقوم عليها الأسرة دون سند من التعاليم الدينية (١) .

وقد أجمع الباحثون على أن أهم العوامل التي تؤدي إلى الطلاق هي : —

---

١ — د. محمد عاطف غيث تطبيقات علم الاجتماع . ص ص ٢٢٥ — ٢٢٦ .

١ – دوافع ذاتية وتتلخص فى الآتى :

الحب الرومانتيكي الذى يسبق الزواج ، وعندما يصطدم الزوجان بالحياة وظروفها المعقدة يصعب عليهم التكيف معها . كما تبين أن النساء اللاتى تزوجن مبكرا يكن أكثر تعرضا للطلاق من غيرهن ، وأن نسبة الطلاق بين النساء العاملات أعلى منها بين النساء غير العاملات ، فعمل المرأة وخبرتها خارج المنزل والأسرة يجعلها أكثر إستعداداً للجدل والمناقشة حول الحقوق الزوجية ، وبالتالى فان المنازعات تكون أكثر حدة . وتبين كذلك أن عدم التوافق الجنسى بين الزوجين ، والخيانة الزوجية والكراهية والزواج بامرأة أخرى ، وإعجاز الزوج أو عقم الزوجة ، ومرض أحد الزوجين ، وسوء المعاملة من أحد الطرفين ، وإهمال الزوج أو الزوجة لواجبات كل منهما نحو الآخر ، وإدمان الزوج للخمر ، وتعاطى المخدرات من الأسباب التى تؤدى إلى الطلاق .

٢ – عوامل إجتماعية :

إختلاف المستوى الإقتصادى والإجتماعى والثقافى ، وكذلك إنخفاض المستوى الاقتصادى .

والطلاق له عواقب وخيمة . فهو يفصل عرى الرابطة الزوجية قانونيا ، ويفرق بين الزوجين مما ينجم عنه نتائج سيئة بالنسبة للزوجين وللاطفال . فالطلاق يوجد لدى الزوجين مشاكل نفسية ، إذ أنه يحطم كبرياءهما ، ويهز الحياة الوجدانية لكل منهما هزاً عنيفاً ، كما أن المجتمع لا ينظر بارتياح إلى المطلقات . وقد تضطر المرأة إلى الانزلاق فى طريق الدعارة والفساد . كما

أن الأولاد يحرمون من النشأة الطبيعية فى كنف الوالدين ، فتتكون عندهم العقد النفسية ، وقد يلجأون إلى التشرد .

ويزيد الطلاق من مشكلة كثرة النسل إذ أن كثيراً من الزوجات تحت تأثير الخوف من الطلاق يعمدون إلى الإكثار من النسل ، هذا إلى أنه يثير الضغائن والحقد بين العائلات التى ينتمى إليها الزوجين مما يؤدى إلى وقوع الجرائم ، وإلى حوادث الأخذ بالثأر .

وقد حلل الطلاق فى الإسلام ، ولكنه حلال بغيض، ففى حديث نبوى شريف « إن أبغض الحلال عند الله الطلاق » . ولهذا شـــرع فى الإسلام لحكة ، وهى أنه يمكن أن يتم إذا أصبحت الحياة بين الزوجين متعذرة ومستحيلة ، وإستنفذت جميع سبل الاصلاح لإعادة الوئام بين الزوجين . ولذلك يجب على الهيئات الدينية وهيئات الاصلاح الاجتماعى ، ومكاتب توجيه الأسرة أن تتدخل لافهام الناس الحكمة الكامنة وراء الطلاق ، وأنه إنما شرع لتفادى الاضرار بالزوجين لالهدم الأسرة من أجل أسباب تافهة . كذلك يجب على الهيئات التشريعية أن تتدخل بسن التشريعات التى تنظم الطلاق ولا تتركه سلاحا فى يد الزوج يهـــدد به زوجته . كما يجب على الأفراد التبصر والتروى قبل الزواج فى إختيار شريكة حياته ، إذ يجب أن يبنى الاختيار على أسس قوية سليمة .

وفى مصر يعد الطلاق مشكلة المشاكل التى تواجه الأسرة ، فنسبة الطلاق فى مصر أعلى نسبة فى العالم .

النظم الدينية

من الصعوبة بمكان تعريف الدين لأنه يتضمن علاقة بين الفرد والجماعة، وبين شيء أو كائن مقدس غير مطوع للتعريف بالألفاظ التي يفهمها العقل. وما يهمنا في هذا المجال هو أن الدين موجود في كل مجتمع إنساني، ومنذ الازل . فحتى الإنسان البدائي باعتباره كائنا حيا اجتماعيا له حاجات كثيرة تتعدى لقمة العيش، ومن بين هذه الحاجات حاجته إلى التدين . فهو يخاف من بطش الطبيعة، وذهب بسبب قلة معرفته العلمية بعلل الظواهر التي تحيط به إلى الاحتماء بقوى عليا فوق طبيعية، وما دامت هناك قوى عليا خارقة للطبيعة فينبغي عليه أن يجد وسيلة للتقرب منها أو التوصل اليها .

والإنسان لا يعيش بالمعرفة والعلم وحدهما ، فهو مخلوق عاطفي عقلاني، وحين تتحطم آماله، ويفشل فيما كافح في الحصول عليه، فانه يلجأ إلى القوى فوق الطبيعية لتخفف من أحزانه . والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يعرف فكرة الموت، وأنه ميت لامحالة ، ولهذا فهو يلجأ إلى هذه القوى فوق الطبيعية وغير المرئية لتغفر له ذنوبه، وتزوده بالفضائل والتفاؤل . ومن هنا فان خشية المجهول هي التي هدت الإنسان إلى الدين .

ويعرف علماء الاجتماع الدين بأنه نسق مكون من العقائد والممارسات والشعائر والموضوعات الرمزية أساسها الإيمان بوجود قوى مقدسة فوق طبيعية وغير مرئية تسيطر على العالم الفيزيقي والاجتماعي .

وفي ضوء هذا التعريف نجد أن للدين ثلاثة عناصر رئيسية هي : —

١ — العنصر الروحي : المعتقدات :—

وهي المعتقـدات والعواطف والصلة الروحية التى تجذب الانسان نحـــو القوة القاهرة التى يعتقد فى وجودها وفى قدرتها ، وأنها تملك له الضرر والنفع وهو لا يملك لها شيئا . وتتخذ العقيدة أشكالا متعددة حسب الاحوال المختلفة للمجتمعات . فتتمثل أحيانا فى قـوى مجردة غير منظورة ، أو قد يرمز لها برمز هو الطوطم حيث يعتقد الإنسان أن حياته مرتبطة به ، أو كاعتقادنا فى وجود الله سبحانه وتعالى .

٢ ـــ العنصر الطقسي :

وهى الحركات والتصرفات والسلوك الجمعى والقيام بأداء العبادات والفروض الاخرى التى تقرب الإنسان من المعبود وتكفر عن ذنبه ويبعده عن غضبه وسخطه . وهى إما شعائر شفوية كالتعميد فى المسيحيه ، والصلاة وشعائر التلقين والزواج والتبنى والوفاة والادعية وإما شعائر عملية كالاستحمام فى مياه النهر المقـــدس . وذلك كما يفعل الهنود فى نهر الكانج . وتساعد الطقوس على التفرقة بين ما هو مقدس ومدنس .

٣ ـــ العنصر النصوصى :

ويشتمل هذا الجزء على القواعد الدينية، وهى على هيئة نصوص أو أحاديث أو كتب لها قداستها . ويقوم هذا الجانب بتفسير المعانى والقيم الدينية ، كما يقوم بتوضيح مكانة الفرد بالنسبة للقوة القاهرة التى يعتقد فيها .

والمعتقدات والشعائر الدينية أيا كان شكلها ونظامها لها دور فى الحياة الاجتماعية ، فهى تعمل على تماسك المجتمع وتآلفه وترابط الافراد المكونين له . فمثلا كان الدين أداة قيمة فى رعاية الوحدة القبلية أو الوطنية وحفظها. وهو كذلك يوحد بين الافراد فى القيم والاهداف والمعانى. كما يبرر هذه القيم

مما ينسق تفاعل الافراد ، ويدعو إلى التعاون بينهم ، علاوة على قيامه بتوحيد صفوفهم ، وخاصة إزاء أى عدو خارجى .

وللدين وظائف نفسيه مثل الشعور بالراحة النفسية ، والقوة للاعتقاد فى أن قوة غيبية عظيمة تساعد الإنسان فى حياته وبعد مماته . وتؤثر القيم الدينية فى سلوك الافراد ، وتضبطه ، وتراقب تصرفاتهم ، كما تؤثر فى النظم الاجتماعية كالاسرة ونظم الحكم . ويقوم الدين بتفسير بعض المشكلات الغامضة على الانسان كمشكلة الموت ، كما يقوم بالإجابة على أسئلة محيره ليس غير الدين عليها مجيب، ولولا هذا التفسير وتلك الاجابةمن جانب الدين لما تفاعل الافراد فى المجتمع على هذا المستوى من الصحة النفسية التى نشاهدهم عليها .

وقد لوحظ أن الاديان السماوية اليهوديه والمسيحية والاسلام قدهبطت فى مجتمعات متمدينة ، ولهذا فان المجتمعات البدائية لم تعرف تلك الاديان إلا منذ عهد قريب على يد المبشرين ، وظلوا طوال تلك الفترة الماضية يقومون بمجموعة من العقائد والطقوس المتوارثة من أجيال قديمة . ولاشك أن العقائد والطقوس الدينية الموجودة فى كل من الاديان الثلاثة تختلف كل منها عن الاخرى . كذلك فان تلك العقائد و الطقوس تختلف عن العقائد والطقوس الدينية الموجودة فى المجتمعات البدائية . وفيما يلى عرض مختصر لنظامين دينيين الاول خاص (بنظام عبادة الاجداد) ، والثانى خاص بالنظام الطوطمى .

أما النظام الاول وهو الخاص بعبادة الأجداد Ancestor worship، فهو منتشر فى المجتمعات البدائية فى أفريقيا ، ويقوم هذا النظام على مبدأ تماسك ووحدة الجماعة القرابية ، ذلك أن العصبية الابوية Patrilineage

-لاتتكون من الأحياء فقط . وإنما تتكون كذلك من الآباء والأجداد الموتى . كما أن هناك بعض العصبيات الأمية Matrilineage مثل قبيلة (مانكاجو) فى أفريقيا ، وقبلة (نايار) فى الهند ، حيث يشترك كل أفراد القبيلة فى أنحدارها من جدة مشتركة .

ويعتقد أفراد القبائل التى تطبق نظام «عبادة الأجداد» فى أن الأجداد يتمتعون بقوى غيبية أو سحرية تستطيع أن تلحق الأذى بأعضاء العصبية وتستطيع كذلك مساعدتهم ، أى يتمتعون بخصائص الآلهة ، وتعتبرهم بعض القبائل آلهة وهم يجتمعون فى مكان عام أو بيت أكبرهم سنا أو مركزا ويمارسون بعض الطقوس هادفين الحصول على رضاء ومساعدة أرواح أجدادهم وآبائهم الموتى . وتتمثل تلك الطقوس فى الأدعية والصلوات وتقديم القرابين المكونة من الأطعمة والمشروبات وذبح الحيوانات ، ويعتقد أفراد تلك القبائل أن الموتى يشتركون معهم فى تناول القرابين . ويقول رادكليف براون فى هذا الشأن « أن فى مثل ذلك المجتمع ، يؤدى تماسك واستمرار العصبية إلى استقرار واستمرار البناء الاجتماعى للعشيرة التى تتكون من عدة عصبيات

أما النظام الطوطمى Totemic cult فينتشر بين قبائل السكان الاصليين فى استراليا ، ويذكر اميل دوركايم « أن البدائى الاسترالى يوحد بين البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية فى عالم واحد . ويعتقد أن العالم قد تكون فى عصور قديمة عن طريق كائنات مقدسة يطلق عليها اسم الطوطم Totem . ويمثل الطوطم إحدى مظاهر الطبيعة المحيطة به ، فقد يكون كنجارا ، أو نباتا معينا ، أو ظاهرة مناخية ويعتقد البدائى أنه يستطيع أن يضمن

استمرار تلك الظواهر عن طريق طقوس معينة منهـا الرقص والأدعية للطوطم أو الكائن المقدس بغية استمراره أو غزارته .

ويستطرد إميل دوركايم قائلا أن شخصية الإنسان أو ماهيته تتمركز حول طوطمه أو قرينه الحيوانى Fellcw anin al . فنجد ـ مثـلا ـ عند Kakuia أن أفراد عشيرة التمساح يعتقدون أنهم يكتسبون فى ذواتهم طباع التمساح ، فهم أقوياء شجعان ، يفخرون بأنهم قساة القلوب قـوم قتال ونزال .

وقد تصور رادكليف براون النظام الطوطمى تصورا آخر ، ذلك هو أن أفراد القبيلة يعتقدون أن الطوطم هو الجـــد الأكبر الذى ينتمى اليه أفراد القبيلة ، كمـا يعتقدون فى وجوة علاقـــة قرابة دموية تربطهم بالطوطم [١].

ويقول سلجمان فى دراسة لقبائل الدنكا بجنوب السودان أن الاهالى لديهم معتقدات كثيرة فى هذا الشأن ، فهناك عشائر تعتقد أن الصـــلة بينها وبين الحيوان الطوطم قـد نتجت عن ميثاق بين الحيوان الطوطم وأحد الاجداد ، ومن الامثلة على ذلك عشيرة Luel التى تتخذ التمساح طوطما لها . وهناك عشائر أخرى تعتقد أن الجد الاكبر للعشيرة كان توأما للحيوان الطوطم ، فمثلا يعتقد أفراد عشيرة yiccl أن مؤسس العشيرة كان توأما لأسد [٢] .

---

١ ـ د عاصف وصفى . المرجع السابق ص ص ٢٠٦ ـ ٢٠٨ .

٢ ـ د. على إسلام الفار . الانثروبولوجيا الاجتماعية ـ الجزء الاول ـ دراسة المجتمعات البدائية ص ٩٧

وانطوى الاسلام على جميع جوانب الحياة الاجتماعية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر أن المجتمع الإسلامى يقوم على التضامن الاجتماعى، فأفراده وحده متضامنه فى مواجهة الحياة وتحمل أعبائها ، ويساعد بعضهم بعضا فى الازمات ، وفى هذا يقول الله تعالى « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » . وقال جل شأنه « واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا » . ودعى الإسلام إلى التعاون « وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان »[١].

وتطرق الإسلام إلى اختلاف المجتمعات بعضها عن بعض ، يقول تعالى « ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم » (سورة الروم آيه ٢٢) . وحق العمل مكفول فى الإسلام « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض ، وإبتغوا من فضل الله . واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (سورة الجمعة آية ١٠) ، وحث الإسلام على حرية الاتجار «وأوفوا الكيل إذا كلتم ولاتكونوا من المخسرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ولاتبخسوا الناس أشياءهم ، ولاتعثوا فى الارض مفسدين » (سورة الشعراء آيات ١٨١ — ١٨٣) . وجميع المعاملات الإسلامية تسير فى إطار الاحكام الشرعية . ومن ثم لايجوز الإقراض بفائدة ، لان كل ما يدفعه المدين للدائن زيادة عن المبلغ المقترض يعد ربا . « الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذى يتخطبه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف . وأمره الى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » . (سورة البقرة آيه ٢٧٤) .

١ — د عبد الهادى الجوهرى دراسات فى علم الاجتماع الاسلامى ص ص ٧ — ٩

وأجاز الإسلام للدائن أن يشارك المدين فى الربح الذى يحققه من القرض ، وذلك بموجب عقد من العقود التى أقرها الإسلام . هذا إذا كان القرض من أجل نشاط زراعى أو صناعى أو تجارى أما اذا كان القرض لظروف طارئة حلت بالشخص كرض ، فالإسلام ينظم سبل المساعدة لعجز أو مرض أو غير ذلك من الظروف الطارئة كصندوق الزكاة . «وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» . هذا ولا تجوز المعاملات فى الخنزير أو المواد المسكرة أو المراهنات .

وتطرق الإسلام إلى نظم الحكم ، وبين القرآن الكريم أمر الشورى « وأمرهم شورى بينهم » . أى حرية التعبير عن الرأى سواء بالقول أو الكتابة أو الإشارة .... الخ . وهذا المبدأ يعد دعامة الفكر الديموقراطى فى الانظمة السياسية المعاصرة . وكفل الإسلام حرية الرأى « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن » (سورة النحل آيه ١٢٥) . وكفل الإسلام حرية التنقل « وهو الذى جعل لكم الارض ذلولا ، فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » (سورة الملك آية ١١٥) . وكفل الإسلام حق الإرث « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » (سورة النساء آية ١١) [١].

النظم الاقتصادية

يقصد بالنظم الاقتصادية أنماط الافعال الاجتماعية والاساليب التى تستخدم لاشباع حاجات الإنسان المادية من انتاج السلع النادرة وتوزيعها

---

١ ــ د. أبو اليزيد المتيت ذاتية المعاملات الإسلامية ص ص ١١ ــ ٣٣

وتوزيعها وإستهلاكها ، كحاجته إلي الغذاء والملبس والمأوى ، وما يتعلق بالملكية . والسلع النادرة هى الأشياء والخدمات التى أخرجتها فى ثوب جديد . وتتمثل هذه الوسائل في مجموعة الخبرات والمهارات والفنون السائدة فى المجتمع ، بالاضافة إلى ما يسود المجتمع من عادات وتقاليد وأفكار وخرافات وغيرها . وتتنوع تلك الأساليب وتتمايز من مجتمع إلى آخر ، ورغم ذلك فانها تتفق فى ثلاثة أسس هى : الموارد ، الأدوات ، والعمل الانسانى .

وإذا ما وضعنا فى إعتبارنا أن المجتمع يعدنسقا اجتماعيا ، فانالاقتصاد يعد نسقا فرعيا . ومن ثم فان العوامل الاقتصادية هى الواجهة الرئيسية للحياة الاجتماعية ، فلها أهميتها فى إعطاء النظم الاجتماعية شكلها وصورتها ، بحيث يمكن القول أن المجتمعات تصنف حسب المعيـــار الاقتصادى ، كمجتمع الصيد ، أو الرعى أو ما إلى ذلك . كذلك فان العوامل الاقتصادية هى التى تحدد نوع التعليم الذى يمكن أن يتلقاه الفرد ، كما تعين نوع المهنة التى يعمل فيها . كذلك فهى التى تحدد دوره ومركزه والطبقة الاجتماعيه التى ينتمى إليها ، كما أن لها دورا فى تكوين الأسر ، فالأسرة الصغيرة عندما تتكون لا تعبر عن رغبتها فى المعيشة سويا فحسب ، وإنما تتحمل أعباء إقتصادية جديدة لم يكن يتحملها أي من الزوجين من قبل . كذلك فان النظـام الاقتصـادى الاشـتراكي يهـدف إلى تحقيق الرفاهيـة الاجتماعية .

وفى الحقيقة فان تلك العلاقة المتبادلة بين العوامل الإقتصادية ومجالات

الحقيقة الاجتماعية هى التى أدت إلى ظهور فرع من علم الاجتماع يطلق عليه علم الاجتماع الاقتصادى .[١]

تطور النظم الإقتصادية : —

أجتازت المجتمعات الإنسانية منذ فجر نشأتها حتى وقتنا الحاضر مراحل كثيرة فيما يتعلق باستغلالها للموارد الطبيعية ، وإنتاجها ضرورات الحياة وكمالياتها . وفى وقتنا الحاضر لا يخلو أى مجتمع من المجتمعات مهما بلغت درجة تخلفه أو تمدنه من نظام إقتصادى . ولكن تلك النظم تكون بسيطة فى المجتمعات البدائية أو المتخلفة عنها فى المجتمعات النامية أو المتقدمة . ولهذا كان الإختلاف بينهما هو إختلاف فى الكيف وليس فى الدرجة .

وكانت مرحلة الصيد وقطف الثمار هى أول مرحلة فى النظم الاقتصاديه، فقد قنع إنسان العشيرة البدائية بما تجود به الطبيعه من ثمار وحيوانات وأسماك . فقبائل الاندمان وتسمانيا فى بوليتزيا ، وقبائل الأقـــزام فى أفريقيا ، وبعض قبائل الهنود الحمر (الشوشون) فى أمريكا الشمالية ، كانت تعيش حتى وقت قريب على جمع الطعام . فمثلا كان الشوشون ينتقلون من مكان لآخر أثناء فصول السنة بحثا عن النبات والجذور والثمار . وكانوا أحيانا يصطادون الماعز والغزلان ويأكلونها نيئة .

وكان لدي هذه الجماعات نوع من تقسيم العمل . فقد كان الرجال يقومون بالصيد ، والنساء بجمع الثمار وكانت الأسرة وحدة إقتصادية أساسية للانتاج والإستهلاك

---

(1) Salvador Giner, op. cit, p. 136.

وإنتقل الإنسان إلى مرحلة الزراعة والرعى ، ويعتقد بعض العلماء أن منطقة الشرق الأوسط خاصة العراق وإيران والشام تمثل أقدم مراكز الزراعة ، إذ إخترعت منذ فترة تتراوح ما بين ٢٠ ألف ، ١٥ ألف سنة ماضية ، كما أستطاع الإنسان أن يستأنس الأنعام التى تعيش بريا ، وبعض الحيوانات التى تساعده فى مهمته ، وفى نقل الفرائس مثل الكلاب والخيول. وقد تعددت الفوائد الإقتصادية للرعى ، فمن أكل لحم الحيوان إلى إستخدام جلده وغزل شعره وحلب لبنه وحمل الأثقال وجر العربات . وقد تلاحظ أن بعض القبائل فى أفريقيا لا تستخدم الزبدة فى الطعام ، وإنما تستخدمه فى دهن الجسم والشعر .

وتعترف المجتمعات البدائية عموما بالملكية الخاصة بالنسبة إلى أشياء معينة كالملبس وأدوات العمل والأكواخ أو الأجزاء الخاصه من كوخ مشترك ، أما ملكية الأرض فهيكلها الأساسى الملكية الجماعيه مع إختلاف فى الدرجة من مجتمع إلى آخر . فقد تكون مشتركة بين الجماعة والقبيله أو كليهما معا ، وتقسيم إنتاجها تبعا للعرف ، وإن كانت القسمة ليست متساوية. وقد تكون الأرض ملكا للأسر . وقد يحدث جمع بين أنواع مختلفة من الامتلاك . فتكون الجماعة هى المحتفظة بحق أعلى فى الأرض، ولكن يكون للأسرة أو الأفراد حق الاشراف على جـــزء منها . وقد دلت الأبحاث الانثروبولوجية على أن ملكية الأرض الجماعية بدأت تضمحل فى المراحل العليا لهذه المجتمعات ، غير أنها لا تنتهى إلى مرتبة الملكية الفردية .

وخلال العصور الوسطى ، ومن خـــلال النظام الزراعى ظهر نظام الاقطاع الذى انقسم فيه المجتمع إلى طبقة الاشراف وطبقة الرقيق . وكان

نظاما يقوم على العبودية .وهو نظام متداخل مع النظم الأخرى مثل الأسرة والكنيسة والطائفة .

وفى أعقاب النظام الاقطاعى ، ظهر نظام التجارة الذى نجم عن زيادة فائض الإنتاج الزراعى ، وعن ظهور المدن التى اشتغلت بالتجارة فى الرقيق الفارين من الإقطاعيات هربا من الكبت والخضوع والتبعية . وكانت طائفة التجار تمثل التنظيم الإقتصادى . كما قامت طائفة الحرفيين . وهى تقوم بتنظيم علاقات العمل بين الحرفيين من خلال نظام يتدرج بالصبية والصناع وأرباب العمل .

وترتب على تقدم المدن وإنتشارها تركز التجارة والصناعة اليدوية والأموال فيها مما قوى نفوذها وأدى إلى انصرام النظام الاقطاعى .

ومع تزايد السكان وظهور المدن ، برزت القوة الميكانية فى الإنتاج ، وحدث الانقلاب الصناعى ، وإزداد التصنيع . وظهر النظام الرأسمالى الذى عرفه سيدنى وب Sidney Webb بأنه « تلك المرحله الخاصة فى تطور الصناعة والنظم التشريعية التى يجد فيها مجموع العمال أنفسهم منفصلين عن تملك أدوات الإنتاج على نحو يجعلهم فى مركز الأجراء الذين يبدو أن رزقهم وأمنهم وحريتهم الشخصية تعتمد على جزء ضئيل نسبيا من الأمة ـ وأعنى بهم أولئك الذين يملكون الأرض وقوة العمل فى المجتمع ويتحكمون فى تنظيمها بحكم ملكيتهم لها ، ويفعلون ذلك بغية الحصول لأنفسهم على أرباح فردية شخصية » .

أما هوبهاوس فيعرف النظام الرأسمالى بأنه « المرحله التى فيها يستخدم فى

إنتاج السلع المباعة أولئك الذين لا يملكون وسائل الانتاج ، بواسطة أولئك الذين يملكون هذه الوسائل أو يمكنهم السيطرة عليها » .

ويمكن القول بوجه عام أن النظام الرأسمالى هو نظام إقتصادى /اجتماعى يقوم على الملكية الخاصة لأدوات الانتاج ، والنزعة الفردية ، وحرية السوق ، والمنافسة الحرة ، وتقلب الأسعار طبقا لنظرية العرض والطلب ، وظروف الانتاج ، فاذا إنخفض الانتاج ، إرتفعت الأسعار ، كما يقوم النظام الرأسمالى على الربح كحافز للانتاج ، وعدم تدخل الدولة فى الحياة الاقتصادية .(١)

والنظام الرأسمالى أسمى دون شك من النظام الاقطاعى الذى سبقه ، ولكن يعتبر نجاحه حدثا تاريخيا فى ظل ظروف كانت موانية ، فقد انطوي النظام الرأسمالى على مساوىء وعيوب جعله غير قادر على مواجهة الحاجات الانسانية والاجتماعية ، وخلق الطبقة الرأسمالية التى أحلت محل طبقة الاقطاعيين ، وتركز رأس المال فى يد تلك القلة ، واتحدت طبقة الرأسماليين لتواجه التحـــديات ، واحتكرت الصناعات ، واستطاعت القبض على زمام الأمور فى مجتمعاتهم ، وتوجية سياسة الدوله لمصلحتها . كما أدى هذا النظام إلى سوء توزيع الثروة والدخل ، وإلى سوء توزيع الموارد الانتاجية ، وكانت هناك البطالة والتقلبات الاقتصادية . ونتيجة لهـذا ظهـر الصراع العنيف بين طبقة أصحـاب رءوس الأمـوال والعمال

---

(١) انظر د. السيد عبد الحليم الزيات . البناء الطبقى والتنمية السياسية فى المجتمع المصرى ـ دراسة سسيوتاريخية ١٨٠٥ ــ ١٩٥٢ ص ٧٥ .

(البروليتاريا) ، مما حدى بالدول إلى التدخل السريع للحـــد من هذا الصراع ولتجنب الأزمات الاقتصادية والبطالة والإقـلال من التفاوت الهائل فى الثروة والقوة عن طريق التنظيم التشريعى والإدارى وإتخـذ صورا متعددة .

فبعض الدول الرأسمالية تطلب من أجهزة إستثمار الأموال أن تقوم بمشروعات موجهة ، ففى سويسرا يوجه البنك السويسرى والحـكومة الفيدرالية بعض القطاعات الاقتصادية مثل بناء الطرق السريعة ، وتقديم تسهيلات للانتاج ، وتضع مقاييس لتخزين الطاقة . وتزيد دول رأسمالية أخرى السيطرة على المؤسسات شبه الأهلية مع الحفاظ على الملكية الخاصة فى وسائل الانتاج وهناك دول تقوم بفرض الضرائب التصاعدية ، وإقامة الجمعيات التعاونية [1] .

أما الدول الاشتراكية فقد حلت هذا التناقض عن طريق الاشراف الكامل على الانتاج ، وملكية وسائل الانتاج وأدواته ، والتعاون الواعى، وتوزيع قيمة الانتاج الجماعى بين الوظائف الاجتماعية المختلفة . وهذه هى أهم الأسس التى يقوم عليها النظام الاشتراكي :

أ ـ جماعية ملكية أدوات الإنتاج .

ب ـ ديموقراطية إدارة عملية الانتاج .

حـ ـ تخطيط شامل للحياة الاقتصادية والاجتماعية .

---

(1) See Dennis L. Meadows. Alternatives. to Growth-1: A Research for Sustainable Futures, p. 238.

د ـ تحقيق العدالة فى التوزيع، أى إمداد السكان بالغذاء الكافى والسلع الأخرى لمواجهة الحاجات الأساسية للانسان بغض النظر عن سعر السلعة، أو ما يسمى حرية السوق .

وقد أخذت جمهورية مصر العربية بعد ثورة ١٩٥٢ بالنظام الاشتراكى ، وخلقت قطاع عام قوى وقادر تملكه الدولة . ونظراً لظهور بعض السلبيات إهتمت الدولة بالقطاع العام والقطاع الخاص ، وأصبح إقتصادنا مزيجا من من الرأسمالية والاشتراكية .

النظم السياسية

يعرف النظام السياسى بأنه مجموعة من الظواهر والمعايير الاجتماعية المحيطة بظاهرة السلطة ، والتى تعمل على توفير العدل والأمن والحماية لأفراد المجتمع، حيث فى كل مجتمع من المجتمعات مهما كان صغيرا أم كبيرا ، ومهما بلغت درجه تخلفه أو تمدينه يوجد فرق جوهرى بين الحكام والمحكومين ، وقد يكون هذا الفرق صغيرا أو كبيرا .

ويقوم النظام السياسى بالعديد من الوظائف والأدوار المتمايزة والمتكاملة فى آن واحد ويرجع ذلك فى المقام الاول إلى تعقد الحياة الاجتماعية ، وتعدد المطالب التى يتلقاها النظام ، وتنوع التحديات التى يتعرض لها من ناحية ، وإلى تعدد وتنوع الابنية والمؤسسات التى يعتمد عليها ، وتباين وتفاوت الوظائف والادوار التى تقوم بها من ناحية أخرى .

وقد ميز جبريل ألموند G.A. Almond بين نوعين رئيسيين من وظائف النظام السياسى . الاول ما يسميه (وظائف المدخلات

Input function · ويشمـل وظائف : التنشئـة والتجنيد السيـاسى and Recruitment Political Socialization ، والتعبـير عن المصالح Interest Articulation وتجميع المصالح Interest Aggregation ، والاتصال السياسى Political Communication . والثانى هو مايسميه وظائف المخرجات output Function · ويشمل وظائـف صنع القرار Rule - Making ، وتطبيق القواعد Rule application ، والفصل فى المنازعات وفقا للقواعد Rule adjudication (١).

وتشير كلمة العملية السياسية « Political Process » بوجه عام إلى تلك الأنشطة التى تقوم بها الجماهير داخل مختلف الجماعات أثناء نضالهـا من أجل القوة ، وإستخدامها لهذه القوة فى تحقيق الأهـــداف الفردية والجماعيه . ولكى تتحقق هذه العمليه ، وتصل إلى غاياتها بنجاح ، لا بد وأن يكون ثمة مجال سياسى محدد ومتميز عن غيره من مجالات النشاط الاجتماعى ، وأن تكون هناك تجمعات سياسية واضحه وممثله لمختلف القوى الاجتماعيه ، فضلا عن وجود كادر من الصفوات السياسية ، يقود نضال الجمـاهير ويتفاعل معها ، وأن يسمح المناخ السياسى العـام بمشاركة الجماهير فى الحياة السياسيه بشكل إيجابى مؤثر وفعال . (٢)

أما الدولة فهى المصدر الذى تنبع منه كل الشئون المتعلقة بالسياسه ،

---

(١) د. السيد عبد الحليم الزيات . التنمية السياسية ـ دراسة فى علم الاجتماع السياسى ص ص ٢٣٨ – ٢٣٩

(٢) نفس المرجع . ص ص ٦١ – ٦٢

أو أنها الأساس الذى تقـوم عليه كل الأبنيه السياسيه ، أو هى الهيئه المعنوية التى تمثل الشعب وآماله . وتحتكر الدولة السلطة ، وتنبثق من القوى المركزية للحكومة .

ويرى بعض الباحثين أن الحرب تؤدى إلى ظهور القوة المركزيه وبالتالى ظهور الدولة ، ذلك أن الحرب تتطلب النظام والطاعة ، وإمتلاك الأقلية للسلطه والقيادة . فقد صاحب ظهور الدولة الحديثة الاخضاع والسيطرة ، وحدثت تغيرات بين حدود الدول نتيجة للحروب وما يصاحبها من انتصار وهزيمه . (١)

وتقوم الدولة على مقومات هى : —

١ ـ مجموعه من الأفراد (الشعب) .

٢ ـ الاقليم (أرض محددة) .

٣ ـ الحكومة .

٤ ـ سيادة الدولة .

وفى الدول المتقدمة نجد دستوراً مكتوبا ، وحكومه ، وإنفصال السلطات التشريعيه والتنفيذية والقضائية ، القانون ، والبرلمان ، والأحزاب السياسية .

أما الحكومة فهى الجهاز الذى تمارس به الدولة سلطاتها السياسية ، أو هى وكالات تسوس المجتمع ، أو هى هيئة تمارس سلطة قاهرة على جميع

(1) A. W. Green, op. cit. p. 356.

أفراد المجتمع ، وتحافظ بما لديها من تنظيم على وجود المجتمع ، وحماية الكل الاجتماعي من الأعمال العدائيه . وقد تتحول الحكومه الى دولة . وإذا ما تجمع الناس فى رابطه ثقافيه مشتركه أصبحوا أمة ، وإذا ما ظهر للأمه سلطه عامه أصبحت دولة .

ويتم إختيار الحكام بأحد الطريقتين : ـ

أ ـ الطريقة الأولى : يتم فيها إختيار الحكام بواسطة المحكومين ، ويطلق على هذا النظام عادة الطريقه الديموقراطيه ، لأنها ترتبط بفكرة التحرر فى الاختيار . وهي تأخذ بمبدأ الاقتراع العام ، وقيام الأحزاب السياسيه المنظمة .

ب ـ الطريقة الثانية : وفيها لا يتدخل المحكومون فى إختيار حكامهم . ويطلق على هذا النظام الطريقة الأوتوقراطية (المطلقة) ، لأنها ترتبط بفكرة الاستبداد . وتتسم باغتصاب السلطة ، وتتم عن طريق الغزو أو الوراثه أو التجديد الذاتى أو الانقلاب العسكرى .

ومن زاوية الهيئات الحاكمة فان هناك ثلاثة أنواع رئيسية من النظم السياسية ، نظام الحكم الفردى ، وتتكون الحكومة فيه من فرد واحد ملك أو دكتاتور أو إمبراطور أو رئيس وصى ، سواء تولى الحكم فيه عن طريق الوراثة أو عن طريق القوة . وكان هذا النظام سائدا فى كثير من الدول وخاصة فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

أما فى نظام الحكم الثنائى فتكون الحكومة فيه لشخصين يتعاونان معا

فى تسيير أمور البلاد . وإصدار القرارات معا وقد طبق هذا النظام فى الفترة الواقعة بين يونيو ونوفمبر ١٩٤٣ عندما كان الجنرال ديجول والجنرال جير يعملان معا على رأس لجنة التحرير الوطنى الفرنسى . وفى نظام الحكم الجماعى تتألف الحكومة من جماعة صغيرة من الافراد تتسم بالمساواة بين أعضائها وبالطابع الجماعى . أما نظام الحكم المزدوج فيعنى به مزيج من نظام السلطة الجماعية والحكومة الرئاسية ، ففضلا عن وجود رئيس للدولة يوجد هيئة ذات طابع جماعى ، وهى هيئة الوزارة .

وفى المجتمعات المتمدينة يميز بين سلطات الحكومة الثلاث ، وهي السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية . ووظيفة السلطة الأولى وضع القوانين العامة التى تتفق مع ظروف المجتمع وإحتياجاته ، والتى يخضع لها جميع المواطنين . وتقوم السلطة التنفيذية بتطبيق وتنفيذ تلك القوانين التى وضعتها السلطة التشريعية . أما الثالثة فتختص بالفصل فى كافة المنازعات التى تثار بين الافراد ، أو بينهم وبين الوزارات والأجهزة الادارية ، وتوقيع الجزاء على ما يرتكبه الأفراد من مخالفات .

وتتخذ المجالس النيابية أشكالا متعددة . فمنها ما يكون رأيه استشاريا ، ومنها ما يكون رأيه ملزما ، ومنها ما يتكون من مجلس واحد ، ومنها ما يتكون من مجلسين .

ولكل مجتمع قبل نشأة الحكومة ضوابطه الاجتماعية التى بدونها لا يقوم له وجود . وهذه الضوابط تأخذ فى الجماعات الأولية صورة الثناء ، واللوم ، والتقريز والطرد أو النفى ، ويساند ذلك العادات . والتقاليد ، والمحرمات غير المكتوبة .

وأبسط صورة للنظم السياسية موجودة فى المعشر، حيث يقوم رئيس المعشر بمهمة حفظ الأمن بين أفراد عشيرته ، وفض المنازعات ، ويحدد الموقع المناسب للاقامة ، ولا تأخذ سلطته شكل رسمي ، وإنما صورة عرفيه ، وهو غالبا يتمتع بشخصية قويه ، ويكون كبيراً فى السن ، وذو خبرة فى إقامة الطقوس الدينية ويمتاز هذا النوع البدائى من النظم السياسية بالديموقراطية، إذ غالبا ما يتخذ الرئيس قراراته بعد موافقة معظم أفراد المعشر عليه .

أما القبيلة وهى التى تكون من عدد من العشائر ، فالنظام السياسى فيها أكثر تعقيداً ، إذ يوجد فى القبيلة زعيم واحد على الاقل ، وهو يتمتع بسلطات أوسع من تلك التى يتمتع بها رئيس المعشر . وقد يكون هناك مجلس من رؤساء العشائر يرأسه زعيم القبيله كما فى قبائل الهنود الحمر فى أمريكا الشمالية .

أما المجتمعات البدائية المتقدمه بعض الشىء فينتشر فيها النظام الملكى ، وتتمركز السلطة فى يد الملك الذى لم يعد يحتاج إلى رؤساء العشائر أو مجلس القبيله لاعادة إنتخابه أو لانتخاب أحد أبنائه من بعده . وعندما يكون الملك كبيراً فى السن أو ضعيف البنيان فانه يترك قيادة جيش القبيله لأحد أبنائه ، ويكون الملك مسئولا عن توفير الرفاهيه لأبناء مجتمعة .

وتعتقد بعض المجتمعات البدائية أن الملك من نسل الآلهة ، ويقومون بتقديسه . ففى قبيله (تونجا) ببوليتزيا لا يخرج الملك من مسكنه الملكى إلا فى النادر ، وذلك للاعتقاد فى أن أى مكان تطؤه قدمه يتحول إلى (تابو) أى مكان مقدس لا يمكن لمسه أو المرور عليه ، وإلا تعرض المخالف لغضب الآلهه . ومن المراسم التى إنتشرت فى كثير من المجتمعات

البدائية ما يسمى باسم «البديل المتكلم» . ويتمثل ذلك فى عدم تحدث الملك إلى شعبه أو فى المجالس ، وإنما ينيب عنه بديل متخصص فى إعلان رأى الملك فى المناسبات المختلفة (١) .

وفى بعض المجتمعات يعاون الملك جهاز إدارى تنفيذى فى حكم القبيله، ويرأس ذلك الجهاز الملكى الذى يتكون من العائله المالكه ، أو من زعماء القبائل أو العشائر . وقد يكون من حق المجلس معاقبة الملك أو إعدامه إذا تبين أن روحا شريرة قد تقمصته ، وجعلته دكتاتورا .

ومن أهم وظائف الملك إعلان الحرب ، وتنظيم الاحتفالات الدينيه ، وتعيين الرؤساء ، وفض المنازعات بين العشائر . أما رقابة العرف فيقوم بها رؤساء العشائر ، ورؤساء العائلات .

والمجال السياسي فى دول العالم الثالث مجال غير متميز وغير محدد المعالم والابعاد . فهو لا ينفصل عن غيره من مجالات النشاط الاجتماعى الاخري ويختلط بها . ويتأتى ذلك من أن المكانه الاجتماعية للفرد ، وما يتمتع به من قوة وهيبه داخل المجتمع ، وما له من نفوذ سياسى إنما هى أمور مستمدة — أولا وقبل كل شيء من مكانة أسرته أو جماعته الاوليه ، ومن قدرته على الانجاز ، أو كفاءته العلمية ومهارته القيادية . كما أن سلوكه وولاءه السياسى يتحدد تبعا لدرجة توحده بجماعته الاوليه أكثر منه نتيجة لتمسكه وإلتزامه بالاهداف السياسية القوميـة للمجتمع . ومن هنـا كان النضال السياسى فى هذه الدول ـ أساسا وفى أغلب الاحوال ـ حول قضايا الهيبه والنفوذ والامور الشخصية أكثر منه حول القضايا القوميه العامه . وبالتالي أصبحت الاستجابه إلى أى داعيه سياسى تتوقف عادة على مكانته الاجتماعية ، أكثر منها على مضمون رأيه . كما أصبح تغيير الولاء السياسى للفرد يتطلب تغيير علاقاته الاجتماعية والشخصية . وقد ترتب على هذا التغيير أيضا تغييراً آخر فى هويته السياسية .

---

١ ـ د. عاطف وصفى ، المرجع السابق . ٢١٢ .

النظم التربوية

لايتميز مصطلح « التربية education » كثيرا عن مصطلح « التنشئة الاجتماعية Socialization » . فمن الناحية التاريخيـة تعنى التربية تدريب الصغار تدريبا واعيا حتى يتكيفوا مع المجتمع ، وذلك بتحويل المخلوق إلى إنسان اجتماعى يعرف حقوقه وواجباته ، وحقوق الغير ، ويتكلم بالوسائل الرمزية بدلا من الإشارات والمصطلحات التى تستخدمها الحيوانات ، وهى بعث القيم والمعارف واستمرارها وبقائها .

ويتمثل ذلك فى مجتمعات ماقبل التاريخ والمجتمعات البدائية والمجتمعات الأمية ، حيث يكون التعليم غير رسمى ، ويتولى الأقارب والآباء والإخوة والأخوات نقل القيم الاجتماعية والمهارات للصغار . فبدون تدخل هؤلاء الأقارب يصبح الطفل كتلة من الهمجية ، عاريا دون ملابس ، ولايعرف لغة ولادينا ، أو معايير اجتماعية .

وتعنى التربية بالمفهوم الحديث التدريب الرسمى عن طريق المدرسـة والمتخصصين ، وهى التى تحول الطفل الفلاح إلى موظف ، والفلاح إلى محامى ، والمهاجر الإيطالى إلى أمريكى ، والجاهل إلى متعلم .

وكلا المفهومان ـ يعنى إعداد الفرد ليكون عنصرا صالحا فى المجتمع . فكل حدث وكل تجربة يمر بها الطفل هى عملية تربوية ومن ثم فهناك تربية رسمية ، وتربية غير رسمية . وعلى ذلك تعرف التربيـة بأنها نقل تقـاليد المجتمع وعاداته ومهاراته ـ أى ثقافته عموما ـ إلى أعضائه الجدد ، ذلك أن بقاء المجتمع ذاته يتوقف على نقـل تراثه إلى الصغار . يقـــول

« جون ديوى Dewey »[1] أستاذ التربية الأمريكى « اعتقد اعتقادا جازما أن التربية هى الوسيلة الأساسية للتقدم الإنسانى ، وأنها الأساس الذى يجب أن يقوم عليه كل إصلاح اجتماعى » .

وقد نوقشت التربية من وجهات نظر مختلفة . فاعتبر الأخلاقيون التربية وسيلة لخلق فرد على مستوى الجنتلمان (أوين Owen) ، واعتبرها البعض وسيلة لتقليل معدل المواليد (مالتس) ، ونظر اليها آخرون على أنها تجعل من الفرد كافرا أو متدينا (الكنيسة) . وتناولها علماء العلوم الإنسانية باعتبارها وسيلة لتجنب الفقر . ويرى رجال التعليم أن التربية هى هدف فى ذاتها ، ومن ثم فعلى الحكومة ان تقوم بتطويره وتعمل على تقدمه . أما علماء الاقتصاد فيرون أن التعليم قوة دافعة للتقدم الاقتصادي ، وأدت وجهة النظر هذه إلى اقامة المعاهد الفنية فى المناطق الصناعية فى انجلترا خلال الفترة من عام ١٨٢٠ — ١٨٣٠ .[2]

وقد نظر علماء الاجتماع إلى المبادىء التربوية التى ظهرت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فوجدوا أنها جميعا تبدأ بفرض خاطىء . وهو إمكان وجود نظام تربوى مثالى يصلح لجميع الناس فى جميع الازمنة والامكنة . وفى هذا يقول كانط Kant أن الغرض من التربية هو أن تصل بالفرد إلى أقصى درجات الكمال الممكنة .

---

١) د. السيد محمد بدوى . مبادىء علم الاجتماعى ص ٣٥٦ وما بعده

2 - Tony Byrne & Cellin F. Padfield, Social Services P. p. 174 - 176

ولكن بنظرة إلى المجتمعات البشرية وإلى صفحات التاريخ نجـد أن مستواها يختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان ، فالمجتمع الواحد فى زمن الحرب يختلف عنه فى زمن السلم ، وما نجده بالأمس كافيا لمعيشتنا قد نراه اليوم دون ما يحقق كرامة الإنسان . وهكذا ينهدم ما يدعون من وجوب إنشاء نظام مثالى موحد يسرى على المجتمعات جميعا .

فقد كان النظام التربوى فى أثينا يقوم على إنشاء عقول مهذبة ، تتذوق معنى الجمال ، وتتبارى فى الحوار والجدل والفلسفة . وكان النظام التربوي فى روما يقوم على أساس تربية أطفال ليكونوا رجالا عسكريين يتحمسون للحرب ، ويولعون بالانتصارات الحربية ؛ وفى العصور الوسطى كان النظام التربوى يقـوم على أسـاس تكوين رجال يكرسون حياتهم لنصرة الدين المسيحى ، وفى عصر النهضة قامت التربيـة على الامـور الدنيوية ، واتجهت وجهة أدبية فنية قوامها إحيـاء الحضـارة الإفريقية والرومانية القـــديمة .

وفى الوقت المعاصر نجد أن النظام التربوى يقوم فى الولايات المتحـدة الامريكية على أساس إعداد الفرد ليكون رجل نشاط وعمل Business Man ولا يهتم الامريكيون بالملكات العقلية إلا بالقدر الذى يسمح للمرء بتوجيه دفة الاعمال توجيها ناجحا . أما فى انجلترا فتتجه التربية نحو إعداد ما يسمونه « الجنتلمان » ، وأهم صفاته الاعتداد بالنفس ، وتقدير الواجب داخل نطاق النظام والتمسك ببعض التقاليد ، وحب الرياضه . أما النظام التربوى فى فرنسا فيهدف إلى تقوية الملكات العقلية خاصة التفكير المنطقى ، والقدرة

على سرد الافكار والآراء بوضوح . وفى روسيا نجد أن التربية تهدف إلى خلق الفرد المؤمن بالمبادىء الاشتراكية .

النظـم الترفيهية :

قد يندهش البعض إذا وضعنا النشاط الترويحى تحت اصطلاح النظم الترويحية والحقيقية أن النشاط الترويحى يحتاج كما يحتاج غيره من أنواع الانشطة إلى تظيم وتوجيه ، فمثلا فى مصر ، ومع أننا حددنا ساعات العمل للعامل على أساس أن يعطى قسطا من الراحه يستغله فى تحسين مستواه العقـلى والاجتماعى ، ولكنه استغل هذا الوقت فى تعاطى المكيفات والمخدرات ، والجلوس على المقـاهى ، ولعب الميسر ، وبعثرة المـــال فيا يفسد الصحة والعقل .

والنشاط الترويحى له وظائف اساسية فى حياة الإنسان ، أهمها الاعداد للحياة لمستقبلة جسميا ونفسيا ، وتحقيق التوازن بين قواه المختلفة ،والتنفيس عن بعض الغرائز .

ومن الانظمة الترويحية مايهدف إلى تنظم أوقات الفراغ والاستفادة منها فى النهوض بالشباب من النواحى الجسمية والعقليه والروحية ، ومنها ما يهدف إلى إيقاظ الوعى الاجتماعى وتنشيطة ، فالفرد عن طريق ممارسته لهذا النشاط يشعر بالحاجة إلى التعاون مع الغـير ، ويتعـود على الخضوع للقانون ، وطاعة الرؤســـاء وإثار المصلحة العامة ، والتضحية فى سبيل الجماعة التى ينتمى إليهـا ، والمنافسة البريئة ، واحتمال الهزيمـة ، والرحمه بالمغلوب . ومن النظم الترويحية مايهدف إلى إيقاظ الوعى القومى عن طريق ترديد الاغانى والاناشيد الجماعية والوطنية والقومية .

وليس معنى ذلك أن كلا من هذه الانظمة يعتبر نظاما مستقلا ، بل الغالب أنها متداخلة ، فقد يضع مجتمع نظاما ترويحيا بهدف إلى تحقيق ماسبق ذكره جميعا .

هذا ولاتختلف النظم الترويحية من مجتمع لآخر ، بل تختلف كذلك داخل المجتمع الواحد من فرد الآخر ، فقد أدت ظاهرة تقسيم العمل إلى تنوع ميول الافراد وأمزجتهم ، وأصبح النشاط الذي يعد ترفيها لشخص معين قد لايعد كذلك بالنسبة لآخر ، فقراءة كتاب قد يعد نشاط ترويحيا لشخص يشتغل بالاعمال اليدوية أو الاعمال التى تتطلب جهدا جسمانيا ، بينما لاتعد نشاطا ترويحيا بالنسبه لشخص يشتغل بالاعمال العقلية والذهنية ، إذ أن هذا الأخير يشغل وقت فراغة مثلا بالالعاب الرياضيه . كذلك فان المدرب الرياضى لاينظر إلى الالعاب الرياضيه على أنها نشاطا ترويحى ، وإنما ينظر إليها على أنها عمل .

الفصل السادس

التنظيمات الاجتماعية

Social Organization

التنظيمات الاجتماعية

Sccial Organization

لمصطلح التنظيمات الاجتماعية إستعمالان ، فهو يشير إلى نوع من التنظيم موضوع الدراسـة كالتنظيم الإجتماعى للمصنع . وقد إحتلت تنظيمات المصنع مكانة كبيرة عند ماكس فيبر خاصة فيما يتعلق بنماذج السلطة والبيروقراطية التى بدأت تأخذ مكانتهـا فى المانيا . وحدد فيبر المجالات المتباينة التى يمكن أن يطبق فيهـا هذا النموذج من التنظيم ، فيختصرها فى ميادين الأعمال التى تهدف إلى تحقيق الربح ، أو المشروعات الخاصة التى تخدم أغراضـا مادية أو مثالية ، والتنظيمات الخيرية والدينية والسياسية والعسكرية .

وينتهى فيـبر إلى القول بأن هذا النموذج البيروقراطى يمثل أداة أكثر كفاية ومعقولية ورشد فى إدارة التنظيمات ذات الحجم الكبير (١)

وينقسم التنظيم الإجتماعى فى المصنع إلى : —

١ ــ التنظيم الإنتاجى ، ويتناول عوامل الانتاج الرئيسية والطبيعية ورأس المال والعمل والادارة . ويشير التنظيم الإنتاجى فى بعده الاقتصادى إلى ترتيبات وعلاقات بين العمال والتسهيلات فى وحدة إقتصادية تهدف إلى خلق واحدة أو أكثر من المنافع الشكلية أو الزمنية ، أو المكانية وغيرها .

---

١ ـــ د. على عبد الرازق جلبى . المرجع السابق ص ص ١١٩ – ١٢٦

٢ — التنظيم الصناعى :

ويبدأ التنظيم الصناعى بوحدة إنتاجية أو مجموعة من مثل هذه الوحدات ويربط بينها وبين غيرها من الوحدات . والكيان الناتج يحتوى على تنظيم الاقتصادى القومى ، أو نظام اقتصاد الدولة . وتبرز احتوائية الاصطلاح عند ما يستخدم الوصف مجموعة المصانع والورش ، وكذلك المؤسسات المتكاملة ، والتى يطلق عليها التنظيم الصناعى . وأحيانا نجد أن هذا الاصطلاح فى بعده الاقتصادى يتناول وصف عملية توطن الصناعة أو إختيار مواقع الصناعة فى مناطق جغرافية معينة .

٣ — التنظيم الاقتصادى :

ويحتوى التنظيم الاقتصادى مجموعة من الوحدات الاقتصادية ، والتى تعتبر عادة وحدات إنتاجية متكاملة ، ولكن عادة يختص أساسا بتوجية ورقابة أنشطتها ، فالرأسمالية والاشتراكية والشيوعية هى أنواع ممثلة للتنظيم الاقتصادى .

٤ — تنظيم المصنع :

ويقتصر تنظيم المصنع على وصف الجوانب الداخلية للمصنع بصفة أساسيه ، ويشير عادة إلى وضع الترتيبات وتجميع الآلات وتدفق المواد وغيرها من الجوانب التكنولوجية إلى جانب هؤلاء الأفراد المرتبطين بها .

٥ — تنظيم الأعمال :

أما تنظيم الأعمال فيشير إلى معان مختلفة ، ومن ثم ظهر لها عدد من

التعريفات نذكر منهـا تعريف هنرى فايول بأنه « إمداد المنشأة بكل ما يساعدها على تأدية وظائفها من المواد الاولية والعدد ورأس المال والافراد وتستلزم وظيفة التنظيم من المدير إقامة العلاقات بين الافراد بعضهم وبعض وبين الأشياء بعضها ببعض . أما شستر فيعرف تنظيم الاعمال بأنه « نظام يعمل على التحديد الادارى الواعى للأنشطة أو القوى الشخصية المنسقة بين شخصين أو أكثر ».(٢)

أما الاستعمال الثانى فهو يشير إلى التنظيم الاجتماعى كمرادف للبنـاء الاجتماعى — أى باعتباره بناء — أى وحدة مكونة من أجزاء مترابطة ومنظمه . ويعتمد بعضها على بعض . هذه العناصر المترابطه هى المعايير الاجتماعية التى تنظم سلوك الناس . وتجعل السلوك الاجتماعى يسير طبقـا لقواعد معينة لتأدية وظائف معينة فى الحياة الإجتماعيه ، وتحقق الاغراض والغايات التى يستهدفها المجتمع . هذه القواعد التنظيمية ليست إلا مستويات قررتها زمرة من الأفراد لضبط سلوك أفرادها من حيث علاقاتهم بعضهم ببعض ، وعلاقاتهم بالزمرة ككل . وكل فرد من أفراد المجتمـع يحترم تلك القواعد ، وإحترامه له ليس فطريا ولا موروثا ، ولكنه نتيجـــة التكيف مع المجتمع . وهذه خاصية جوهرية للكيانات الإجتماعية الدائمة ، مثل المجتمع والجماعات الاجتماعية ، والمجتمعات المحلية .

---

١ — د. عمرو غنايم ود. على الشرقاوى تنظيم وإدارة الاعمال — الاسس الاصولية العلمية — مدخل تحليلى ص ص ٣٦٥ - ٣٦٧

ويختلف علماء الإجتماع فى الأسماء التى يطلقونها على الاعتماد المتبادل بين الأجزاء ، فيطلقون عليه المهـام والأنشطة ، والعلاقات بين الأدوار ، والقيم والمعتقدات . وهذه التنظيمات تتسم بالعمومية إلا أن عموميتها نسبية أى قد تختص بفريق من الأفراد دون غيرهم . وهى تحمل فى طياتها معنى الالزام ، وتخاطب عواطف من تحكمهم ن الناس وعقولهم . إن مظاهر السلوك العام والآداب العامة تكشف عن تماسك المجتمع ، الا أنه تماسك ليس كاملا ، وذلك لأن المصلحـة الشخصية للأفراد تجرى دائما ضد المصلحة العامة أو المشتركه للمجتمع ، ولأن مصلحة الزمرة الصغيرة كالأسرة أو النادى ، تسير فى أكثر الأحيان ضد مقتضيات الزمرة الكبيرة كالجماعة المحلية أو الطبقة الاجتماعية إن معايير السلوك الاجتماعى كثيرا ماتقيد المسعى نحو المصالح الذاتية . ومن جهة أخرى كثير من التنظيم تصاغ لتحقيق مصلحة الزمر أو الطبقات التى لهـا الغلبة والمكانة المرموقة ، وتلقى مقاومة من الزمر الأخرى . (١)

وأى تنظيم إجتماعى لا يمكن أن يوجد إلا على أسـاس عمليتين رئيسيتين ، الأولى عملية الاختلاف Process of Differenciaticn ، والتى تتميز عن طريقها أجزاء المجتمع بعضها عن بعض عن طريق ما تؤدى كل منهـا وظائف مختلفة نتيجة للاختلاف فى الخبرات والاهداف والبرامج . والتنظيم لا يكون الا عن طريق ما يختلف به كل فرد عن الآخر ، أو كل جمـــاعة عن الأخرى .

---

١ — د. م. ماكيفر وشارلز ه بيج . المجتمع ـ الجزء الأول ص ٢٧٦

أما العملية الرئيسية الثـــانية للتنظيم الاجتماعى فهى عملية التكامل Process of Integration ، وهى العملية التى تصبح الأجزاء المختلفة فيها متآلفة . ولا تعنى عملية التكامل أن يكون الأفراد متشابهين، وإنما على العكس من ذلك تمكن هذه العملية الاجزاء المختلفة من تأدية وظائفها بطريقة صحيحة. ولما كانت هاتان العمليتان متلازمتين باستمرار بدرجات متفاوته، لم يعد التنظيم الاجتماعي شيئا ثابتا ، وإنمـــا شيء دائم التغير ، ذلك أنه يأتى نتيجة لعمليتى الاختلاف والتكامل فى تعاونهما معـا . وإذا لم تتآلف العمليتان ظهر ما يعرف بالمشـاكل الاجتماعية ، فاختلاف التخصص فى نشاط أفراد الأسرة ، لا بد أن يصاحبه نوع من التكامل يستهدف التوفيق بين نشاط أفرادها . وإلا اتجهت الأسرة إلى الإنهيار .

وهناك أنواع من التنظيمات تنشأ تلقائيـا ، وأنواع أخرى تنشأ بشكل تعمدى شعورى . والتنظيم فى مجتمعات المراحل الدنيا ضئيل للغاية ، فليس هناك تدرج فى المرتبة بين الأفراد ، ويكون لأكبر الذكور سنـا بعض السلطة . غير أن سلطته لا يمكن تحـديد مداها . ويقوم الاتصال بين المجموعات التى تتـكلم لهجات متشابهة ، وقد تتعاون من أجل أغراض الدفاع المشترك أو أداء الطقوس الدينية .

أما فى المجتمع الذى نسميه القبيلة فليس هناك حكومه بالمعنى المعروف ولـكن هناك حقوق وواجبـات يحددها العرف . وفى المجتمعات الراقية يمكن أن نميز أربعة من التنظيم الاجتماعى :

١ ـ القواعد الأخلاقية ٣ — العـــرف

٢ ـ القـواعد التشريعية ٤ — الذوق

ويهدف التنظيم الإجتماعى إلى غرس الفضائل والمعتقدات فى أفراد المجتمع عن طريق تكرار أساليب التفكير وأنماط المعتقدات والإشارة اليها من وقت لآخر وذلك كاشارة الوالدين إلى طفلها باستمرار إلى ما هو صواب وما هو خطأ ، فالأسرة مثلا هى المدرسة الأولى التى يتعلم فيها الطفل النظم الاجتماعية والقواعد الخاصة بعادات وتقاليد المجتمع ، ثم تقوم المدرسة بمشاركة الأسرة فى هذا العمل ، كذلك هناك وسائل أكثر تنظيما تقوم بذلك كالكنيسة والمسجد ، ثم هناك منظمات خاصة « الشباب الشيوعى » فى روسيا ، و « شباب هتلر » فى أواخر عهد ألمانيا النازية وال « بالبلا » و « أنجارد يستى » فى أوائل عهد إيطاليا الفاشية . وهذه المنظمات أنشئت لاستثارة خيال الشباب وغرس الأفكار الجديدة فى عقولهم .

وفى المجتمع الأمريكى هيئات مثل الجمعيات الكبرى للعمل والتجارة وغرف التجارة المحلية وجمعيات المحاربين القدماء والجمعيات الوطنية . وقد حاولت هذه السعى من وقت لآخر للتأثير فى إختيار المراجع الجامعية الاساسية وأعضاء هيئة التدريس أو نفس المواد التى تدرس فى المعاهد المختلفة .

المعايير الإجتماعية : —

يكتسب الإنسان خلال معيشته فى بيئته الإجتماعية كثيرا من التصورات والأفكار التى تزوده بها ثقافة المجتمع ، وتعمل هذه المعايير الإجتماعية على إقامة نسق من التبريرات والتعقلات للظروف الراهنة الموجوده فعلا ، وتوجه الافعال ، ويقاس على أساسها سلوك الفرد والجماعة ، فكثيرا من العادات الاجتماعية تعتبر بمثابة قوانين كالإجراءات الخاصة بالزواج .

وتتمثل المعايير الاجتماعية فى العادات والعرف والقيم والتقاليد والقانون والرأى العام والرقابة الاجتماعية .

العـــادات Habits : ــ

العادات ظاهرة إجتماعية ، وهى معيار أو قاعدة للسلوك الجمعى ، تشير إلى أفعال الناس التى تعودوا عليها . وسلوكهم على نحو شبه آلى بفضل التكرار المستمر ، والتعلم ، والتدريب . وإلى هذا الطابع الشبه آلى يعزى الشعور بعدم الارتياح الذى نحس به عندما نسلك سلوكا خارج عن تلك العادات . والعادات جزء هام أو فصل هام من دستور الأمة غير المكتوب ، بيد أنها مدونة فى صدور الأفراد ، وراسبة فى تكوينهم .

وتتمثل العادات فى اللغة والأنماط الرمزية الأخرى التى تعبر عن أفكار الفرد ومعتقداته وأنواع السلوك كآداب المائدة ، والأزياء ، وأسلوب الحديث ، وطرق التحية ، والاستقبال ، والتوديع ، والتهنئة ، ومثل عادة التدخين ، وتناول القهـــوة والشاى ، والتوسعة على الأطفال فى أيام الأعياد (العدية) .

وبعض العادات شاذ وضار ، ويمثل حالة مرضية تنتاب الجماعة ، وهى عادات يأخذ بها بعض الأفراد أو الطبقات ، وتتمثل تلك العادات فى زيارة الأضرحة والمقابر ، وأكل الفسيـخ فى الحدائق العامة أيام شم النسيم ، وتهريج العوام فى مناسبات الأعياد ، وتعاطى المخدرات والخمور .

وتدعم العادات الحياة الاجتماعية ، وتؤدى إلى تعزيز وحدة المجتمع ، وتقوية الروابط بين أفراده وهى تنشأ تلقائيا نتيجة إجتماع الناس معا لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر السلوك الجمعى ، ويتقبل الأفراد العادات طوعا وإختيارا . وتتسم العادات كذلك بالعمومية والانتشار . كما تتسم بالالزام ، فمن يخرج

عليها يلقى الازدراء والتحقير والسخرية ، وقد يثير الغضب والعداء من قبل أفراد المجتمع . إلا أن جبرية العادة نسبية ، فالإنسان يستطيع أن يحور فيها ويغيرها فى الحدود التى تجيزها وفقاً لثقافته ، ومبلغ تطوره وتطور بيئته الخاصة ، وهى ليست ملزمة كممول الضرائب مثلا ، ولكنها تتفاوت على درجات ، وتتغير فى نفس الجماعة من عصر إلى عصر . فتأدية الزكاة — مثلا ، والصوم فى رمضان ، وصلاة الجمعة كانت عادات حتمية فى مصر فى عصور الإسلام الأولى ، ولكنها الآن سلوكا جمعيا ، كذلك كان لبس الطربوش فى مصر حتى عام ١٩٤٠ يعتبر عادة إجتماعية ، ومنذ سنوات أصبح سلوكا شبه جمعى ، والآن قلما تجد من يلبس الطربوش .

العرف : Usage · —

العرف عبارة عن طائفة من الأفكار والآراء والمعتقدات التى تنشأ فى جو الجماعة ، وتمثل مقدسات الجماعة ومحرماتها ، وتنعكس فيما يزاوله الأفراد من أعمال وما يلجأون إليه فى كثير من مظاهر سلوكهم الجمعى . وينحصر نطاقه فى طبقات أو مجموعات معينة داخل المجتمع على الرغم من أن له فى كثير من الأحيان إحتراما يضفى عليه قيمة توحى لأعضاء المجموعات الأخرى بمجاراته وتقليده .

والعرف وما يتصل به من العقائد الشعبية وأفكار العوام يعتبر أهم جزء من دستور الأمة غير المكتوب . وقد ترقى بعض أحكامه وقضاياه إلى درجة القواعد القانونية . ومع ذلك فان الرأى الشائع هو الذى يحمى العرف لا السلطة التشريعية . وينساق الأفراد فى ركاب العرف ، ومن يحاول أن يتصدى لما يفرضه من مظاهر السلوك أو المعتقدات والآراء

يقابل من الجماعة بقوة تتناسب مع قوة العقيدة التى خـرج عليها ، ومبلغ تأثيرها على ضمير الجماعة .

ويتمثل العرف فى الجانب السلبي لمحرمات ومقدسات أي مجتمع وتحريم بعض الأعمال لارتباطها بقوة مؤثرة فى الحـوادث مثل « لا تسرق » و « لا تضرب امرأة » و « لا تسر فى الطريق عريانا » و « عدم كنس الشوارع ليلا » و « عدم كنسها يوم سفر صاحبها ظنا منهم أن هذه الامور تجلب التعاسة وتسبب حوادث مؤلمة » و « مثل التشاؤم من سماع نقيق البوم ، وعدم التفكير فى اقتنائها ، وعدم لمس المحرمات ، وعدم ذبح بعض الحيوانات ، وعدم أكل لحوم بعض الطيور لارتباطها بأصول قدسية أو لارتباطها بأفكار وتصورات خارقة . فأمريكا لا تأكل لحوم الخيل بينما يأكلها الأوربيون ، وأهل الصين لا يأكلون منتجات الابقار بينما يأكلها المصريون وهنود البرازيل يأكلون أنواعا من النمل والحشرات بينما لا يأكلها الأوربيون ومن إليهم . والعشائر البدائية تحرم أكل توانمها ، بينما تعتبر هذه التوانم من أهم أنواع الغذاء الحيوانى عند غيرهم من الشعوب . ومثل الاعتقاد فى التأثير الخارق للشياطين والارواح الخبيثة ، وأثر هذه الآراء فى أعمال الأفراد .

ويختلف العرف عن العادات فى إرتباطه بالناحية العقائدية والعقلية . أما العادات فهى فى معظمها أفعال وأعمال . ويخضع العرف للتطور شأنه شأن العادات . فهو لا يجمد على أوضاع معينة ، ولكنه يتزحزح إلى حد ما عن صوره الاولى وأشكاله القديمة . غير أن تطوره بطىء ، وفى حدود ضيقة، ويقابل من جمهور العوام بغضب شديد فى أول الامر ، حتى يتمثله الافراد

فى تفكيرهم ومشاعرهم وتسلسيفه عقيـــولهم . (١)

التقـــاليد :

التقاليد هى عبارة عن مجموعة من قواعد السلوك التى تنشأ عن الرضـا والاتفاق الجمعى ، وهى تستمد قوتها من المجتمع ، وتحتفظ بالحكم المتراكمة وذكريات الماضى التى مر بها المجتمع ، يتناقلها الخلف عن السلف جيل بعد جيل . والتقليد هو أسلوب المجتمع فى إحتواء العـادات النافعه ، والآثار والبقايا غير النافعه ، فقدر كبير من تفكير أفراد المجتمع يشير إلى محاولة تفادى أخطاء الاسلاف وينوع ما بين التراث الشعبي الحقيقى والقديم .

وتختلف العـادات عن التقاليد فى أن الاخيرة تعنى إنتقال العادات من جيل إلى جيل من خلال التيارات الإجتماعية . كما أن العادات تتعلق بالسلوك الخاص ، أما التقاليد فتتعلق بسلوك المجتمع بكليته ، فالاحتفال بأعيـاد الميلاد والزواج تعتبر عادة ، أما الاحتفـال بميلاد بنى أو زعيم فيعتـبر تقليـدا .

القيم :

وتشمل القيم كل الموضوعات والظروف والمبادىء التى أصبحت ذات معنى خلال تجربة الانسان الطويلة كالشجاعة والقوة والاحتمال والإيثار والمهارة الفنية وضبط النفس والأمانة ، والصمت أو الثرثرة ، والاتزان والانفعال ، والحب ، والحريه ، والعدالة .

---

١ — د مصطفى الخشاب . علم الإجتماع ومدارسه ـ الكتاب الثانى دعائم علم الإجتماع وحقائقه ص ١٤٦

والقيم ليست هذه الصفات المجردة فحسب ، بل هي كذلك أنماط السلوك التي تعبر عن هذه القيم . أو هي موجهات السلوك في النسق الاجتماعي

وتختلف القيم باختلاف السلالة أو الجنس أو الطبقة في النسق الاجتماعي ، ومع ذلك تظل قيم ذات عمومية لجميع الاعضاء على الرغم من أن الكثيرين قد يفشلون في تحقيقها في سلوكهم الفردي أو الاجتماعي . وكل ثقافة لها مجموعات من القيم ، ولكن درجة تقبل أفراد المجتمع عليها متفاوته .

هذا وتتغير القيم تحت ضغط عوامل كالتغير التكنولوجي الحديث . أو إنتشار السكان ، أو ظهور عدو .

الايديولوجيـــة : —

وهي الافكار العامة المقبولة عن المجتمع وعملياته الداخلية ، ومركزه العلمي وتاريخه ، وهي كذلك الاحكام العامة عن الحقائق التي يعتنقها الناس دون مناقشة . وهي أيضا القيم المقررة والمقبولة والاهداف المحددة للمجتمع .[1]

السلطة : Authority

لا تسير المجتمعات مهما كانت بسيطة أو معقدة كيفما اتفق ، ذلك أن كل نواحي النشاط التي تكون الحياة اليومية تتطلب التوجيه ، كذلك لا تستمر الثقافات في سيرها على أساس عشوائي ، لأن الاتجاهات والمعتقدات

---

١ — أنظر د. محمد عاطف غيث . علم الإجتماع — الجزء الأول النظرية والمنهج والموضوع ص ص ٢٤٩ — ٢٥١

تتطلب حماية وتعزيزا دائما . إذن لا بد أن تكون هناك جهة موجودة وقائمة لإصدار القرارات يناط بها بعض الأفراد فى المجتمع ، ووضع القرارات والقوانين وما يتصل بها من إجراءات يمكن أن يطلق عليه اسم « السلطة » . أما ممارسة السلطة فيطلق عليه اسم « الضبط » . ومن أجل هذا كانت السلطة هي الحق المقرر لجماعة من الناس فى وضع قرارات ملزمة فيما يتصل ببعض نواحى الحياة أو أوجه النشاط الخاصة لآخرين ، أو هى القدرة على التأثير فى سلوك الآخرين لتحقيق الأهداف التنظيمية [1]

وينطوى هذا التعريف على ثلاثة عناصر : الحق والتصرف والقوة ، فالقوة تعطى الحق لصاحبها أى تعطيه المساندة والتدعيم اللازم لطلب الأشياء ، وتوقع الالتزام من الغير وإمتلاك هذا الحق يخول صاحبه التصرف إما بنفسه أو بواسطة الغير . كما تعنى السلطة القوة فى إستخدام أنظمة الثواب والعقاب حتى يمكن أن تتحقق التصرفات المطلوبة .

ويشير إصطلاح السلطة إلى العديد من المعانى . فقد يطلق على مجلس أو هيئه لها صلاحيات التصرف فى منطقة معينة ، مثل سلطة الميناء Pcrt Authcrity ، أو سلطة الادارة حيث تقوم على العلاقات التى تربط بين الرئيس والمرؤوس . فمدير المنظمة أو رئيس الادارة أو رئيس القسم أو الفرع يمنح السلطة لاجبار الاخرين على الامتثال سواء أكان ذلك بالاقناع أم بالضغط أو العقوبات المادية أو الاجتماعية .

---

١ ـ أنظر د. محمد عاطف غيث . علم الاجتماع ـ الجزء الاول ـ النظرية والمنهج والموضوع ص ص ٢٤٩ ـ ٢٥١

ويشير المصطلح كذلك إلى التكوين القـانونى للدولة . حيث تنقسم السلطة إلى السلطة الشرعية والسلطة المغتصبة ، والاخيرة هى ممـارسة الضبط على الآخرين بطريقة ليست مقررة فى الثقافة . وهناك تقسيم آخر للسلطة يقوم على ثلاثة أنواع : الأول السلطة التشريعية ، والسلطة التنفيذية ، والسلطة القضائية .

القـــانون :—

إن السلوك الجمعى والعرف لا يمكن يضمنا فى المجتمعات المعقدة مستوى عاديا للجماعة دون انحراف ، إلا إذا توافر فى المجتمـع عنصر القانون . والقانون هو مجموع قواعد اجتماعية تستخدم القوة أو تهدد باستخدام القوة بأساليب معروفة ومحددة من قبل لتنظيم العلاقة وتحقيق العدالة بين الأفراد، وتعترف محـاكم الدولة بهذه القواعد وتشرحها وتطبقها وهى قواعد ملزمة للأفراد ومن يخرج عليها يلقى العقاب على يد الدولة . ومن ثم فالقانون وسيلة الضبط الاجتماعى على مستوى المجتمع ككل .

والقانون يخضع للتغير ، وفى هذا الخصوص قرر دين روسكو بوند Dean Roscce Pound [1] أن « القانون يجب أن يكون ثابتا ومستقرا ومع ذلك فهو لا يستطيع أن يبقى ثابتا دون تغيير »

وهناك فارق بين القواعد القانونية والقواعد الاخلاقية، فالأولى تحددها الدولة تحديدا دقيقا أما القواعد الاخلاقية فمن يخرج عليها لا يلقى العقاب

---

1 – A. W. Green, op. cit, P· 532

من جانب الدولة ، فليست هناك سلطة خاصة تصدر الأوامر للناس بأن يرفعوا القبعات إحتراما للسيدات ، أو أن يدفعوا الاكراميات لخدم المطاعم ، أو لجعل المقابلات يوم الخميس أو يوم الجمعة أو يوم الأحد ، أو الخروج إلى الحدائق العامة يوم شم النسيم ، وإنما يواجه من يخرج على القاعدة الأخلاقية الضمير الأخلاقي الذى يتبدى فى التوبيخ والسخرية والاحتقار من جانب أفراد المجتمع ، ودون سلطة رسمية من جانب الدولة

والقانون لا يعاقب على النية إلا بقدر ما يصدر عن الشخص من أفعال أما الأخلاق فيعاقب عليها ، فالقانون – مثلا – لا يعاقب على الحسد أو إحتقار الآخرين .

وكثير من القواعد الأخلاقية قد تصبح قوانين ، وبالعكس هناك قوانين قد يعدل عنها المشرع فليغيها لأنها لم تكن ذات فائدة . كذلك تعتبر الدين مصدرا للقوانين . وقد برهن فوستيل دى كولانج fustel De Cculange على ذلك ، وأبان أن الشعوب البدائية لم تكن لتطع القانون إلا أنه عند الالهة .

ويختلف القانون عن العادات فى أن القانون عبارة عن قواعد معروفة ومكتوبة ، أما العادات فهى قواعد غير مكتوبة . وقد تتطور العادات فتصبح قانونا تنفذه السلطة . هذا وتعتبر العادات أحد مصادر القانون ، فمثلا تعتبر العادات أحد مصادر القانون الانجليزى ، وهى أساس مجموعة من أهم مبادىء القانون العام . كما أن العادة الجمعية هى التى مهدت لظهور بعض القوانين التجارية مثل مهلة الثلاثة أيام لسداد الحساب المطلوب ،

أو إدخال التسعيرة فى القانون . كما أن العادة الجمعية فى الولايات المتحدة الامريكية الخاصه بالتفرقه بين البيض والسود فى الحقوق السياسية أدت إلى إلغاء بعض أحكام الدستور . وقد يخلق القانون عادات جمعية مثـــل القوانين التي تنظم ساعات العمل أو تفرض إستكمال الشروط الصحيه .

هذا والقانون يعلو على العادات ، إذ يمكن أن تلغيها المحاكم ، بل وتعاقب من يقوم بعضها ، فارتفاع نسبة الجرائم فى صعيد مصر نتيجة عادة الأخذ بالثأر أدت إلى قيام قانون بمعاقبة من يزاول هذه العادة .

الرقابة الاجتماعية أو الضبط الاجتماعى Sccial Ccntrol :

يقصد بالرقابة الاجتماعية كافة العمليات والاجراءات المقصودة وغير المقصودة والوسائل والأساليب التى يتبعها المجتمع لحفظ النظام والاشراف على سلوك الافراد وحملهم على أن يسلكوا طبقا للمعايير والقـــيم والنظم الاجتماعية السائدة فى المجتمع .

وقد عرف جلن [١] الرقابة الاجتماعية بأنها مجموعة من الاجراءات أو الوسائل كالإيحاء والإغراء والضغط والالزام أو كأية وسيلة أخرى بما فى ذلك القوة المادية التى بواسطتها يجعل المجتمع جماعة فرعية منه Subgrcup تسير فوق الانماط السلوكية المتعارف عليها .

والرقابة الاجتماعية هامة لأن الفرد لو ترك دون رقابة فانه سوف يضرب بالمعايير الاجتماعية عرض الحائط . وهنا يصبح الضبط أو الرقابة

---

(١) د. حسن شحاته سعفان . أسس علم الاجتماع ص ٢٤٨ .

الاجتماعية ضرورة ملحة . فالطفل يولد فى جماعة لها قواعد ونظم معينة ، إلا أنه يتمتع بعـــدد لا حصر له من الدوافع ، وتتصارع هذه الدوافع الفوضوية مع نظم المجتمع ، ولهذا فهو يحتاج إلى الإلمام بقواعد النظم والقوي الأخلاقيه . ويتأتى ذلك عن طريق تلقى الطفل الرقابة فى محيط أسرته ، فرقابة الوالدين على الطفل ذات أهمية كبيرة .

وجماعة اللعب ذات أهمية فى مجال الرقابة الاجتماعية ، ففيها يتعلم الطفل مع أصدقائه كيف يوفق بين رغباته ورغبات الجماعة ، وكيف يضحى بمصالحه فى سبيل مصلحة الجماعة .

والمدرسة من العوامل الهامه فى مجال الرقابة الاجتماعية ، ففيها يتعلم الفرد الدقة والنظام فى مواعيد الدخول والخروج من وإلى المدرسة ، وبدء الحصص ونهايتها ، كما تتمثل كذلك فى الدروس التى تلقى عليهم ، وأيضا فى إجتماع التلاميذ معا فى فصل واحد ممايتتج عنه تحسين سلوك المنحرفين، فسخرية التلاميذ من المستهترين قد يكون له أثر فى تحسين حال التلميذ العنيـــد .

ثم يأتى دور المجتمع الكبير فى مجال الرقابه الاجتماعية ، فقد كان لازدياد الجرائم وغيرها من ظواهر الانحراف والبعد عن المستوى العادى وما صاحب ذلك من فوضى فى السنوات التى أعقبت الحربين العالميتـــين الأخيرتين أكبر الأثر فى زيادة الاهتمام بدراسة موضوعات الضبط على سلوك الأفراد وتصرفاتهم .

وتتخذ الرقابة الاجتماعية أشكالا متعدده ، فقد تتخذ شكل القوة المادية

أو المعنوية ، والقوانين الجنائية والمدنية والتجارية تعتبر من أهم مظاهر الرقابة . كما قد تتخذ شكل الإيحاء والإغراء كالفن الذى يغرس فى نفوس الافراد السير على الأنماط الاجتماعية ، وكذلك الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية . كما تعتبر الترقيات والعلاوات والدبلومات والجوائز والاحتقار والفصل (الرفت) أشكالا من الرقابة الاجتماعية .

هذه الجماعات التى ينتمى إليها الفرد : الأسرة ، جماعة اللعب ، المدرسة ، جماعات الرياضة ، المجتمع الاكبر ، هي من الوسائل الفعالة للضبط الاجتماعى ، وتغيير سلوك الفرد .

الرأى العـام :

يعتبر الرأى العام القوة الحقيقية فى المجتمع ، وهو يشير إلى الآراء التى يعتنقها جمهور ما ، أو حكم إجتماعى حول مسألة أو قضية معينه بعد مناقشات متبادلة وواعية ، أو فى كلمات أخرى الرأى العـــام هو إرادة الشعب . ولما كان من الصعب أن يتفق كل الناس على رأى معين ، فقد يوجد رأى آخر ، هو رأى الأقلية البسيطه ، فان الرأى العام هو رأى الأغلبيه والفكرة السائدة بين جمهور من الناس يرتبطون بمصالح مشتركة إزاء موضوع يحدث حوله جدل ونقاش ونوع من الاحتكاك والتفاعل فى المجتمع .

وعلى ذلك فان الرأى العام ليس إتجاها إنفعاليا يصدر عن جمهور الدهماء التى تجتمع إجتماعا عابرا ، وإنما هو حكم عقلى يصدر عن جمهـــور مترابط ، ويناقش نقاشا عقليا باستخدام الفكر والشعور . لا الانفعالات

والانزلاق فى تيارات الاثارة الغريزية .

ويتكون الرأى العام فى ضوء العوامل الكامنة فى الافراد ، وهى عوامل البيئه والوراثه والدين والمستوى الاقتصادى، والطبقه الاجتماعية. وتكون أراء المتعلمين واعيه مستنيرة ، أما الجهلاء فيصدرون أحكاما فجه ومتحيزة . ومن تفاعل هذه الآراء جميعا يظهر الرأى العام ، وهو رأى الجماعة . وقد يكون رأيا مستنيرا يعبر عن الذكاء ، وقد يكون رأيا متحيزا يعبر عن الغباء . وهكذا فالرأى العام هو رأى الجماعة بشقيها من مؤيدين ومعارضين . وإذا لم تقبل المعارضة الرأي العام النهائى ، تنقسم الجماعة على نفسها .

وهكذا يختلف الرأى العام عن الرأى الخاص ، حيث أن الأخير هو رأى شخصى ، وظاهرة نفسية تخص الشخص الذى يعتنق هذا الرأى . أما الرأى العام فهو ظاهرة إجتماعية ويتميز عن الرأى الخاص بالثبات النسبي وقلة تعرضه للتغير والتحول السريع ، وهو الرقيب الأول على الأفعال الاجتماعية .

وتتميز المجتمعات المتقدمه عن المجتمعات المتأخرة بقوة ونفوذ الرأى العام فيها . ففى المجتمعات المتقدمه يكون الرأى العام فيها كل شىء ، فى حين لا يكون للرأى العام أى أثر أو قوة فى المجتمعات المتأخرة بسبب عدم ثقافة أفراده وفقرهم أو تحيزهم وإنقسامهم (١) .

ويشترط فى تكوين رأى عام وجود الحكم الديموقراطى ، ذلك أن

(١) د. عادل حسن ، العلاقات العامه ص ١ .

الحكم الدكتاتورى يعمل على كبت الحريات ، ويضطر هيئات المجتمع إلى العمل فى الخفاء ، أما الحكم الديموقراطى فانه يوفر للفرد حرية الرأى والفكر والتعبير بالكتابه وفى الصحافه مما يعمل على تكوين رأى عام . كذلك تساعد سهولة المواصلات ونشر الثقافة وانخفاض نسبة الاميه على تكوين الرأى العام . ومن أهم مكونات الرأى العام الخطابة والمحاضرات والصحافة والإذاعة والمؤتمرات والسينما والمسرح . كما يساعد وجود روح التعاون والمحبة والتضامن الاجتماعى على قيام الرأى العام .

ويتم التأثير على الرأى باحدى الطريقتين :

١ — الضغط وإستعمال القوة .

٢ — الاقناع ، إذ لا تستطيع أى شركة مساهمة أن تزيد رأسمالها أو من عدد أسهمها إلا عن طريق إقناع الجمهور بفائدة إستثمار أموالهم . ويتم ذلك عن طريق الروايات السينمائية أو المسرحية أو الصور الكاريكاتورية والصحف والخطب والاحاديث والمقابلات والنشر القصصى والمكتبات والمناقشات العامه .

ويعكس الرأى العام التقاليد . فأفراد المجتمع يشعرون أنه صادر عن عن سلطة تعلو إرادة الأفراد ، وهى العادات والتقاليد . ومع ذلك فقد يخرج الرأى العام عن العادات والتقاليد ، فهو ليس مجرد رد فعل للعادات والتقاليد ، وإنما ينبثق حيث تزداد حدة النقاش ، وتمتزج الافكار وتتصارع المصالح . وتصدر الاحكام المختلفة ، ويكون الرأى العام النهائى للجماعة محصله الاحتكاك بين هذه القوى جميعها بما تنطوى عليه من أفكار

محافظه وأخرى تقدميه (١) .

والرأى العام مصدر من مصادر القانون ، بل إن القانون قد يسقط إذا سحب الرأى العام ثقته منه .

والرأى العام قوة توجه المجتمع نحو صالحه فى كل ميادينه المختلفه ، فهو قوة يخشاه الحكام والسياسيون ، وغالبا ما تقوم هذه القوة باقالة وزير وتعيين بدلا منه . ولا يقتصر أثر الرأى العام على الحكام والسياسيين ، وذلك لأن الجرائم البشعة ، وأعمال البطولة ، وصعوبة الامتحانات بالنسبه للطلبه ، والمعامله القاسية للخدم ، كل هذا يثير الرأى العام .

إلا أن للرأى العام مساوىء وأخطاء أبرزها الاندفاع والتهور ، وقد يستغل إستغلالا سيئا ، فمثلا قد تقوم الاحزاب السياسية بتعبئة الرأى العام ضد الاحزاب الاخرى . كما يستخدمه أصحاب المذاهب لرواج مذاهبهم ، وكذلك الدول ذات المصالح المتباينه . كما قد تقوم الهيئات والبيوتات التجارية والماليه والصناعية بصرف الملايين كى تؤثر على الرأي العام ، وتوهمه بمتانة مركزها ودقة صناعتها وتفوقها .

المركز والدور :

تخضع العلاقات التى تقوم بين الاشخاص لتنظيم معين ، ومعنى هذا أن كل شخص يرتبط بالآخر بطرق لها مستويات محددة تعتمد فى تحديدها على أوضاعهم أو مراتبهم النسبيه . ويمكن أن نعرف المركز بأنه الأوضاع أو

---

(١) د ابراهيم إمام . المرجع السابق ص ١٤٨ .

المراتب التى يتخذها الأشخاص فى المجتمع كل إزاء الآخر مثل وضع الابن إزاء الأب ، ومرتبة الرئيس أمام مرءوسيه ، ومركز العمال إزاء الموظفين ، وعلاقة الطبيب بالمريض ، ووضع المدرس بالنسبه لتلميذه .

ويرتبط بالمركز ما نسميه بالدور — أى الحقوق والواجبات والالتزامات التى تعتبر فى نفس الوقت المكونات الأساسية لهذه المراكز التى تطبع الأشخاص الحاصلين عليها بطابع خاص . هـذه الحقوق والواجبات تسمى « أدواراً » ، وذلك كأن نقول دور الأب ، حيث ينتظر منه أن ينصح إبنه ويعنفه ، ويعطيه الحماية ، ويهيء له الراحه ، وأن يرتب له مستقبلا معينا . كذلك هناك دور تقوم به الأم ، ودور يقوم به الابن ، ودور يقوم به الطبيب يختلف عن دور الساحر أو الدجال . والدور هنا ليس مجرد فعل ، وإنما هو فى واقع الأمر توقعات الفعـل والسلوك الذى يصدر عن الآخرين ، حيث يتوقع من الكبار أن يسلكوا سلوكا يختلف عن سلوك الصغار ، ومن الرجال أن يسلكوا سلوكا يختلف عن سلوك النساء ، ومن الشباب أن يأتوا أفعالا تختلف عن أفعال كبار السن ، ومن الواضح كذلك أن أى شخص يلعب العـديد من الأدوار خلال حياته ، فالمرأة يمكن أن تلعب دور الا م ، والخاله ، والعمه ، والمدرسة ، وعضوا فى حزب من الأحزاب ، أو فى هيئة من الهيئات الطوعية .

وقد أدى تقسيم العمل فى المجتمع إلى تعدد الأدوار وتباينها نتيجة لتنظيم وتغيير العلاقات الاجتماعية بين الوحدات التنظيمية داخـل البناء الاجتماعى ، وتعدد المهن والوظائف ، وتكوين مجموعة من القوانين

والجزاءات التي تحدد السلوك في المواقف المختلفة، فظاهر الحياة الحضرية تزيد من تعدد الأدوار وتخصصها والتكوين المستمر لأدوار جديدة [1].

البيروقراطية :

تشتق كلمة « بيروقراطية » من شقين الأول Bureau بمعنى المكتب ، والثاني Cracy ، وهو مشتق من الأصل الإغريقي Kratis بمعنى to be strong ، أى القوة ، بحيث تدل كلمة « البيروقراطية » فى مجموعها على قوة المكتب .

والبيروقراطية هى ذلك التنظيم الذى يأخـــذ شكلا هرميا للتدرج الوظيفى ، ويعتمد على العلاقات غير الشخصية ، والعقلانية والتنظيم وعلى ذلك فهى ليست العمل ، ولكنها تنظيم العمل وتسجيل أعمال الآخرين . وتستند البيروقراطية كذلك على ظاهرة التخصص وتقسيم العمل مما يمكن من تحقيق الكفاءة الإنتاجية .

وقد أورد تومبسون Thompson [2] (١٩٦٢) الخصائص التالية للبيروقراطية إعتمادا على ماذكره ماكس فيبر Max Weber:

١ ـ التخصص الوظيفى وتقسيم العمل .

٢ ـ الكفاءة الوظيفية .

٣ ـ مجموعة من القواعد والاجراءات الرسمية دون التحيز لأحد .

---

(١) د. محمد سعيد فرح البناء الاجتماعى والشخصية ص ٣٥٨ .

(2) Paul B. Horton and Chester L. Hunt, op. cit. p. 223.

٤ ـ سلسلة من الأوامر تحدد سلطة ومسئولية كل فرد .

وقد ظهرت البيروقراطية حين تمكن ذكاء الانسان من تنظيم النشاط الانسانى تنظيما يعلو فوق التنظيمات التى تقوم بها العائلة والعشيرة . فمشاريع الرى فى العصور القديمة وضبط الفيضان أدت إلى ظهور الحاجة إلى تقسيم منظم للعمل . وتتمثل البيروقراطيات القديمة فى الأعمال الروتينية لحكومات مصر القديمة . وفى مصر ، والصين . إلا أنها فى شكلها القديم كانت تخرج عن نطاق إقتصاد المال .

وقد نمت البيروقراطية بنمو الحكومات وظهور الدولة الحديثة ، والمنظمات والهيئات ، وتطور الرأسمالية فى العصر الصناعى الحديث . فالفرد الذى يعمل فى مشروع بمفرده لا يمكن أن يتوصل إلى نفس درجة الكفاءة التى يصل إليها نفس هذا الفرد إذا عمل مع مجموعة من الافراد على نفس المشروع من خلال التخصص العملى . وفضلا عن الميل نحو الرسمية فى كل جانب من تنظيم مؤسسة العمل ، أصبحت مؤسسة العمل أكثر تعقيدا فى تنظيمها الداخلى . كما أنشئت نقابات العمال ، مما أدى إلى إنتشار الاتجاه نحو البيروقراطية والنظامية فى كل نماذج الصناعات . وفضلا عن ذلك فان الحساب العقلانى لمخاطر الاقتصاد لا يقتصر فقط على حسابات النسق النقدى ، وإنما يعتمد كذلك على الظروف الاقتصادية والسياسية .

الفصل السابع

العمليـــات الاجتماعيـــة

Social Processes

العمليات الاجتماعية

Sccial Processes

لايعيش الأفراد فى المجتمع منفصلين الواحـــد عن الآخر ، ولكنهم يرتبطون بعلاقات وروابط ، ويتصل الواحد بالآخر مما ينتج عنه مانسميه بالتفاعل الآخر . ويقصد بالتفاعل الاجتماعى التأثيرات المتبادلة التى تحدث بين الأفراد والجماعات بحيث يؤثر كل فرد ويتأثر بالآخر، إذ يبدأ كل شخص بفعل اجتماعى action ، يعقبه رد فعل reaction يصدر عن شخص آخر. ويحدث ذلك فى محاولة من الأفراد لحل مشاكلهم . وفى كفاحهم من أجل الوصول إلى الاهداف .

وينشأ عن التفاعل الاجتماعى ما نطلق عليه « العمليات الاجتماعية » ، وهى أنماط التفاعل المتكرر للسلوك ، وأساليب مميزة للتفاعل الاجتماعى توجد فى الحياة الاجتماعية . انهـا سلسلة من الحوادث المترابطة التى تؤدى إلى نتـائج محددة يمكن التنبؤ بهـا ، وقد تكون استمرارا فى مجرى الحوادث دون تغيير ، وقد تتضمن تغييرا فى النظم الاجتماعية وفى مجرى الحوادث الاجـتماعية .

والعمليات الاجتماعية ليست غاية فى ذاتها وإنما مؤقته . فالتنافس بين فردين قد يؤدى إلى انتصار أحدهما وقد يكون هذا الانتصار مؤقتا ، وقد يؤدى التنافس إلى عدم انتصار أى من المتنافسين والوصول إلى حـــل يرتضيه الجميع .

وهنـاك تصنيفات متعددة للعمليات الاجتماعية . وهى فى عمومها

تنقسم العمليات الاجتماعية إلى التعاون والتنافس والصراع والتوافق والتكيف والتنشئة الاجتماعية .

التعـــاون : Co - Operation

تشتق كلمة « تعاون » من كلمتين لاتينيتين ، فكلمة Co تعني معاً together وكلمة operari تعني عمل Work . والتعـــاون هو عملية اجتماعية ، وهو الشكل الرئيسي للعلاقات والتفاعل داخل الجماعات ، فالناس لا يستطيعون ان يجتمعوا على غير تعاون، أو دون أن يشتركوا معا في العمل من أجل السعي وراء المصالح المشتركة . ويقصد بالتعاون اشتراك فردين أو أكثر ، أو جماعتين أو أكثر لانجاز عمل معين أو تحقيق غاية أو هدف مشترك أو السعي وراء المصالح المشتركة .

ويعمل التعاون على تقوية الروح المعنوية ، ويولد حماسا في النفوس ، ويربط بين أفراد المجتمع في ارتباط وثيق . وللتعاون أهمية كبيرة بالنسبة للفرد والجماعات . فالفرد بطبيعته يرغب في الانضمام إلى جماعة تحقق حاجاته الاجتماعية ، وتكسبه رضا اجتماعيا معترفا به ، وتزيد من شعوره بالأمن والثقة بالنفس ، ولذلك فانه يستطيع عن طريق تعاونه مع الغير أن يحقق هذه الحاجات . ويكتسب محبة الناس وتقديرهم .

وبالتعاون تحافظ الجماعة على وجودها وتحقيق أهدافها . فضلا عن أن التعاون يقوم بدور هام في عملية البناء وحماية النوع لنفسه . وتقاس قوة الجماعة وسلامة بنيانها ودقة نظامها ووضعها بمدى تعاون أفرادها وتضامنهم لتحقيق الصالح العام . فعدم التعاون أبلغ دليـــل على تشتيت قوة الجماعة وتفتيت جهودهم .

ويبتدى التعاون فى كل مجال من مجالات الحياة ، فالفرد يتعاون مع أفراد أسرته ، ومع زملائه فى المدرسة ، والنادى ، والشارع ، ومع أقرانه فى العمل . ويبدو التعاون فى المجـــال الاقتصادى حيث لايستطيع الفرد الواحد أن ينتج كل ما يحتاج إليه . فيشتغل البعض بالزراعة ، والبعض الآخر يعمل بالصناعة والتجارة والخدمات . ويبدو التعاون فى المجالات المختلفة ، حيث يتعاون عامل البناء والنجار والحداد فى بناء منزل ، بالرغم من أن كلا منهم يعمل فى مهنة تختلف عن مهنة الآخر . كما يتعاون الناس من أجل تحقيق الإمداد والحماية من تهديدات البيئة .

كما يوجد تعاون على المستوى الدولى ، فالدول العربية تتعاون فى سبيل إسعاد الشعوب العربيـة عامة ، ورفـع مستواها الاقتصادى والاجتماعى والثقافى . كما تتعاون دول العـالم متمثلا ذلك فى المنظمات الدولية كعصبة الأمم والأمم المتحدة من أجل إقرار السلام ، والمحافظة على حقوق الشعوب والأخذ بيد المجتمعات النامية فى مسيرتها نحو التقدم .

وللتعاون حــــدود يجب أن لايتعداها ، فهو يجب أن لا يقضى على شخصية المتعاونين ، بحيث يصبحون كالآلات تدور بحكم العـادة وبحكم الروتين . بل يجب أن يكون التعاون سبيلا إلى تنمية الشخصيه وتقويتها بحيث يكون لكل فرد دائرة فى النشاط ، يتصرف فيها بحرية وفى تناسق مع الأفراد الآخرين . فكما أن عالم الطبيعة مملوء بقوى الجذب والدفع تعمل فى وقت واحد محددة الأجسام فى أماكنها ، فاننا نجد فى عالم الاجتماع اتحادا بين التعاون والتنازع .

كتب كولى [1] فى هذا الخصوص يقول : كلما دققنا النظر فى هـذا الموضوع أدركنا أن التنازع والتعاون ليسا شيئين منفصلين ، وإنما هما وجهان لعملية إرادية واحدة تشمل شيئا من الاثنين دائما ، وتفصيل ذلك أن الناس حينما يتعاونون فيما بينهم ، تكون مصالحهم متوافقة إلى حد محدود فقط ، وحتى فى العلاقات الودية جدا والروابط الوثيقة التى تجمع بين الناس هناك أوقات تتعارض فيها المصالح ، أو مواقف لا تكون واحدة بالنسبة للافراد المتعاونين . وان أوثق أنواع التعاون وهو مايقوم داخل نطـاق الاسرة لايمنع من حدوث المشاجرات .

وقد تعددت تصنيفات علماء الاجتماع لانماط التعاون . فـا هو إتيـون Eaton يصنف التعاون فى أنماط ثلاثة هى .

١ — التعاون الأولى Primary Co-operation :—

ويتمثل فى المجتمعات البسيطة حيث تنصهر الجماعة والفرد فى بوتقـة واحدة ، وتذوب شخصية الفرد فى الجماعة التى ينتمى إليها ، وتصبح الجماعة كل حياته . فيخضع للسلطة بمحض إرادته ، ويتعاون مع غيره فى عمليات الانتاج الجماعى ، ويصبح الوسيلة والهدف شيئا واحد ، لان للتعاون فى ذاته قيمة كبرى من قيم المجتمع التى يحرص عليها الافراد ويعتزون بها .

٢ — التعاون الثانوى Secondary Co - operation :—

وهو سمة من سمات المجتمع الغربى الحديث ، ويمتاز بأن له طابعا رسميا

---

١) د٠م ماكيفر وشارلز بيج . المرجع السابق ص ١٣١

متخصصا ، ويرتكز على التخصص وتقسيم العمل . ويتمثل هذا النوع من التعاون فى تعاون النجار والحداد فى صنع الباب .

٣ — التعاون الثلاثى Tertiady Co-cperation :—

يحدث في بعض الأحيان أن يكون هناك صراع بين جماعتين، ثم تظهر جماعة ثالثة تناصبها العداء ، فتتفق الجماعتان معا ، وتتعاونان بصفة مؤقتة للقضاء على الخطر الذي يتهددهما سويا ، ويطلق على هذا النوع من التعاون اسم « التعاون الثلاثى » . ويتسم بالانتهازية وعدم الاستمرار ومن أمثلته التعاون بين حزبين متنافسين للقضاء على حزب ثالث ، أو التعاون بين العمال والإدارة لتحقيق مصلحة مشتركة ، أو التحالف بين دولتين للقضاء على دولة ثالثة على الرغم مما بين الدولتين من عداء مستمر وخلاف دائم .

ويحدد نيسبت Nisbet أربعه أنماط للتعاون هي :

١ — التعاون التلقائى Spontanecus Co-operaticn :—

وهو ما يطلق عليه اصطلاح « المساندة المتبادلة Matual Aid » وينشأ تلقائيا في مواقف معينة لتلبية احتياجات طارئة ، كأن يساعد أحد المارة شخصا مصابا فى الطريق ، أو يتعاون المارة على رفع سيارة غرست فى الرمال . ويرى نيسبت أن مبدأ المساندة المتبادلة هو الأساس الأول للعمل التعاونى الذي عرفته المجتمعات فى المراحل التاريخية المبكرة .

٢ — التعاون التقليدى Traditional Co-operation :—

أصبح مبدأ المساعدة المتبادلة تقليدا تناقلته الأجيال بحيث أصبح من

الممكن تسميته « بالتعاون التقليدى » . وقد حرصت كثير من المجتمعات على تدعيم مبدأ « الإيثار » « الغيرية Altruism » . وجعل التعاون غاية فى ذاته بحيث يتعاون الأفراد على تحقيق مصلحة الجماعة حتى ولو كان ذلك عن طريق التضحية بالمصالح الفردية والمنافع الخاصة .

٣ — التعاون الموجه Directed Co - Operation : —

ويتمثل بشكل واضح فى المجتمعات الحديثة ، حيث يتم التمييز بين الأفراد على أساس المكانات التى يشغلونها ، والأدوار التى يقومون بها ، وقدرتهم على التأثير فى الاشخاص الآخرين . ولذلك فان الشخص الذي يشغل مكانة أعلى فى بناء السلطة قد يصدر تعلياته إلى جماعة الموظفين للتعاون فى أداء عمل معين تحقيقا لأهداف المؤسسة التى ينتمون إليها .

٤ — التعاون التعاقدى Contractual Co - Operation :

كلما تعقدت المجتمعات ، وخضعت لمبدأ التخصص وتقسيم العمل زادت الحاجة الى تنظيم التعاون بين مختلف الجماعات والهيئات داخل المجتمع الواحد وبين الجماعات بعضها وبعض . ويتم ذلك فى غالبية الأحيان بطريقة تعاقدية رسمية بحيث تحدد الأدوار وتوزيع المسئوليات على كافة الأطراف المتعاقدة .

والتعاون التعاقدى ليست قاصرا على الجماعات ، وإنما يوجد بين الأفراد بعضهم وبعض . مثال ذلك اتفاق مجموعة من الأمهات العاملات على رعاية أطفالهن بطريقة تعاونية بحيث تقوم كل واحدة منهن بالإشراف على الأطفال فى يوم محدد من أيام الأسبوع . (١)

(١) د. عبد الباسط محمد حسن . المرجع السابق ص ص ١٩٦ — ١٩٧

ويقسم بعض العلماء التعاون إلى تعـاون مباشر وتعاون غير مباشر . ويشير التعاون المباشر إلى جميع مظاهر النشاط التى يقوم فيها الناس بأعمال متشابهة ، كاللعب معا والصلاة المشتركة وحرث الأرض معا ، والتعاون فى إنجاز الأعمال . وفى مثل هذا النوع من النشاط قد يوجد تنوع بسيط فى تنفيذ العمل المشترك - كما يقول أحد الزوجين للاخر : عليك غسل الأطباق وعلى تجفيفها . ويشترك الناس فى العمل هنا إما لأن عمل أحد الزوجين وجها لوجه أمام الآخر يشجع على حسن أداء العمل ، وإما لأن فى ذلك مزايا اجتماعية أخرى .

أما التعاون غير المباشر فهو يشير إلى جميع مظاهر النشاط التى يقوم بها الناس بأعمال غير متشابهة بغية تحقيق هدف مشترك . فقد صاحب التقدم التكنولوجى المعاصر تخصصا فى المهارات والوظائف وتقسيما للعمل. ويتبدى تقسيم العمل فى الصناعة وفى الحـكومة والبحث العـلمى . وهذه العملية أكثر وضوحا فى الحياة الحضرية منها فى الحياة الريفية .

ونستطيع كذلك أن نميز بين نوعين من التعاون أحدهما تعاون جزئى ، والثانى تعاون كلى . فالناس عندما يقايضون أو يتبادلون السلع ، وعندما يبيع الواحد منهم والآخر يشترى ، وعندما يؤدى أحد الناس خدمة مقابل خدمة أخرى ، فان فى عملهم هذا قدرا من التعاون لأن نشاط الواحد من هؤلاء ونجاحه إنما يسهم فى نشاط الآخر ونجاحه . غير أن ذلك لايكون إلا بصورة جزئية، لأنه لايزال فى ذلك تعارضا بين الغايات . ومايزال صراع المصالح موجودا هنا أيضا . فمصالح البيع والشراء ،ومصالح العرض والطلب والمصالح التى يتضمنها كل تبادل للخدمات ، كل هذه المصالح يكملها بعضها

بعضا، ولكن إلى حد معين؛ ولهذا السبب فان هذا النوع من التعاون يجب أن يفرق بينه وبين التعاون الكامل .[1]

التنافس Competition :-

التنافس مظهر طبيعي في المجتمع ، وهو شكل من أشكال التفاعل الاجتماعي ، وعملية اجتماعية تعبر عن التنازع والتعارض الاجتماعي . ويحدث التنافس بين شخصين أو أكثر ، أو جماعتين أو أكثر تحاول كل منها تحقيق نفس الغرض ونفس الهدف ، وذلك في جميع مجالات النشاط والحيـــاة الاجتماعيه ، بحيث تصل إليها قبلها أو تحصل على أكبر نصيب من هـذا الهدف أو تلك الأهداف .

ويرجع التنافس إلى أن حاجات الانسان متعددة وموارد المجتمع وفرصه قليلة ومحدودة . ومن هنا تقوم المنافسة في سبيل الحصول على تلك الحاجات. ويقوم التنافس على جانب نفسي أساسه الطبيعة النفسية . فهو يشبع حاجات الإنسان إلى الأمن ، وحاجته إلى أن يلقى تقدير الآخرين. فالفرد لا يستطيع أن يغفل رأي الآخرين فيه ، مما يحثه دائما إلى أن يتفوق عليهم ، ويكون في طليعة أقرانه .

والتنافس قد يتخذ شكلا فرديا كما يحدث بين أفراد المجتمع الواحـد ، وقد يتخذ شكلا جماعيا ، كما يحدث بين جماعة وأخرى . وقد يكون تنافسا شخصيا كما يحدث بين شخصين يريد كل منهم كسب معركة انتخابية وقد

---

١) ر.م ماكيفر الجماعة ـ دراسة في علم الاجتماع ص ص ٤٠٢-٤٠٣

يكون غير شخصي كما يحدث حين يتقدم عدد من الأفراد لا يعرف الواحد منهم الآخر للحصول على وظيفة .

وتشمل المنافسة ميادين مختلفة نذكر منها : ـ

ا ـ ميدان السياسة : تظهر المنافسة في المجال السياسي ، ومن مظاهرها المناقشات التي تقوم بين الأحزاب السياسية ، وقد يتخذ شكلا شخصيا كأن يسعى فرد إلى الوصول إلى الحكم .

ب ـ ميدان الاقتصاد : إن حاجات الأفراد متعددة ، والموارد محدودة مما يؤدى إلى التنافس . هذا ويبلغ التنافس في النظام الاقتصادى الرأسمالي أقصى مداه ، حيث يتنافس الناس من أجل الحصول على المال والربح .

حـ ـ ميدان الثقافة : حيث يتنافس الطلبة في قاعات الدرس ، كما يحدث بين المشتغلين في مجالات العلم والتكنولوجيا حيث تدور المناقشات العلمية ، وحيث الامتيازات الأكاديمية ، وهي تؤدي إلى تقدم المجتمع .

د ـ الميدان الاجتماعي : ينافس الفرد الآخر مستهدفا بذلك الحصول على المركز الاجتماعي المرموق ، أو القوة أو النفوذ أو الحب ، أو الصداقة أو الشهرة .

والتنافس قد يكون إتلافيا Destructive ، أو إنشائي Constructive فاذا كان هدف المنافسين أن ينجح واحد أو أكثر على حساب خسارة الآخرين وهلاكهم فالتنافس يكون إتلافيا . ففي المنافسة الإتلافية يحاول المتنافسون القضاء على أعدائهم بشتى الوسائل من خداع وغش إلى عنف وقوة ويتمثل ذلك في التنافس الذى يحدث بين التجار والشركات عندما تلجأ شركة إلى

منافسة شركة أخرى بوسائل غير مشروعة كأن تستخدم طريقة الإغراء ، أو البيع بخسارة حتى تقضى الأخرى ، وتخرجها من الموقف ، وعندئذ تظل هى وحيدة فى الميدان فتفرض أسعارها على الجمهور .

أما التنافس الإنشائى ، فهو يهدف إلى الخير العام والصالح المشترك ، وذلك مثلا عندما يتنافس الفلاحون فى كشف وسائل جديدة لتربية مواشيهم ، أو لإنتاج محصولاتهم ، أو لاعبي الكرة لتسجيل اكبر عدد من الإصابات . أوعندما يتنافس الطيارون فى الوصول إلى أرقام قياسية جديدة أو عندما يتنافس العلماء فى الوصول إلى الحقيقة أو محاولة اكتشاف مخترعات جديدة .[1]

والتعاون والتنافس عمليتان متلازمتان فى المجتمع الواحد . وكل منهما ظاهرة طبيعية فى حياة الجماعة ، بل وفى بعض المواقف تتطلب المنافسة من أجل تقوية التعاون . ويختلف التنافس عن التعاون من حيث أن الأطراف المتنافسة تعمل مستقلة بعضها عن بعض . أما العمل التعاونى فانه يحتاج إلى جهد جماعي لتحقيق العمل المشترك .

وعلى الرغم من وجود التعاون والتنافس معا فى كل المجتمعات ، إلا أن بعض المجتمعات يسودها التعاون كمجتمع هنود الزونى فى جنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث يسعى كل فرد فى هذا المجتمع إلى أن ينال تقدير الآخرين ، ويسعى إلى تحقيق صالح الجماعة . وعلى العكس من ذلك يسود التنافس مجتمع الكواكيوتل ، حيث يسعى كل فرد فى هذا المجتمع الى النفوذ .

---

١) انظر د. حسن شحاته سعفان . المرجع السابق ص ١١٧

الصراع : Sccial conflict

تأخذ المنافسة فى العادة مظهرا سلميا . أما إذا اشتدت وطأة التنافس واتخذت موقفا عدائيا سميت صراعا . الصراع إذن هو أقوى درجات التنافس وأشدها عنفا ، وهو رفض لعملية التعاون . والصراع عملية اجتماعية تحدث عن قصد وتعمد بين فردين أو أكثر أو بين الجماعات ، أو بين الطبقات فى المجتمع الواحد متمثلا فى الصراع بين العمال وأصحاب رءوس الأموال ، أو بين الفلاحين والاقطاعيين ، أو بين الأحزاب السياسية ، أو بين المجتمعات بعضها وبعض . ويعزى هذا إلى الكراهية والعداء ، وتعارض المصالح والاهداف فحين تتجانس المصـــالح تقل حدة الصراع ، وحين تتعارض المصالح تزداد حدة الصراع . ويسعى كل من هذه الجماعات لتحقيق مصالحها وأهـدافها ، مع إبادة وتدمير الجماعات الأخرى ، مستخدمة فى ذلك كافة الأساليب سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة ، وباسـتخدام العنف الفيزيقى ، أو بدونه .

والصراع قد يكون كامنا أو ظاهرا . وقد يتحول الصـراع الـكامن المتمثل فى التوتر الاجتماعى وعدم الرضا إلى صراع ظاهر . وهو يقوم فى مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية ، فى الاقتصاد والسياسة والاسرة واللغـة والدين والمثل الأخلاقيـة والفنية . وقد يكون صراعا فى الرأى ، وقد يكون فى شكل ألفاظ نابية ينعت بها فرد فردا آخر ، أو تلويث فرد لسمعة فرد آخر ، أو قد يكون محاولة يقوم بها فرد لاخراج منافسيه من حلبـة التنافس . وقد ينمو الصراع فى الخفاء ويتخذ مظاهر غير مشروعة كالقتل وحبك الدسائس والمؤامرات . وقد يحدث الصراع بين الجماعات والوحدات الاثنولوجية (السلالية) التى توجد داخل المجتمع الواحد .

وقد يكون الصراع خارجيا ـ أى صراع بين الدول ، كما فى حالة الحروب مثل تحطيم الرومان لقرطاجنة Cartage وإبادة سكانها ، وقيام المستقرين الأوائل فى أمريكا بإبادة الهنود الحمر . ويؤدى الصراع الخارجي إلى تقوية النظم الداخلية فى الدولة ، وإستقرار الامور ، وإستتباب الامن ، وتضامن ووحدة الافراد من أجل دره الخطر الذى يواجهونه .

وقد يكون الصراع بين قوتين متكافئتين أو بين قوتين غير متكافئتين . والصراع المتكافىء يتضمن عملية أخذ ورد ، وقد ينتهى إلى التعاون بين الجماعتين ، لأن كلا منهما يسأم من استمرار الصراع ، ولا يستسيغ الخسائر التى يستهدف لها من جرائها ، فتكون النتيجة تقارب وجهات النظر وإمكان الوصول إلى حلول وسطى . أما الصراع غير المتكافىء ، ففيه تبتلع القـوة الكبرى القوة الصغرى ، وان يستطيع الأضعف والأقل شأنا الاستمرار فى حلبة الصراع فلابد أن تلحقه الهزيمه وينتهى الصراع بسيادة الأقوى وخضوع الأضعف .

وقد إعتبر بعض المفكرين المحدثين الصراع أساس الحياة الاجتماعية ، فها هو توماس هوبز Hobbes يقول : أن الصراع هو القانون الاساسى للحياة وأن الانسان فى مهد حياته كان يعيش فى حالة صراع دائم ، وهو عدو لكل إنسان آخر . وقد أخذ بهذا الرأى إيمانويل كانط Kant فى القرن الثامن عشر حيث وجدناه يرفع القوة التى تدفع التاريخ للتطور إلى الصراع بين الأفراد والجماعات ، وأن هذا الصراع يحدث لعدم إجتماعية الإنسان بطبعه . كما نجد نفس الفكرة ممثلة فى آراء كارل ماركس Marx فى الصراع الذى يقوم بين طبقتى العمال وأصحاب رءوس الأموال . كما

أسس كل من داروين ووالاس فى القرن التاسع عشر على هذه الفــكرة نظريتها المشهورة فى الانتخاب الطبيعى على أساس أن البقاء للاصلح (١) .

وللتفريق بين التعاون والصراع نذكر أن التعاون يرتبط بقوى التكامل الاجتماعى . أما الصراع فيرجع إلى الانحلال واللاتكامل الاجتماعى .

ويمكن أن نفرق بين الاصطلاحين التنافس والصراع فى أن المنافسة فى الغالب الأعم تحدث بين أطراف متماثلة . أما الصراع فيحدث بين أطراف غير متكافئة من حيث المستويات والقدرات والإمكانيات . وفى مواقف المنافسة يستخدم كل طرف الرموز الأخلاقية والقواعد والمعـايير التى تصطلح عليها الجماعة ، والشائع فى المنافسة هو عدم إستخدام العنف لتحقيق الغرض المطلوب . أما فى موقف الصراع فغالبا ما تستخدم الأطراف طرقا غير مشروعة ، والعنف فى القضاء على الطرف الآخر وإخراجه من الميدان . وفى المنافسة يتجه المتنافسون إلى الأهداف لا إلى الاشخاص بخلاف الحال فى الصراع . فاذا تنافس فريقان رياضيان فى إحدى المباريات ، فان الفوز فى المباراة لا يعتبر هدفا فى ذاته ، وإنما هو مجرد وسيلة لتنمية الروح الرياضية ، وإذكاء الحماس بين الفرق المتنافسة .

وتحدث المنافسة فى الغالب بين أفراد لا يعرفون بعضهم البعض ، كما هو الحال بين المتقدمين لشغل إحدى الوظائف العامه ، بخلاف الحال فى الصراع حيث تعرف الاطراف المتصارعة بعضهم بعضا ، وحيث يعرف كل

---

(١) د عبد الحميد لطفى . المرجع السابق ص ١٣٤ .

منهم مواطن القوة والضعف فى خصمه ، فيحاول التغلب عليها مستعينا فى ذلك بكافة الاساليب سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة .

ونقول على هذا الاساس أنه إذا تقدم رجلان لخطبة فتاة معينه ، دون أن يتشاجرا أو يفترى أحدهما على الآخر ، فهما متنافسان ، أما إذا حاول رجل أن يحصل على زوجة رجل آخر ، فانه وقع فى صراع مع زوجها . هذا وما يدور بين الزنوج والبيض فى جنوب أفريقيا صراع ، وأن ما يدور بين المرشحين لعضوية مجلس الشعب منافسة . وإذا ما تنافست شركتان حول الحصول على إمتياز معين أو حول بيع منتجاتها ، بحيث يحقق هذا البيع ربحا أكبر للبائع أو سعر أقل للمشترى أو خدمة أفضل أو سلعة أجود ، كانت هذه العملية مثلا واضحا للمنافسة ، أما إذا قامت إحدى الشركتين بحرق مخازن الشركة الأخرى أوتدميرها لكى تبعدها عن طريقها كان هذا صراعا .[1]

التوافق Accommodation :

يعتبر التنافس والصراع من الأمور الطبيعية فى كافة المجتمعات . ولما كان التنافس والصراع لا يمكن أن يستمرا إلى ما لانهاية دون أن تصاب الجماعة بالشلل والجمود كان لابد أن تلجأ الجماعه إلى طرق أخرى تحقق إستمرارها وبقاءها ، ويتأتى ذلك عن طريق التوافق . والتوافق هو عملية إجتماعية تشير إلى الحلول السلمية والتراضى والصلح بين الأطراف المتنافسة

(١) انظر د. محمد سعيد فرح . مقدمة فى علم الاجتماع ص ١٥٩ .

أو المتصارعة ليتخلصوا من الارهاق والتـوتر الذى يترتب على التنافس والصـــراع .

ويتخذ التوافق أشكال متعددة تتوقف على نوع العلاقة بين الأطراف المتنازعه من ناحية تفوق إحداها على الآخر من حيث القوة أو النفوذ ، كما تتوقف على الحضارة السائدة ، والنظام السياسى . ومن هذه الأشكال :

١ — الاستسلام yielding

ويكون الاستسلام للقوة المادية أو للتهديد الذى يصدر من طرف يشعر بقوته عن الآخر، كما قد يكون إستسلاما للقوة العقلية إذا ما كان استسلاما للرأى وينتهى الصراع بالاستسلام إذا إنتصر أحد الطرفين المتنازعين على الآخر . ويخضع المغلوب للشروط التى يفرضها المنتصر .

ومن الملاحظ أن هذا الشكل من التوافق رغم ما يصحبه من إستقرار الســـلام والأمن ، إلا أنه يترك آثارا عميقة من الحقد والكراهية لدى الطرف المغلوب ، مما يؤدى إلى قيام الصراع من جديد إذا سنحت الفرصة المناسبـــة .

٢ — المهـادنة : —

عملية إجتماعية تشير إلى الاتفاق على الكف عن النزاع والصراع الدائم من خلال اتفاقهم على وضع يقبله كل منهم كحل وسط للمشكلة موضوع النزاع على الرغم من عدم حل المشكلات موضع الخلاف .

٣ — التوفيق Ccn prom ise : —

إذا كان المتنازعان متقاربين فى القوة أو النفوذ أو الثروة ، بحيث لا يستطيع أحدهما أن ينتصر على الاخر . فهم يلجأون إلى التوفيق والذى هو شكل من أشكال التوافق يتنازل بمقتضاه أحد الطرفين عن بعض مطالبه إزاء موافقة الطرف الاخر على التنازل عن بعض مطالبه كذلك . ويبرز هنا مظهـر التضحية المتبادلة بين الطـرفين ، ويختفى بينهما مبدأ (الكل أو لا شيء) .

وحيث أن التوفيق يترك الجماعات غير مقتنعة بتنازلها من بعض مطالبها ، فانه معرض للاهتزاز إذا استطاعت إحدى الجماعات أن تحصل على قوة أكبر ، فيظهر الصراع من جديد .

٤ — الوساطة Mediation : —

وتقوم عملية الوساطة على أساس الجمع بين الأطراف المتنازعة لتخلق بينهم الرغبة فى حل خلافاتهم . ويمكن للوسيط أن يقترح أسسا للتوفيق إذا لم يتمكن كل من الفريقين من الاتفاق على أسس متينة ، واقتراحات الوسيط فى هذه الحالة غير ملزمة لأى من الطرفين .

٥ — التحكيم Arbiration : —

عبارة عن قبول الطرفين المتنازعين حكم طرف ثالث فى موضـوع الصراع . وتختلف وسيلة التحكيم عن الوساطة فى أن قرار هيئة التحكيم يكون ملزما بالنسبة للأطراف المتنازعة . وتتكون هيئة التحكيم كما هو الحال فى الوساطه من أفراد غير متحيزين لأى من الأطراف المتنازعة .

٦ — التسامح Toleration : —

يؤخذ بمبدأ التسامح بعد أن يكون الطرفان قد قطعا شوطا كبيرا من الصراع دون أن يستطيع أحدهما التغلب على الاخر ، فيلجأون إلى التسامح والذى فيه تقرر الأطراف المتنازعة إيقاف الصراع حقنا لدمائهم ورغبة فى إعادة الأمن والسلام ، دون محاولة من طرف للتغلب على الأطراف الأخرى .

وفى هذا النوع من التوافق لا تصفو القلوب كلية بين الأطراف المتنازعة عادة ، كما لا تتوافر حسن النية دائما ، وإنما يكتفون بالصلح لصعوبة إقناع أحدهما للاخر بوجهة نظره . فالصراع بين الكاثوليك والبروتستانت لم تستطع أحدهما أن تحطم الأخرى . وقد أجرى التوافق بينهما على أساس التسامح ، فأوقفت كل من الكنيستين اضطهاد أعضاء الكنيسة الأخرى ، بينما تمسكت كل منهما بأن الأخرى كنيسة خاطئة (١) .

التنشئة الإجتماعية Sccialization : —

تعتبر التنشئة الإجتماعية من أهم العمليات الاجتماعية ، فهى تحول الطفل من كائن بيولوجى ، أو مادة إنسانيه خام إلى كائن إجتماعى ، وهى تشكل السلوك الإنسانى والإجتماعى للفرد ، وهى الدعامة الأولى التى

---

(1) See Paul B· Horton & Chesterl· Hunt, ck cit p. 304,
وانظر د. عبد الحميد لطفى . المرجع السابق ص ص ١٥٤ — ١٥٥ .

ترتكز عليها مقومات الشخصية ، وهى العمليه التى تتعلق بتعليم ما يجب وما لا يجب أن يفعله الفرد فى ظل الظروف المختلفة ، وهى تكسب أفراد المجتمع القيـم (ما يعتبر خيرا أو شرا) ، والرموز الرئيسيه للانساق الاجتماعيه التى يشارك فيها ، والتعبير عن هـذه القيم والرموز فى معايير تكون الأدوار التى يؤديها هو والاخرون ، وهى تعرف الافراد بتوقعات السلوك . وبمعنى آخر فهى عملية إكساب الفرد ثقافة المجتمع حتى يتمكن من أن يشارك أفراد الجماعة فى العمل لتكوين جماعة ذات أهداف ونماذج إجتماعية ، وقيم معينة ، يحترمها الافراد ويقدسونها ويرون أنه فى العمل على إبقائها خير ضمان لبقائهم وإستمرارهم .

وتعنى التنشئة الاجتماعية إلى جانب ذلك تقديم مصلحه الجماعـة على مصلحة الفرد ، فهى تؤدى إلى هوية تامه identification بين مصالح الافراد ومصالح الجماعة ، بل تؤدى إلى هوية تامة بين مصالح الجماعــــة ومصالح الجماعات الاخرى والشخص المنشأ نشأة إجتماعية كاملة ليس إلا ذلك المواطن الصالح الذى يراعى العرف والتقاليد والعادات السائدة بين أفراد مجتمعه .

وقد ينظر إلى التنشئة الاجتماعيـــة من زاوية المسافة الاجتماعية Social Distance ، والتى تعنى التعاطف الموجود بين أفراد الجماعة ، وهذا التعاطف قد يكون فى صورة تقارب أو تباعد بين الافراد ، وعلى قدر تقارب الافراد وتباعدهم تكون درجة تنشئتهم الاجتماعية .

وتحدث التنشئة الاجتماعية فى كل المجتمعات سواء كانت بدائية أو تقليدية أو متقدمة حيث لا يمكن لأى مجتمع أن يغفل الاهتمام والعناية

بالصغار . وتعتبر المؤسسات التي تتولى هذه العملية جزءا أساسيا في البناء الاجتماعي لكل المجتمعات .

وتعتبر الاسرة أولى مؤسسات التنشئة الاجتماعية وأهمها ، وبالرغم من إختلاف بناء الاسرة من مجتمع إلى آخر فهناك إتفاق على أنها تحمل مسئولية العناية والاهتمام بالصغار . ولا ينتهي دور الاسرة عند تلبية إحتياجات الطفل الجسمانية والغذائية فقط ، بل يمتد إلى مسئولية تعليمه لغة المجتمع وعاداته وعرفه وتقاليده وأنماط سلوكه ؛ كما تقوم بتدريبه على المهارات المختلفة ، كما تقوم بضبط سلوك الصغير ليصبح ممتثلا لسلطة المجتمع .

وإلى جانب الاسرة تقوم جماعة النظراء Peer Groups مثل جماعات اللعب والأقارب والجيران بتنمية تجارب الطفل الاجتماعية حيث يتعلم كيف يتفاعل مع الآخرين ، وكيف يحصل لنفسه على مكانة مناسبه في دائرة الأصدقاء .

وتتولى المدرسة الطفل ، وهي ذات تأثير كبير في نمو الشخصية ، فتقوم بتدعيم العادات والاتجاهات الاجتماعية السليمة التي تكونت في الاسرة ، وتقوم ما إتخذه من عادات وإتجاهات غير سويه ، وتعاونه في التغلب على أنواع الصراعات التي يعانيها . ويتوفر في المدرسة نماذج من النظم والقواعد يتعين على الطفل أن يراعيها ، ويعدل من سلوكه بما يتفق والوضع الجديد ، فعليه أن يلتفت إلى من يحدثه ، وأن لا يقاطع غيره أثناء حديثه أو لعبه ، وأن يلتزم الصمت في أوقات معينه .

وينتمي الفرد كذلك إلى بعض الجمعيات والهيئات ومؤسسات العمل ،

وهى ذات دور كبير فى عملية التنشئة الاجتماعية . وقد تؤدى إلى أن ينشأ إجتماعيا Sccial أو غير إجتماعى Anti — Sccial . وبالإضافة إلى ذلك فان دور العبادة ووسائل الإتصال لها دور كبير فى عملية التنشئة الاجتماعية .

التكيف الاجتماعى Adaptation :—

التكيف الاجتماعى عملية إجتماعية تتضمن نشاط الافراد والجماعات وسلوكهم الذى يرمى إلى تحقيق التوفيق والمواءمة والانسجام والتساهل بين الافراد ، أو بين الجماعات المختلفه ، أو بين الافراد وبيئتهم . ويقوم التكيف على التحمل والتضحية .... كل يضحى بجزء من حريته أو من مصالحه فى سبيل الصالح العام ، والهدف المشترك ، حتى لا يحدث تضارب بين الافراد فى الجماعة الواحدة ، أو بين الجماعات بعضها وبعض ، أو بين الاتجاهات القديمة والجديدة .

ومؤدي ذلك أن يصبح الفرد جزءا من المجتمع وعنصرا منسجما معه ، فلا يشعر بوطأة نظمها . ولا يضيق ذرعا بأوضاعها ، بل ترسب هذه النظم والأوضاع فى تكوينه ، وتصبح جزءا من أهم مقومات شخصيته ، إذ أن عدم التكيف يؤدى إلى صراع .

والتكيف عملية ديناميكية ، ذلك أن المجتمع دائم التغير ، وتعود إليه حالة عدم التوازن . ولهذا فان الانسان فى حاجة إلى أن يكيف سلوكه مع المجتمع باستمرار . والتكيف ضرورى لاستقرار الحياة وإستمرارها . ولهذا تقوم الاسرة بهذه العملية منذ نشأة الطفل فتأخذه بألوان التربية التى

تؤدى إلى تكيفه بالأنماط الثقافية التى تحيط به . وكثيرا ما يحـــدث عند الزواج ـ مثلا ـ أن يكون الزوجان غير متفقين فى كثير من الافكار والرغبات والميول ، فاذا تمسك كل برأيه ، أدى إلى زيادة الخلاف بينهما ، وتعرضت الحياة الزوجية للخطر ، ولذلك لابد أن يكون كل من الطرفين على إستعداد لتفهم وجهة نظر الطرف الآخر ، وبمرور الوقت تضيق هوة الاختلافات بين الزوجين ، ويحـــدث بينهما تقارب فى الآراء والمشاعر والاتجاهات يؤدي إلى إستقرار الحياة الزوجية وإستمرارها . وينطبق نفس الحال على علاقات الطلبة بعضهم وبعض ، وفى نطاق العمل بين الرؤساء والمرءوسين ، أو بين أصحاب العمل والعمال ، وكذلك الحال فى كل مجالات الحياة الاجتماعية .

وتبدو وظيفة التكيف بوضوح عندما ينتقل الانسان من بيئة إجتماعية إلى أخرى تختلف عنها فى أنماطها الثقافية أو تراثها الثقافى . فى هذه الحالة يشعر الفرد بوطأة النظم الجديدة ، ولا بد له من المران والترويض على الحياة الجديدة ، لأنه يشعر فى بادىء الأمر بمقاومة داخلية وصراع عنيف بين تراثه الراسب فى تكوينه وفي شعوره ، وبين أوضاع البيئـــة الجديدة ونظمها . فيأخذ الفرد نفسه بالصبر والجلد والاندماج فى هذه البيئة ، حتى تخف حدة الصراع ، ويتم التكيف الذى يحتاج إلى وقت طويل ومرونه غير يسيره وفعالية النفس فيا تعودت عليه من نظم سابقة (١) .

ويؤدى التكيف الاجتماعي إلى القضاء على الفتن والمشاحنات . ولذلك

---

(١) د. مصطفى الخشاب : المرجع السابق . ص ١٦٢ .

كان على الزعماء والسياسيين والاقتصاديين أن يكونوا دائما مرنين ، وأن يكيفوا أنفسهم وفق الظروف الجديدة والاوضاع السائدة . وبهذه المرونة وحدها ، وبهذا التكييف يضمنون البقاء فى الحكم أو الادارة . ولقد كان هذا على سبيل المثال لا الحصر هو سبب نجاح بسمارك عندما إستمع إلى نصيحة الاشتراكيين فى أواخر القرن التاسع عشر ، وأدخل نظم الضمان والتأمين القوميين فى ألمانيا عام ١٨٨٣ . وبهذا التكييف ضمن بقاءه فى الحكم .

ويجب أن نفرق فى حياة الفرد بين التكييف الفيزيقى والتكييف الثقافى ، acculturation ، فالأول وظيفته ترويض أعضاء الطفل وتكوينه الجسمانى على التكييف بظروف البيئه الجغرافية والمناخية ، ويدخل فى ذلك المساكن والمدن ووسائل النقل والمواصلات ، وأدوات الحضارة وآلاتها . أما الثانى فوظيفته تدريب الطفل على إئتلاف البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها .

وهناك نوعان من التكييف : تكيف سلبى Passive ، وهو عندما يلعب الوسط الدور الرئيسى فى عملية التكييف سواء أكان هذا الوسط طبيعيا أو مناخيا أو ثقافيا . فالوسط يصقل الأفراد ويلائم بمرور السنين بين أمزجتهم وأخلاقهم ، ويطبعهم بطباعه . وهناك تكيف إيجابى active وهو يكون عندما يلعب الفرد الدور الرئيسى فى تغيير وسطه .

هذا وتكيف الرجل المتحضر مع بيئته يكون غير كامل وغير شامل ، أى تكيفا جزئيا ، وقلما يشعر أنه متسق إتساقا كاملا مع ظروف الحياة التى يعيش فى ظلها ، ومع الجماعات التى يتصل بها ، ذلك أن مطالب الرجل المتحضر كثيرة ومعقدة وما أن ينجح فى الحصول على مطالب حتى تظهر له مطالب أخرى وهكذا . كذلك فان إنسجام الرجل المتحضر مع بيئته

إختيارى إلى درجة كبـــيرة ، ومتنوع إلى حد بعيد ، وهذا عكس الرجل البدائى .

ومن زاوية أخرى ، فان الرجل المتحضر يستطيع بما لديه من وسائل وأساليب ومهارات عقليه وسلوكيه ، أن يكيف نفسه مع الوسط الذى يعيش فيه ، وهذه الوسائل عديدة منها التلقائيه كانتشار فكرة بيطء ، ومنها وسائل الاقناع والتراضى ومنها التوفيق .

ويحقق التكيف عمليتى التمثيل والمزج العنصرى .

١ ــ التمثيل : Assimilation: ــ

إصطلاح التمثيل سواء فى شكله العربى أو الاجنبى هونفس الاصطلاح المستعمل فى علم وظائف الاعضاء ، وهو التمثيل الغذائى ، وذلك لأن الجسم يقوم بعملية التمثيل على المواد الغذائية التى تدخله ، وهى عناصرغريبه عنه فيحولها إلى مواد تختلف كلية فى تركيبها وتكوينها عن المواد الغذائية نفسها لأنها أصبحت جزءا من الجسم نفسه .

كذلك الحال فيما يتعلق بالتمثيل الاجتماعى ، فهو عملية إجتماعية تشير إلى التكيف المتبادل الذى من خلاله تتلاشى الاختلافات التى توجد بين الافراد والجماعات . فيشترك الناس فى ثقافه واحدة تتمثل فى وحدة القيم والمعتقدات والعادات ، وتتنازل كل جماعة عن أوجه الاختلافات فى هذه المظاهر ، وتتوحد مواقف أشخاص متعددين فى موقف واحد .

ويبدو ذلك واضحـا فى الولايات المتحدة الامريكية ، فقـد وصلت أعداد غفيرة من المهاجرين الإيطاليين والبولنديين وغيرهم ما بين أعوام

١٨٥٠ ، ١٩١٣ ، وكونوا مستعمرات سلالية . ومارس المهاجرون كل فى مستعمرته ثقافته الاوربية الوطنية . فقد كان اليونانى المهاجر إلى الولايات المتحدة الامريكيه يتردد على مقهاه ، والالمانى على حانته . كما كان الإيطالى من جنوب إيطاليا يحتفظ بسلطته الابوية فى نظامه المنزلى ، والاوكرانى والبولندى يمارسان رقص بلديهما ، وأما الايرلندى فيحتفل بتحمس شديد بالعيد الدينى الخاص بيوم سانت باتريك .

وواجه المهاجرون الاوربيون صعوبات باللغة مع البيئة الثقافية الجديدة ، وشعروا بالصراع بين تراثهم الثقافي ، والعادات الشعبية الامريكية ، وحاولوا نقل ثقافتهم الاوربية إلى أبنائهم ، وبمرور الوقت ، وتحت الظروف البيئية الجديدة مال الأبناء إلى رفض النمط الثقافى الاوربى القديم ، وحاولوا إكتساب النمط الثقافى الامريكي .

ومع ظهور الجيل الثالث إختفت المستعمرات السلالية ، وتبعثر الناس في المدن والضواحي ، فتأمرك هذا الجيل تدريجيا ، أى تمثل الثقافة الامريكية ومظاهرها الحضارية . ومن الادلة على ذلك تناقص الصحف اليوميه المحررة بلغات أجنبية ، ولم يعد المهاجرون يقبلون على لغة بلادهم الاصلية أو تراكيبها ، ولا عاداتهم وتقاليدهم القديمة ، أو الاجتماعات والحفلات التى تستهدف إحياءها .

والتمثيل يقلل من صراع الجماعات المختلفه ، ويصهر هذه الجماعات فى جماعة أكبر أكثر تجانسا . وهو مسألة درجة ، فقد تمتص ثقافة جماعة ثقافة أخرى ، وقد تتبادل جماعتان التأثر بثقافة كل منها الاخرى ، مما يترتب

عليه نمط ثالث من الثقافه يختلف تماماً عن نمط الثقافة فى كل الجماعتين المتفاعلتين .

ب ـ المزج العنصرى : Amalgamation :ـ

المزج العنصرى هو عملية يقصد بها نشأة جنس جديد نتيجة تزاوج أجناس مختلفة ، أي أنه خلط الأجناس . ويلعب المزج العنصرى دوراً هاماً فى إيقاف الصراع بين الجماعات ، فقد توقف الصراع بين الساكسون الإنجليزى والغزاة النورمانديين فى إنجلترا نتيجة المزج العنصرى . هذا والمزج العنصرى الغير كامل يخلق نوعاً من المكانة ، حيث تقاس المكانة بنقاء الدم ، كما هو موجود فى أمريكا الوسطى ، وبعض مناطق أمريكا الجنوبية.

التكامل :ـ

التكامل فى المجتمع هو الروابط التى تربط الناس بعضهم ببعض ؛ وهذه الروابط تختلف من جماعة إلى أخرى ، ولهذا نجد جماعات تامة التكامل وأخرى غير تامة . وليس معنى هذا أن هناك طرفين للتكامل ، ولكن فى الواقع نجد درجات متعددة . ومثال ذلك أن الأسرة تكون عالية التكامل من حيث الإنتاج الإقتصادى ، ضعيفة التكامل من حيث الرابطة الإقتصادية .

وتسهم المكونات الآتيه فى عملية التكامل :ـ

١ ـ التكامل الآلى والتكامل العضوى :ـ

يقال أن التساند الذى يترتب على تقسيم العمل يعتبر عاملا تكامليا عضويا Organic ، وهناك نمط آخر من التكامل يحدث عندما يعمل

الأفراد فى عمل متشابه ، فيسمى التكامل هنا بالتكامل الالى . والعمل المتشابه هنا هو العمل الذى تعمله جماعة فى مقـابل عمل الجماعة الأخرى المختلف .

٢ ـ التكامل المعياري :

الإنسان هو الكائن الوحيد الذى له ثقافة ، ولذلك قد تكون الثقافة فى حد ذاتها عاملا تكامليا فى الحياة الإجتماعية . ومعنى هذا أن الاتفاق حول الآراء والقيم يؤدى إلى ما يمكن أن نسميه « الرضا العـــام أو الاجماع » . ولذلك كان الرضا العام مقياسا من مقاييس التكامل .

ومن البديهى أن الرضا العام القوى إزاء بعض المعايير يؤدى إلى تكامل الجماعة . هذا وكلما كانت المعايير متساندة ومتداخلة كلمـا مالت الجماعة إلى التكامل الشديد ، لأن عدم تساند المعايير يجعل أعضاء الجماعة الواحدة يعملون للوصول إلى أهداف متعارضة ، وأخيراً نجد أن إعطاء أكبر قدر من الإهتمام والتقدير « للنظـام » و « الضبط » يجعـل الجماعة قادرة على الوقوف أمام الهزات التى تتعرض لها ، ويتحقق لها أكبر قدر من التكامل فى نفس الوقت .

٣ ـ التـــكامل الإجتماعى النفسى :

وهو الشعور بالإشباع والراحة الذي نسميه « الروح المعنوية » . ولا شك أن التماسك الإجتماعى يقوم إلى حد ما على « الروح المعنوية » ، وهو شعور مبنى أساسا حول الإشباع أو عدم الإشباع[1] .

(١) د. محمد عاطف غيث . مقدمه فى علم الإجتماع ص ص٢٤٨ ـ ٢٥١ .

أما العوامل المؤثرة فى التكامل ، والتى ترتبط بزيادة التكامل أو قلته فنلخصها على النحو التالى : —

١ — حجم الجماعة : —

يقال دائما أن الجماعة ذات الحجم الصغير أكثر تكاملا من الجماعة ذات الحجم الكبير . وهذا راجع إلى كثافة العلاقات فى الأخيرة وإتساع مداها. ويلاحظ أنه كلما صغر حجم الجماعة كلما تميزت بالعلاقات الأولية التى تنم عن التكامل النسبي . ولذلك يميل بعض الباحثين فى علم الاجتماع إلى النظر إلى تغير المجتمع من وجهة نظر تغير العلاقات من الأولية إلى الثانوية أو من تكامل قائم على المودة والمعرفة المباشرة ويتميز بالشدة إلى تكامل قائم على التعاقد ويتميز بالعرضية والسطحية .

٢ — التجانس :

ينبع التجانس من التشابه ، وخصوصا التشابه فى المهنة أو الأهداف أو التنظيم الأسرى . وينبع اللاتجانس من الإختلاف فى هـــذه المسائل . والتجانس أكثر ظهورا فى الجماعة الصغيرة عنه فى الجماعة الكبيرة . ومعنى هذا أن المجتمعات البدائية والقبلية والقروية أكثر تجانسا ، وبالتالى أكثر تكاملا من المجتمعات المتحضرة والصناعية .

٣ — التنقل الفيزيقى :

يفترض التكامل البقاء فى الجماعة أو الرغبة فى البقاء ، ولما كان التنقل عملا يفرق الفرد أو الأفراد ويبعدهم عن الجماعة ، فانه يصبح بهذه المثابة عاملا من عوامل إنعدام التكامل . وإذا كان التنقل يتجه إلى ترك ثقافة

والانتماء إلى ثقافة أخرى ، فان مشكلة التكيف للقيم الجديدة تصبح أهم موضوع يواجه الفرد . وإذا كان التنقل يتم داخل النمط الثقافي الواحد مع تغير منطقة الاقامة ، فان على الفرد أن يواجه مشكلة الحصول على الأصدقاء وإكتساب المعارف الجدد ، ولذلك تؤدى الهجرة إلى ظروف ومشاكل على الفرد أن يواجهها فى منطقه الإقامة الجديدة [١] .

---

(١) د محمد عاطف غيث . علم الاجتماع - الجزء الاول - النظرية والمنهج والموضوع ص‌ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

الفصل الثامن

الطبقات الاجتماعية

الطبقات الاجتماعية

الطبقة مفهوم علمي حديث ، يطلق عليه فى اللغة الانجليزية كلمة Class ، وفى الفرنسية Classe ، وتعنى الصنف من الناس أو الأشياء ، وتعبر عن التفاوت بين الناس فكما تتفاوت طبقات الجو وطبقات الأرض وماشاكلها من الطبقات التي تختلف رأسيا وأفقيا ، كذلك يتفاوت الناس ويختلفون فى فرص الحياة . فنى المجتمعات يتمخض التفاعل الاجتماعي عن اختلاف فى مراكز الأفراد ومراتبهم وهيبتهم . وتعكس هذه الاختلافات قيم المجتمع ، وتشير إلى الذات ، وإلى الآخرين ، وما يتوقعه الفرد ، وما يتقبله من الآخرين فى المواقف المختلفة . ويحدث ذلك بطريقة يمكن تمييزها وإبرازها للدراسة المقارنة .

وهذا البناء الطبقي ليس بناء استاتيكيا ثابتا ، بل هو بناء قابل للتغير فى معظم المجتمعات ، وهو يمثل سلسلة من مستويات المكانة من القمة إلى القاع ، مثله فى ذلك مثل الأشخاص ذوى الأوزان والأطوال المختلفة ، لا يوجد فجوات بين مكاناتها ، ومع ذلك فان هذه السلسلة قابلة للانهيار ، فالعلماء الأوائل قسموا الطبقات إلى ثلاث : طبقة عليا ، وطبقة وسطى ، وطبقة دنيا . ومن تلاهم قسموا الطبقات إلى ست ، وذلك بتقسيم كل طبقة منها إلى عليا ودنيا ، هى :—

١ — الطبقة العليا العليا : وهى تتكون من العائلات الغنية القديمة والبارزة اجتماعيا ، وتمتلك مالا كثيرا لا يعرف الناس مصدره .

٢ — الطبقة العليا الدنيا : وهى تتكون من عائلات ليست بارزة اجتماعيا ، ولديها مال كثير امتلكته منذ فترة وجيزة .

٣ ـ الطبقة الوسطى العليا : وهى تشمل رجال الأعمال الناجحين والأفراد المتخصصين ، وهم على وجه العموم من أصول عائلية طيبة ويتمتعون بدخل مناسب .

٤ ـ الطبقة الوسطى الدنيا . وتشمل الكتبة ، والعمال ذوو الياقات البيضاء ، والنصف متخصصين ، ورجال الحرف الذين هم فى القمة .

٥ ـ الطبقة الدنيا العليا : وتشمل العمال الدائمين ، وهم فى الغالب لا يستريحون لاستخدام كلمة « دنيا » .

٦ ـ الطبقة الدنيا الدنيا : وتشمل العمال المهاجرين والعاطلين ، والذين يعتمدون دائما على مساعدة الآخرين [1].

ويقسم بعض العلماء الطبقات الاجتماعية إلى تسع طبقات هى :

١ ـ الطبقه العليا العليا
٢ ـ الطبقه العليا الوسطى
٣ ـ الطبقه العليا الدنيا
٤ ـ الطبقه الوسطى العليا
٥ ـ الطبقه الوسطى الوسطى
٦ ـ الطبقة الوسطى الدنيا
٧ ـ الطبقة الدنيا العليا
٨ ـ الطبقة الدنيا الوسطى
٩ ـ الطبقة الدنيا الدنيا

وهكذا فان تقسيم المجتمع إلى طبقات يتلو الواحد منها الآخر من حيث الحياة والصيت ، ومن حيث القوة والنفوذ والسلطان يعد أبرز سمات التنظيم الاجتماعى وأكثرها انتشارا وشيوعا . فنظرة فاحصة خلال مراحل التاريخ

---

1 – Paul B. Horton & Chester L. Hunt, op. P.P. 234 – 235

تبين وجود الطبقات عند كل الشعوب . ويزداد وضوح الطبقات فى حياتنا، فالفرد يولد فى طبقة معينة ، ويختلط بأفراد من نفس الطبقه التى ينتمى اليها ، ويختار زوجة عادة من الطبقة التى ينتمى اليها كذلك .

والطبقة ظاهرة اجتماعية لأنها لم يخلقها فرد أو أفراد معينون وهى إذن حقيقة خارجة عن إرادة الفرد أو شعوره ، وسابقه لوجوده كذلك فان الفرد ملزم باحترام ماتمثله الطبقة التى يرمز لها ، من معايير وقواعد وميول ثقافية مختلفة ، وأنه إذا خالف ما عاوده الأفراد الواقعون فى دائرة التدرج الاجتماعى لهذه الطبقة لقى ألوانا من الضغوط والمقاومة المباشرة وغير المباشرة . والطبقة الاجتماعية باعتبارها ظاهرة اجتماعية تتسم بالعمومية إذ لم يخل منها أى مجتمع إنسانى منذ بدء الخليقة حتى اليوم (١).

وتعريف الطبقة الاجتماعية على درجة كبيرة من التعقيد ، فالحقائق التى تعرف بها الطبقة مختلفة ومتنوعة من حيث طبيعتها . ومن هنا ظهر عدد كبير من التعريفات اعتمد بعضها على معايير ذاتية فى تحديد ما هيتها والتعريف بها ، بينما اعتمد البعض الآخر على معايير موضوعية — أى من وجهة نظر المشاهد الخارجى .

ويعتبر « سنترز Centers » من المتحمسين لاستخدام المعايير الذاتية ، إذ يرى أن الوعى الطبقى هو العامل الحاسم فى تحديد مفهوم الطبقة ، ويذهب إلى أن الطبقة ظاهرة سيكلوجية أكثر مما هى شىء آخر .

وهناك مفكرون اهتموا بموضوع الطبقة وفق خصائصها الموضوعية .

---

١ — د . أحمد النكلاوى . المرجع السابق ص ص ٦٧ — ٦٨

فالطبقة من وجهة نظر البعض لها أساس سياسى حيث تسيطر الطبقة الحاكمة على الطبقة المحكومة بطريق القوة أو القانون . ففى العصور القديمة كان رجال السياسة من الأغنياء ، وكانت مدن اليونان القديمة تنقسم إلى أربع طبقات هم الأحرار والمواطنون والأجانب ثم الارقاء . وهاهو أفلاطون تخيل سكان المدينه الفاضلة ينقسمون إلى ثلاث طبقات: طبقة الحكام، وقد مزجت الآلهة جبلتهم بالذهب ، وطبقة الجند وقد مزجت الآلهة جبلتهم بالفضه ، وطبقه العمال والصناع والزراع وقد مزجت الآلهة جبلتهم بالنحاس والحديد .

وفى العصور الوسطى كان العامل السياسى له دور كبير فى تقسيم المدن التجارية . ويؤخذ على استخدام هذا المعيار فى التمييز الطبقى أن ما يهمنا هنا هو الطبقات التى يتميز بها المواطنون بالمساواة أمام القانون وفى الحقوق السياسية ، وحيث لايوجد لأى طبقة امتيازات قانونيه معينة ، بل إن الطبقة الحاكمه نفسها نجدها فى العادة لاتشجع الامتيازات . ففى الهند — مثلا — وبعد أن نالت استقلالها حاولت الطبقه الحاكمة أن تحد من الفوارق الطبقيه الموجودة نتيجه للنظام الطائفى ، فعملت على إزالة التفرقة فى المعاملة وخاصه فيما يتعلق بطبقه المنبوذين ، فأطلقت عليهم اسم « أبنـــاء الله Chilcren of God » ، كما نص الدستور على مساواتهم فى المعاملة مع الطبقات الأخرى .

وتعد الثروة والمال من محددات الطبقه الاجتماعية ، فقد استخدم أرسطو الثروة كمؤشر للتفرقه بين فريقين من الناس أغنياء وفقراء وميز بين طبقات ثلاث : الغنيه جدا ، والفقيرة جدا ، والمتوسطة .

أما كارل ماركس وفردريك انجلز فقد نظرا إلى الطبقه الاجتماعية فى ضوء علاقات الانتاج . والطبقات فى رأيها جماعات من الناس تستطيع احداها استغلال عمل الأخرى تبعا لتباين موقع كل منها فى نظام الاقتصاد القائم . واعتبرا التاريخ والأحداث التاريخيه هو تاريخ الطبقة والصراع الطبقى .

ففى العالم القديم انقسم الناس إلى نبلاء وعبيد . وفى عالمنا الحديث ينقسم المجتمع إلى طبقتين : البورجوازية ، وهى طبقه صغيرة من أصحاب رؤوس الأموال الأثرياء الذين تنمو ثرواتهم نموا كبيرا . وهى ذات نفوذ وسلطة . أما الطبقه الثانية فهى طبقه البروليتاريا ، وهى جيش جرار من العمال الصناعيين الفقراء الذين لا يملكون شيئا والذين يطردونهم . ويضيفا أن هناك صراعا حتميا بين الطبقتين ينتهى إلى مجتمع لاطبقى (١).

ويؤخذ على نظرية ماركس وانجلز أن التجربه التى قام بهـا الاتحاد السوفييتى تشهدأن نظام الطبقات لايزال موجودا هناك . فالاتحاد السوفيتى يسير طبقا لمبدأ « من كل حسب طاقاته إلى كل حسب عمله » مما يسمح بتفاوت الأجور ، وبالتالى عدم المساواة فى الدخل والمدخرات والمركز والوضع والقوة . وبالتالى لايخلو الاتحاد السوفيتى من التمييز الطبقى .

واعترض سوروكن على نظرية ماركس بقوله أن المؤثرات الأساسية فى العالم الثقافى والاجتماعى لاترجع إلى عوامل اقتصادية أو مادية ،

---

١ ـ انظر ت.ب . بوتومور . الطبقات فى المجتمع الحديث صص ٤٤ ـ ٤٥

وإنما ترجع إلى مجموعـة من العـوامل يكون العـامل الاقتصادى واحدا منها .

أما أوبنهمير Oppenheimer فيرى أن هناك طبقتين قاما على أساس إقتصادى ، ولكنه يختلف مع ماركس وانجلز فى أن الأساس لديه هو ملكية الارض ، إذ توجد طبقة تملك الاراضى الواسعة ، وأخرى لاتملك شيئا .

والحق أن الثروة فى حد ذاتها لا تكفى لتحديد الطبقة . فالوضع الطبقى لا يرتبط إرتباطا كاملا بالثروة والمال ، فكم من أحياء غنية تضم فقراء كالخدم وما شابه ذلك ، وأحياء فقيرة تضم أغنياء . كذلك كان دخل الطيار أضعاف دخل أستاذ الجامعة ، ومع ذلك فانه يتمتع بمكانة إجتماعية أقل من أستاذ الجامعة . ودخل بعض رجال الدين أعلى من دخل ضابط الجيش ، ولكن ضابط الجيش يحتل مكانة إجتماعية أعلى من رجل الدين . إن الطبقة الاجتماعية تستند أساساً على أسلوب الحياة . فالغنى المنتمى إلى طبقة عليـا لديه قدر كبير من المال ، ويستطيع شراء المنزل ، والسيارة ، والملابس ، ولكن أسلوب حياته قد يكون أسلوب حياة طبقة أدنى . وهكذا فانه لا يمكن تجاهل ما للمهنة من أهمية فى تحديد مفهوم الطبقة .

إن المهنـة أو الوظيفة Occupation من المعايير الهامه فى تحـديد الطبقة . فقد أدى تقسيم العمل إلى اللامساواه فى المهنة . وقد أجرى بحث فى انجلترا بين مدى قدرة المبحوثين على وضع أنفسهم فى طبقة من الطبقات الاجتماعية . وأظهرت الاجابةأن ٩٠٪ من المبحوثين إستطاعوا أن يحددوا الطبقة التى ينتمون إليها ، وأن ⅘ إستعمل كلمة « الطبقة الوسطى » و

« طبقة العمال » . وأشارت معظم الإجابات إلى عنصر المهنة [1] .

ولا شك أن أوضاع العمل والوظيفة فى المجتمعات سواء كانت زراعية أو تجارية أو صناعية ذات أمر هام فى المركز الإجتماعى . فهناك مهن أعلى منزلة من مهن أخرى . وإذا عرفنا مهنة فرد ، فاننا نستطيع أن نعرف قدره ، ونوع تعليمه ، ومستوى معيشته ، وطبيعة حياته العائلية ، وإهتماماته الترفيهية ، وسلوكياته ، وعدد ساعات عمله .

وينطبق هذا المعيار على جميع العصور القديمة منها والوسطى والحديثة بغض النظر عن أصالة الأسرة أو مقدار الثروة فى تحديد المراكز الاجتماعية. ففى المجتمع البدائى يتمتع كل من صناع الرمح ، وصناع القوارب ، ورجال الطب بمكانة إجتماعية معينة تختلف كل منها عن الأخرى . ويضع الصينيون الكلاسيكيون الباحث والعالم فى مرتبة أعلى من المحارب . وقلب النازيون هذه القاعدة فوضعوا المحارب فى مرتبة أعلى من العالم . وفى عصرنا الحالى تعتبر المهنه فى الولايات المتحدة الامريكية عاملا هاما فى تحـــديد الطبقة . ولا شك أن هناك إختلاف ملحوظ فى الوضع الاجتماعى بين العمل اليدوى، والعمل غير اليدوى . كذلك يختلف الوضع الاجتماعى للعمال المهرة عنه للعمال غير المهرة ، كما يختلف الوضع الاجتماعى لبواب عنه لرئيس شركة أو عميد كلية .

ومع ذلك فالمهنه وحدها لا تكون طبقة ، فأفراد الطبقة الواحدة تضم

---

(1) Ivan Reid, Soical Class Differences in Britain, p. p. 22 – 24.

عادة أفرادا يشغلون وظائف عديدة ، وأفراد الطبقة العليا فى العصور القديمة والوسطى كانوا لا ينتمون لأية وظيفة إجتماعية أو مهنة معينه . وهم فى الوقت الحاضر يشغلون العديد من الوظائف . فالفرد يولد فى طبقه معينه ثم يختار مهنته فيما بعد . كذلك فان بعض أصحاب المهن كالأطباء والمهندسين والمحامين والمدرسين كل منها تضم فئات إجتماعية مختلفة ، فاذا قلنا أن شخصا ما يعمل طبيبا أو محاميا ، فاننا لا نستطيع تحديد الطبقة التى ينتمى إليهـا فهناك نواحى أخرى تشترك مع المهنة فى هذا التحديد ، ومن هذه النواحى طبيعة العمل والكفاءة والوضع المالى .

ويعتبر التعليم من المحكات التى تحدد الطبقة الاجتماعية . وقد يقال أن المال يعد باعثا على التعليم ، والافتقار إليه يحول دون التعليم . ومع ذلك فقد أثبتت الدراسات أن نسبة كبيرة من الطلاب يتعلمون دون مساعدة مالية من ذويهم . ولا شك أن قدر ونوع التعليم يعتبر مؤشرا هاما للطبقه . فهو أحد الدوافع الرئيسية للطموح وهو يعبر عن الذوق ، والاهتمامات ، والمصالح ، والأهداف ، وأسلوب الحديث ، وأسلوب الحياة . وهكذا فان التعليم والمهنه والدخل ، وهى معايير موضوعية تعد مؤشرات مرئيه هامه ، يمكن الحصول عليها من التقارير الاحصائية ، وهى ترتبط بطريقة السلوك ، وتشير إلى إنتماء الفرد لطبقة معينه .

ويؤخذ على هذا المحك أن التعليم بمفرده ليس بلازم أن يصاحبه الانتماء إلى طبقة إجتماعية عليا ففى بعض المجتمعات تبين أن التعليم العالى بين الزنوج وبعض الجماعات السلالية يصاحبه مركز اجتماعى منخفض

ولعب الدين دورا بارزا فى تقسيم الطبقات قديما ، كما هو الحال فى

الهند . هذا وتوفر الصحة الجيدة ينظر إليه باعتباره مظهر المركز الاجتماعى.
فقد اكتشف بوث Bccth وروتنرى Rcwntree (١٩٢١) ، وستيفنسون (١٩٢٨) تأثير الثروة والثقافة على معدل الوفيات والمواليد والأمراض .
وخلصوا إلى نتيجة مؤداها أن معدل الوفيات يقل بين الطبقات العليا ، ويزداد بين الطبقات الدنيا . ومع ذلك فان الصحة بمفردها لا تعتبر شرطا أساسيا للمركز الاجتماعى ، أو يمكن بواسطتها إنجاز الأدوار العليا فى المجتمع .

وحاول بعض العلماء أن يجدوا إرتباطا بين العوامل البيولوجية كالجماعات السلالية والجنس والوراثة ولون البشرة والذكاء والموهبة والصفات الجسمية كالقوة والطول والجمال وغيرها عوامل هامه للتمييز الطبقى ، وأساس التنظيمات الاجتماعية والسياسية . وتفسير ذلك أن المولود سواء كان ذكرا أم أنثى موهوب بقدرات معينه بغض النظر عن ظروفه الاقتصادية ومزاياه الاجتماعية . وتبدى هذه القدرات فى أساليب مختلفة فى مرحلة الطفولة . فغالبا ما تكتسب المرأة مركز أبيها أو زوجها . كذلك تفتح بعض الأبواب للمرأة فقط . وحتى عهد قريب لم يكن يسمح للمرأة بالتصويت فى الانتخابات أو إمتلاك الملكيات ، أو الالتحاق بأحسن المدارس والمعاهد . وبريطانيا مجتمع متعدد الثقافات ، ويرجع ذلك إلى تعدد الجماعات ذات الاصول والالوان المختلفة .

ومن العلماء الذين أخذوا بهذا الاتجاه جيمبولفيتش Gumploweiz الذى حاول أن يربط بين الجنس والطبقة ، وجاليتون الذى حاول أن يربط بين الوراثة والطبقة .

وفى بعض المجتمعات والثقافات يعتبر كبار السن سواء كانوا من الذكور أم من الإناث فى مراكز اجتماعية أعلى من صغار السن .

ويؤخذ على هذا الإتجاه أن الشواهد والدلائل الواقعية يمكن أن تخرجنا بنتيجة مؤداها عدم وجود إرتباط مباشر بين العوامل البيولوجية والطبقة الإجتماعية التى ينتمى إليها الإنسان ، إذ الواقع يشهد أن الأفراد فى كل الطبقات ينحدرون من أفراد من كل الطبقات أيضا . وعلى الرغم من أن الوضع الطبقى قد ينتقل من الآباء إلى الأبناء ، فان الكفاءات بالذات لا تورث ، وبذلك ننتهى إلى أن الطبقات الاجتماعية ليست طبقات فزيقية .

ومن العلماء من فسر الطبقة الاجتماعية فى ضوء أسلوب الحياة Style of Life ، وهو يشير إلى الطريقة التى من خلالها تنتقى الطبقات والجماعات طريقتها فى المعيشه وكل طبقة لها أسلوبها الخاص فى الحياة ، ونظرتها الخاصة للعالم . وطريقة النظر للحياة تعكس عند الأعضاء تجاربهم الاجتماعية الخاصة وعلاقاتهم بالطبقات الأخرى . فها هو أرنولد جرين Arnold Green يرى أن المراتب التى يحتلها الناس على أساس مراكزهم، فى ضوء مكان الإقامة ، والمهنة ، والجنس ، والدين ، والثروة ، وأسلوب الحياة ، تشير وتحدد فى نفس الوقت نفوذهم وقوتهم النسبية . وأشار جرين إلى أن مقومات الترتيب الطبقى تعين الناس على توقع السلوك فى مواقف متعددة .

وإفترض بعض العلماء وجود علاقة بين الطبقة والأصول العائلية للزوجين ، حيث يتزوج الناس من داخل الطبقة ، فها هو جونسون Jchscn يذكر أن إصطلاح « الطبقة الاجتماعية » يعنى شريحة داخلية

للزواج ، تتكون من عائلات متساوية النفوذ تقريبا ، مؤهلين للتفاعل الاجتماعى ، ويكون ذلك دليلا على المساواة .

وقام جلاس Glass (١٩٥٤) بدراسة للطبقه الاجتماعية والزواج ، وتبين له أن ٤٥ ٪ من حالات الزواج تكون من نفس الطبقة . فالرجل والمرأة يميل كل منهما غالبا إلى أن يتزوج من نفس الطبقة الإجتماعية التى ينتمى إليها . وفى دراسة أخرى تبين أن ٨٣ ٪ من حالات الزواج تكون بين زوجين على نفس مستوى التعليم ، أو متساويين فى أصولهم الاجتماعية (١).

ومن العلماء من يعرف الطبقة الاجتماعية فى ضوء التقارب والتشابه . فها هو « سيميان » يذكر أن فى كل مجتمع إنسانى توجد هيئات اجتماعية لا تقوم على روابط الدم كالأسرة ، ولا على روابط المهنه كالنقابات ، ولا على روابط الجوار المكانى كأهل القرية والمدينة ، وإنما على التقارب والتشابه .

ويرى آخرون أن الدرجة الأساسية للطبقات الاجتماعية تكمن فى الاحترام الذى تحظى به الجماعه . فهم يقيمون الطبقات على أساس التدرج فى المراتب المعتمدة على المنزلة والمكانة .

وهناك من العلماء من جمع بين الجوانب الذاتية والموضوعية ، فقد ذهب وليام أوجبرن إلى أن الباحث يستطيع أن يستخدم الطبقة والمركز كل منهما مكان الآخر كأنهما يعنيان نفس الشىء . والطبقة عنده لها ناحيتان :

---

(1) Ivan Reid, op. cit. p. 165.

ناحية ذاتية وهي الشعور الطبقى ، و ناحية موضوعية هى الدخل والمهنة .

وعلى ذلك ينبغى أن نستبعد تفسير الطبقات الاجتماعية على أساس محدد واحد ، إذ أن الطبقات الاجتماعية يحددها كثير من العوامل تختلف فى قوتها وأهميتها ، كما تختلف فى الزمان والمكان . وفى ضوء هذا يمكن أن نعرف الطبقة الاجتماعية بأنها أجزاء من المجتمع ، أو إحدى الخلايا الرئيسيه التى يتألف منها نسيج المجتمع ، أو شكلا من أشكال الجماعات الاجتماعية ، يقف كل فرد فيها على قدم المساواة مع الآخر ، ويتميز هذا الجزء أو الخلية أو الشكل عن غيره من الأجزاء أو الخلايا أو الأشكال الأخرى بمعايير إرتفاع المكانة أو إنخفاضها فى ضوء عوامل القوة الفيزيقيه والمهارة ، والثروة ، والدخل ، والمهنة ، والتعليم ، والسلالة ، والدين ، وأسلوب الحياة . ويمكن أن نميز طبقة عن أخرى من خلال الملابس التى يلبسها أفرادهم ولغتهم . كما يقوم التمايز على أساس الاختلاف فى الهيبة والمكانة أو التقدير والشرف الاجتماعى ولكل طبقه من هذه الطبقات حقوقها وواجباتها ، ووجهات نظرها عن العالم وعن ذواتهم . وبين الطبقات هوة لايمكن عبورها إلا بصعوبه . وتكون الطبقات الاجتماعية من حيث إرتفاع أو إنخفاض مكانتها ما يسمى « بالتدرج الاجتماعى » .

وهناك نظريتان أساسيتان فى الطبقه الاجتماعية هما نظرية الصراع ، ونظرية التكامل . وترتكز نظرية الصراع على الأفكار الماركسيه التى سبق أن أوردناها .

أما نظرية التكامل فتنطلق من القضية التى مؤداها « عدم وجود مجتمع بلا طبقات » ، فالطبقات ضرورية للمجتمع ، وهى تعمل على تجانسه

وتماسكه ولا تقتصر على عامل معين هو العامل الاقتصادي ، وليس هناك صراع بين الطبقات . فها هو فيبر صنف القوة الشرعية إلى ثلاث فى المجالات الاقتصادية والاجتماعيه والسياسية . وفى كل من هذه المجالات الثلاث ترتبط القوة وتتحدد من خلال الطبقة الاجتماعية والوضع الاجتماعى ، والحزب السياسى على التوالي . وخلاصة القول يؤكد فيبر على المكانة الاجتماعية .

ويتفق سوروكن مع فيبر على أن الطبقه الاجتماعية تقـوم على المهنه والاقتصاد وتوزيع الحقوق والواجبات والقيم والممارسات والمعايير . ويرى سوروكن أن الثورات والصراعات لم تنجح فى تحطيم التدرج الطبقى ، وذلك يساير النظرية التكاملية التى تنظر إلى التدرج الطبقى على أساس أنه سمه أساسية لكل مجتمع .

وللتفريق بين الطبقة والفئه الاجتماعيه نذكر أن الطبقة الاجتماعية ذات نطاق واسع بسبب تعدد الصفات . ووجهات النظر التى تدخل فى تعريفها فهى تتضمن عدة فئات إجتماعيه مختلفه . فطبقة الفلاحين — مثلا — تضم الملاك الذين يستغلون أملاكهم بأنفسهم . والمستأجرين ، والشركاء . والعمال الزراعيين ، وطبقة العمال تضم عمال المصانع ، وعمال المناجم ، وعمال السكك الحديدية وغيرهم .

هذا إلى جانب أن الفئه الاجتماعية قد تنقسم إلى فئات أكثر تخصصا ، فمثلا قد تنقسم فئة رجال القانون إلى محامين وموثقين ورجال استشاريين ومحضرين . كما أن فئة رجال التعليم تنقسم إلى أساتذه ومعلمين ، كما نميز

بين فئة معلمي الابتدائي وفئة معلمي الثانوي .

أما نسق الطائفة Caste System ، فهو نسق ثابت يتميز بعدم المرونة ،وهو يورث كما تورث الجينات ، ومدعم بمبدأ ديني أو سحري . وينشأ أعضاؤها على مهن دون أخرى . وعلى النفور والتقزز من أعضاء الطوائف المخالفة وأعضاء كل طائفة لا يتزوجون من أعضاء الطوائف الأخرى ، ولا يأكلون معهم ، بل ولا يمسونهم بأيديهم وفي ضوء هذا يعرف لتدريج الطائفة بأنها طبقة اجتماعية غير مرنة . يولد فيها الفرد ولا يستطيع أن يخرج منها إلا بصعوبة شديدة .

ويعتبر نظام الطوائف في الهند من خير الأمثلة على ذلك . وهو ينبع من المعتقدات الدينية الهندوسية المسجلة في الكتب الهندوسية التي تسمى الفيداس Vedas . وتحدد هذه المعتقدات جهازا قدسيا يتكون من أربع طوائف يطلق عليها فارنا Varna .

وتتكون الطائفة الأولى من البراهمة Brahmans ، وهم الكهنة ورجال الدين الذين كان عليهم أن يحفظوا الكون الاجتماعي من خلال الترشيد الديني والتوجيه القدسي .

أما الطائفة الثانية فهي الشترياس Kshatryias ، وهي طبقة المحاربين أو الارستقراطية العسكرية التي كان من واجبها حماية الكون الاجتماعي والنظام القدسي الطائفي .

أما الطائفة الثالثة فهي الفايسياس Vaisyas ، فتتكون من الفلاحين والحرفيين والتجار .

أما الطائفة الرابعة والسفلى ، فهى طائفة السفلة أو السودرا Suďras التى تقوم بجميع الأعمال اليدوية فى الوقت الذى تقوم فيه بخدمة جميع الطبقات السابقة فى أمن وسلام .

وهذه الطوائف لا تتضمن جميع السكان المندوسيين حيث لا زال هناك ما يسمى بطائفة المطرودين [١] .

(١) د . محمد نبيل جامع . المرجع السابق ص ٢٨١ .

الفصل التاسع

السكان

السكان

أصبحت دراسة السكان موضوعا لعلم مستقل هو علم السكان الديموجرافيا Demography ، وهى كلمة مشتقة من أصلين يونانيين فكلمة ديموس Demos ومعناها ناس أو بشر ، وكلمة Graphie ، ومعناها كتابة . ويعتبر هذا العلم من أقدم العلوم الاجتماعية نشأة .

ويهتم هذا العلم بدراسة السكان من حيث الحجم Size of population وأسباب زيادتهم أو نقصانهم ، ودرجة كثافتهم وتخلخلهم ، وتوزيعهم على المساحة التي يشغلونها Distribution of population ، وتركيبهم من حيث السن والجنس والمهنة والتعليم ، وتطور السكان ، وما يطرأ على ذلك من تغيرات عن طريق الميلاد أو الوفاة أو نتيجة لعمليات الهجرة بأنواعها المختلفة .

ويرجع الاهتمام المتزايد بدراسة الظواهر السكانية إلى عدد من العوامل لعل من أهمها ما طرأ على سكان العالم خلال المائة سنة الأخيرة من نمو متزايد وسريع .

ولقد تفرعت شعب متميزة من الدراسات الديموجرافية ، منها على سبيل المثال لا الحصر « الديموجرافيا الوصفية » ، وتبحث فى وصف السكان من حيث العدد والتوزيع والخصائص المميزة لهم ، و « الديموجرافيا الإقتصادية » و « الديموجرافيا الاجتماعية » . والواقع أن علم السكان يرتبط بعلم الجغرافيا البشرية وبعلم الاجتماع : وللتفريق بين هذه العلوم نذكر أن علم السكان لا يهتم كثيرا بأثر البيئة ، ولا يتقهقر

بعيدا في الماضي ، وإنما يكاد يحصر مداه في الواقع العددي وتأويله .
أما الجغرافيا البشرية فتدرس الإنسان من حيث تأثره بالطبيعية وأثره فيها ، وهو ينظر إلى السكان باعتبار أنهم كتلة بشرية فوق نقطة ما على خريطة العالم . (١)

أما علم الاجتماع فيعالج السكان من زاوية ارتباطهم بمختلف الظواهر والنظم والانساق التي يتألف منها البناء الاجتماعي ، حيث لا توجد ظاهرة إجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو ثقافية أو عمرانية إلا ولها إتصال مباشر أو غير مباشر بالجانب السكاني . لأن الأفراد في المجتمع هم القوة الفعالة المؤثرة في التطور الاجتماعي .

ويهتم علم الاجتماع بما يطرأ على السكان من تغير ، وأثر هذا التغير على حجم وتوزيع وصفات السكان ، ومدى إختلافهم في ذلك من مجتمع إلى آخر فالزيادة السكانية ـ مثلا ـ يترتب عليها نتائج إجتماعية . فكبر حجم السكان وكثافتهم هي السبب الرئيسي لتقسيم العمل ، وتقسيم العمل من أهم مقومات مظاهر الحضارة . كما أن كبر حجم السكان يؤدي إلى إنشغال الدول باطعام سكانها ، والتركيز على الصناعات الاستهلاكية الذي يفوت عليها الفرص في توجيه استثمارها نحو الصناعة الثقيلة . كما أن الزيادة السكانية ينتج عنها مشاكل إجتماعية ، وظهور المناطق المتخلفة . هذا بالإضافة إلى أنها قد تثير مشاكل كثيرة مع دول أخرى مجاورة

---

١ — أنظر د. محمد الغريب عبد الكريم . سسيولوجيا السكان ص ص ١ ـ ٢

كما يحـدث الآن بين الصـين والهنـد وباكستان .

ويهتم علم الإجتماع كذلك بالتغيرات التى تطرأ على التركيب السكانى ، فالمجتمع الأكثر عددا فى الأطفال والشيوخ لا يبقى له غير نسبة ضئيلة من القوة العاملة المنتجة . وإذا أصبحت نسبة الإناث غير متعادلة مع نسبة الذكور ، فقد لا يستطيع الكثيرون الزواج ، ويبحثون عن عشيقات خارج نطاق الأسرة ، والعلاقات الزوجية ، والأبناء الشرعيين .

كما يهتم علم الإجتماع بهجرة السكان من منطقة إلى أخرى طلبا الرزق ، وما يترتب على ذلك من نتائج كعدم الاستقرار فى المجتمع ، واضطراب فى القيم والمعايير ، وسوء التكيف الاجتماعى والثقافى ، وعدم التكامل ، فضلا عن المشكلات التى تنجم عن قلة الخدمات وعجزها عن الوفاء باحتياجات الأفـراد والجماعات .

وقد إستطاع العلماء الديموجرافيون أن يقدروا عدد سكان العالم ، وتبين لهم أنه يزداد زيادة كبيرة فى العصور الحديثة ، وعلى وجه الخصوص فى العقود الأخيرة من هذا القرن . فقد كان سكان العالم خمسة ملايين فى العصر الرومانى ، ثم قفز إلى خمسين مليونا فى القرن السادس عشر ، وفى منتصف القرن السابع عشر بلغ عدد سكان العالم ٥٤٠ مليونا وفى منتصف القرن الثامن عشر بلغ ٧٢٨ مليونا . وفى أوائل القرن التاسع عشر ٩٠٦ مليونا ، وفى أوائل القرن العشرين ١٦٠٨ مليونا ، وفى منتصف القرن العشرين بلغ عدد سكان العالم ٢٢٣٠ مليونا .

وترجع هذه الزيادة السكانية إلى إرتفاع معدل المواليد ، وإنخفاض

معدل الوفيات والهجرة . ومعدل المواليد والوفيات هو المعدل الخام crude ، وهو عدد المواليد أو الوفيات لكل ألف من السكان فى السنة . ويعطى هذا المعدل صورة واضحة للاتجاهات السكانية . ويتأثر معدل المواليد والوفيات بالتوزيع العمرى ، والتوزيع النوعى / الجنسى ، والتوزيع المهنى ، ومحل الإقامة سواء كان حضريا أم ريفيا

ويشير المعدل النوعى / الجنسى إلى عدد الذكور لكل مائة من الإناث فاذا كان المعدل ١٠٠ فان هذا يعنى أن عدد الذكور متساو مع عدد الإناث ، وإذا كان ١١٠ ، فهذا يعنى أن عدد الذكور ١١٠ لكل ١٠٠ من الاناث . وإذا كان المعدل ٩٠ فهذا يعنى أن عدد الذكور ٩٠ لكل ١٠٠ من الاناث .

أما الهجرة فهى عامل من عوامل زيادة السكان . ويمكن أن نصل إلى معدل صافى الهجرة من المعادلة الاتية : —

معدل صافى الهجرة =

$$\frac{\text{عدد المهاجرين للداخل - عدد المهاجرين للخارج خلال العام}}{\text{عدد السكان فى منتصف العام}} \times ١٠٠٠$$

وهذا المعدل قد يكون موجبا إذا زاد عدد المهاجرين لداخل البلاد عن عدد المهاجرين لخارج البلد ، وقد يكون سالبا إذا حدث العكس وسواء كان المعدل المشار اليه موجبا أو سالبا فانه يجمع هذا المعدل على معدل الزيادة الطبيعية ، فنحصل فى النهاية على معدل الزيادة أو معدل النقص السنوى فى السكان .

وترجع الهجرة إلى عوامل الطرد والجذب ، ويعود الطرد إلى الظروف السيئة التي يعيش فيها الناس مما يحملهم على تركها . أما الجذب فيشير إلى الظروف الطيبة في البلد الذي يستقبل المهاجرين ، كفرص توفر العمل وتوفر المسكن الملائم . وقديما مضى تمكن الناس من الهجرة من بلد لآخر دون وجود قيود أو حواجز . ولذلك كان المهاجرون الأوائل لأمريكا من العاهرات ، والمساجين ، والأميين ، والمضطهدين في بلدهم نظراً لاتجاهاتهم السياسية المناهضة ، ونادرا ما كان يستخدم جواز السفر وفي وقتنا الحالي تختار الدول نماذج معينة من المهاجرين .

والهجرة أنواع كثيرة منها : —

١ ـ الهجرة الخارجية : وهي إنتقال عدد من أفراد المجتمع إلى مجتمع آخر طلبا للعمل ، أو تطلعا لفرص أحسن في الحياة ، أو فرارا من الاضطهاد .

٢ ـ الهجرة الداخليه : وهي إنتقال الأفراد والجماعات من منطقة داخل المجتمع إلى منطقة أخرى في نفس هذا المجتمع ، وذلك كالانتقال من الريف إلى المدن . وتزداد هذه الظاهرة داخل المجتمعات كلما زادت المدن في خصائصها كمراكز جذب ، وكلما اتسع نطاق المراكز الصناعية الجديدة في الوقت الذي يزداد فيه سكان المناطق الريفية فيزيدون عن حاجة العمل الزراعي الحقيقية .

وترجع هذه الزيادة السكانية كذلك إلى تحسين الآلات الزراعية والتخصص الإقليمي في أنواع المحصولات مما أدى إلى وفرة المواد الغذائية

وتنوعها . وساعد تقـــدم وسائل النقل والمواصلات على إرتياد الأرض البكر ، وتوزيع المواد الغذائية توزيعا وافيا . كما ساعد التقدم الطبي والصحة الوقائية والعناية العلاجية على انخفاض معدل الوفيات ومضاعفة إمكانيات الحياة منذ اللحظة الأولى للولادة ، إذ حوصرت الأمراض والأوبئة ، خصوصا أمراض الطفولة ، وأمراض كبار السن وتطلب هذا أن تقدم الحكومات برامج لرعاية كبار السن ، وصدرت لهم بالفعل بعض التشريعات . كما ترجع الزيادة السكانية كذلك إلى التقدم العلمى والتكنولوجي فى مجالات الإسكان والتعليم وبناء المدن .

وكان لهذه الزيادة السكانية آثار إجتماعية تتمثل فى قدرة الإنسان على إطعام نفسه ، وفى التوازن الاقتصادى ، كما أن له آثاره على القوى العسكرية فى العالم .

ونتج عن الزيادة السكانية كذلك إزدياد الكثافة السكانية . ويقصد بالكثافة السكانية عدد النسمات فى الكيلو متر المربع أو الميل المربع أو الفدان بعد استبعاد الجبال والصحارى والأراضى البور . وترتبط كثافة السكان كذلك بعوامل كثيرة أهمها حالة الجو ، وطبيعة الأرض ، وما يشتمله باطنها من معادن ، وتوفر العمل الانسانى ، ومدى تقدم الفنون الانتاجية صناعية وزراعية ، وتيارات الهجرة .

ونظرا لتعدد العلماء الذين قاموا بالدراسات السكانية ، فقد تعددت أيضا النظريات فى هذا الموضوع ، ولعل أهمها : —

أولا : النظريات التى ترى إلى زيادة عدد السكان على إعتبار :

١ ـ أن زيادة عدد سكان الدولة يزيد من قوتها الاقتصادية بزيادة القوى العاملة فيها لزيادة الانتاج .

٢ ـ أن زيادة عدد سكان الدولة يؤدى إلى ظاهرة تقسيم العمل ، وهذا يؤدى إلى التخصص وزيادة الانتاج .

٣ ـ أن زيادة عدد سكان الدولة يزيد من قوتها العسكرية .

٤ ـ ان زيادة عدد سكان الدولة يزيد من إحترامها فى المحيط الدولى .

ثانيـا : نظريات تنادى بالحد من الزيادة السكانية على أساس :

١ ـ أن تزايد عدد السكان فى الغالب يؤدى إلى إنخفاض مستوى المعيشة فى البلاد ذات الموارد المحدودة .

٢ ـ أن تزايد السكان يؤدى إلى إنخفاض المستـــوى الصحى وإنتشار الأمراض والأوبئة لتكدس السكان .

٣ ـ تزايد السكان قد يؤدى إلى الحروب أو الاستعمار خصوصا إذا ما ضاقت موارد الدولة عن حاجة سكانه .

والواقع أن مشكلة السكان ترجع فى أصولها إلى العلاقة المتينة بين عدد السكان من جهة وبين الانتاج الاقتصادى من جهة أخرى . فاذا كان الانتاج الاقتصادى يزيد فى مجتمع ما بحيث يكفى الزيادة السكانية فى المجتمع ، فثمة لا مشكلة ، وإذا زاد الانتاج عن حاجة الناس ارتفع مستوى معيشتهم ، أما إذا قل الانتاج عن حاجة الناس فثمة مشكلة سكانية يـــلزم حلها .

وفى وقتنا الحالي تعقد الكثير من المؤتمرات تتناول العلاقة بين النمو السكاني والانتاج الاقتصادى على المستوى القومي أو المستوى العالمي لوضع سياسات حول تحسين الانتاج الزراعي رأسيا وأفقيا .

ولعل نظـــرية مالتس للسكان تعتبر من أشهر النظريات التى تحدثت عن المشكلة السكانية ، فقد افترض مالتس أن عدد السكان يتضاعف مرة كل ٣٥ عاما ، ثم أضاف أن الناس يتزايدون طبقا لمتوالية هندسيـــة قوامها ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ .... أما الموارد الغذائية فتزداد طبقا لمتوالية عددية قوامها ١ ، ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ... الخ . والعلة فى المتاعب الاجتماعية ترجع إلى عدم التناسب بين الزيادة السكانية وزيادة موارد الانتاج ، إذ أن السكان يزدادون عن الحد الذى تستطيع كمية الطعام المتوفرة أن تكفيه ، فالأغذيه التى يستخدمها ١١ مليون نسمة إذا وزعت على ١٢ مليون نسمة سادت حالة الفقر ، واشتد الضيق ، وكذلك يزيد عرض العمل فينخفض الأجر .

وذكر مالتس أن هناك عوامل طبيعية وأخرى وقائية تحد من الزيادة السكانية ، فمن العوامل الطبيعية الحروب والأوبئة والمجاعات وفيضانات الأنهار . أما الموانع الوقائية فهى التحفظ الخلقى وتأجيل الزواج أو تأخيره لسن متقدمة .

وقد لاقت نظرية مالتس الكثير من النقد ، فقد أغفل تطور الكفاية الانتاجية زراعيا وصناعيا ، كما أن العوامل التى ذكرها للاقلال من الزيادة السكانية تترك الحبل على الغارب دون أن تحاول التأثير عليها والتدخل فى مجرياتها .

والواقع أن نظرية مالتس نظرية نسبية تنطبق على المجتمعات ذات الموارد المحدوده كالهند والصين ومصر ، لكن هناك بلاد أخرى ذات موارد كبيرة وتحتاج إلى السكان وتشجع الهجرة اليها ، وذلك كما هو موجود فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا .

وهناك نظرية أخرى تقول أنه يجب أن يكون هناك حجما أمثل للسكان فى كل مجتمع ينبغى الوصول إليه ، بحيث لا يقل عدد السكان ولا يزيد عن هذا الحد ، فمستوى المعيشة ينخفض فى حالتى الزيادة الكبيرة أو النقص الكبير فى السكان ، وأن بين هذين الطرفين حالة وسطى يبلغ فيها مستوى الرفاهة حده الأقصى ، وهى تسمى بالحجم الأمثل للسكان. إلا أن هذه النظرية هى الأخرى لاقت الكثير من النقد .

وأخيرا يمكن القول أن المجتمعات قد اتجهت الآن إلى ضبط النسل ، ومع ذلك فان الزيادة السكانية ما زالت فى تزايد . ويعلل ذلك بقلة نسبة الوفيات فقد أدى القضاء على الأوبئة فى سيلان — مثلا — إلى هبوط نسبة الوفيات إلى الثلث فى خلال عشر سنوات ، كذلك فان محاربة المجاعات فى الهند — مثلا — قد حد من قوتها بينما كانت تعصف بعشرات الملايين من السكان فى فترات قصيرة .

لذلك فانه فى البلاد التى تعانى زيادة سكانية ، يجب عليها الأخذ بسياسة تحديد النسل ، ثم وضع قيود على الزواج ، كأن يتم فى سن معينة ، كما عليها أن تسمح بالهجرة وتشجعها ، وأن تبحث كذلك من وسائل أخرى .

الفصل العاشر

التغيير الاجتماعي

التغير الاجتماعى

ازداد اهتمام العلماء بدراسة التغير فى المجتمع ازديادا كبيرا فى السنوات الأخيرة ، إذ من المعلوم أن موضوع « التغير الاجتماعى » لم يشغل العقول إلا بعد ظهور علم الاجتماع ووضع أسسه ونظرياته أما الفلاسفة والمفكرون الذين تناولوا المجتمع قبل تأسيس علم الاجتماع , فكانوا يهدفون إلى إقامة مجتمعات مثالية، ومثل عليا ، ومدن فاضلة أواليوتوبيا ، ويأملون تحقيق هذه البرامج الفلسفية حتى تسود العدالة بين أفراد المجتمع ، وتتحقق الرفاهيه ، وينتهى الظلم والحرمان

ومع ذلك فان المجتمعات سارت فى طريق تطورها بعيدا عن أحلام الفلاسفة ومثلهم العليا ، إذ لم يدرك الفلاسفة أن التغير الاجتماعى لا يسير وفق إرادة فليسوف بعينه ، وإنما يسير طبقا لطبيعة المجتمع الذاتية ، ويخضع لعدة عوامل متداخلة ومتشابكة ـ هى تيارات اجتماعية واقتصادية وسياسية ويخضع فى تغيره لقوانين معينة شأنه فى ذلك شأن ظواهر الطبيعة . ويحدث نتيجه حالة اللاتوازن التى يوجد فيها المجتمع ، ورغبة الناس فى إعادة التوازن والاستقرار للمجتمع .

إن الإنسان هو أكثر مخلوقات الأرض تعقيدا ، فهو يسعى نحو تحقيق أغراض معينة ، بينما يسعى إنسان آخر نحو تحقيق أغراض أخرى متناقضة للأول .. ففى العالم الغربى يسعى الإنسان نحو الحرية الفردية والأمن الاجتماعى فى نفس الوقت فنجده محافظ ، كما نجده متطلعا إلى التغير ، تغير فى الآلات ، والتجارب ، والخبرات وهكذا فالإنسان يتحرك بوعى نحو التغير ، فقد يخترع وقد يستعير عناصر ثقافية من مجتمعات أخرى .

وهكذا هناك حقيقه واقعة لايمكن إنكارها ، وهى أن المجتمعات والظواهر والنظم الاجتماعية تتغير دواما تغيرا لايمكن ايقافه وهذه خاصة تميز عالم الإنسان عن عالم الحيوان . فالحيوانات لاتغير من نماذج أسلوب حياتها ، وإذا حدث تغير فهو طفيف لايقارن بما يحدث فى العالم الإنسانى ، ومع ذلك فإن التغير فى العالم الحيوانى هو تغير بيولوجى فقط ، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يستطيع لا أن يتكيف مع بيئته فقط ، وإنما يستطيع أن يخلق بيئة جديدة .

وشأن المجتمعات فى ذلك شأن الأفراد ومظاهر الكون ، فكما أن هذه الأخيرة فى تغير دائم ومستمر ، كذلك المجتمعات فى حالة من الحركة والتعديل والتغير ، حتى أنه يمكن القول أن بقاء الجنس البشرى يتوقف على هذا التغير ، إذ أنه يحقق أنماطا وقيما جديدة تشعر الأفراد أن حياتهم متحركة ومتجددة .

التغير إذن حقيقه واقعة ، وسنة من سنن الحياة . يقول عنه هير اقليطس (٥٤٠ ــ ٤٧٥ ق م) أن «التغير قانون الوجود والاستقرار موت وعدم ». ومثل لذلك بفكرة جريان الماء فقال « أنت لاتنزل النهر الواحد مرتين ، فان مياها جديدة تأتى من حولك » . ويقول عنه جون ديوى [1] . كما أن الحركة هى الحقيقة الفيزيقية الأولى ، كذلك التغير حقيقة اجتماعية ،

والدليل على ذلك التغير المستمر الذى لا يمكن إيقافه ، ذلك التمايز الكبير بين الملابس التى كان يلبسها أفراد مجتمع من المجتمعات فى عصر مضى ،

1 — john Bennett & M. Telvin, op. cit. P. 82

والملابس التي يلبسها أفراد هذا المجتمع في الوقت الحالي . والعادات والآراء الغربية التي كانت سائدة في مجتمع ما وتختلف اختلافا كبيرا عن عادات وآراء ذلك المجتمع في العصر الحالي .

كذلك خضعت النظم الاجتماعية لعملية التغير خلال عصور التاريخ ، واختلفت تبعا لعقلية الجماعة وما يسودها من ظروف . فالنظام الاقتصادي تغير من مرحلة جمع الثمار وصيد الحيوانات ، إلى مرحلة الزراعة والرعي ، إلى مرحلة التجارة ، فمرحلة الرأسمالية ، فالاشتراكية . وعند الانتقال من النمط الإقطاعي إلى النمط التجاري ، كان الفرسان ورجال الدين يمثلون قمة المجتمع في النمط الأول ، وكانت القيم السائدة وقتذاك مرتبطة بأخلاق هاتين الطبقتين ، وهي قيم الشجاعة والاستقراطية بالنسبة للفرسان ، وقيم الزهد التي كان يبثها رجال الدين في نفوس عامة الشعب ، ولم تكن الوظائف الاقتصادية تحظى بالتقدير بالرغم من أهميتها . ولذلك كان المشتغلون بها في مرتبة أقل . أما في النمط الثاني ، فقد كان الأنتاج الاقتصادي يمثل المقام الاول والاشتغال به أمر يفاخر به المرء ، كما كان القادة في هذا الميدان يحصلون على مراكز عالية .

وفي مصر كان النظام الاقتصادي قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قائما على الاقطاع والرأسمالية والطبقية ، ثم أصبحت اشتراكية ، وحلت الصناعة الآلية الكبيرة محل الصناعات اليدوية البسيطة ، ثم تحولت إلى مزيج من الاشتراكية والرأسمالية ، فالى جانب القطاع العام يوجد القطاع الخاص الذي تشجعه الدولة وتوليه أهمية كبيرة .

وتغير النظام السياسي عبر الزمن من نظام رئيس العشيرة إلى رئيس

القبيلة أو ملكها إلى النظام الملكي ثم إلى النظام الجمهورية . ومن الحكم المطلق إلى الحكم الديمقراطي. وقد شهدت مصر – مثلا عصر الإمبراطوريات وتوالت عليها فترات من الاحتلال الاجنبي والحكم الوطني ، وكانت ملكية قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وأصبحت الآن جمهورية .

كذلك النظم القضائية قد خضعت هي الاخرى للتغير ، فمنذ مائتي عام كانت تقوم على أساس ديني ، فأصبحت الآن تقوم على أساس مدني .

وحتى الدين المستمد من الكتب السماوية ، فمع أنه ثابت لايتغير فيما يتعلق بالمبادىء الاساسية التي يقوم عليها الدين ، فالصلاة عند المسلمين خمسة فروض في اليوم ، وهي هي لم تتغير منذ ظهور الإسلام حتى الآن ، إلا أن المعنى الذي يحمله الدين ، والتفسير الذي يفهم منه ، والتقاليد الدينية ، كل هذه تختلف من فترة زمنية إلى فترة زمنية أخرى . فمنذ ربع قرن كانت التقاليد الدينية تمنع المسلمين من الصلاة دون غطاء الرأس ، أمـــا الآن فالناس يقبلون على الصلاة ودخول المساجد دون هذا الغطاء .

كذلك فان اللغات المختلفة تخضع لعملية التغير ، فالكلمات المستخدمة للدلالة على معان منذ زمن بعيد دخلت عليها تعديلات إما الزيادة أو النقص، كما استجدت لغات حديثة ، وانهارت لغات قديمـــة ، كما دخلت ألفاظ ومصطلحات جديدة على أي لغة من اللغات . هذا وتغير اللغه إنما يعني تغير في الافكار ، وتغير في نماذج السلوك . والسكان بدورهم تتغير كثافتهم بالزيادة أو النقصان .

وهكذا فالتغير الاجتماعي سمة أساسية من سمات أي مجتمع ، والاختلاف هو في معدل سرعته وفي اتجاهه من مجتمع إلى آخر ، فقد يكون سريعا

فى مجتمع ، وبطيئا فى مجتمع آخر فقد أثبتت الدراسات العلمية أن المجتمعات البدائيه قد خضعت فى واقع الأمر لكثير من التغيرات ، ولكنها تسير ببطء إذا قورنت بغيرها من المجتمعات .

وقد يكون التقدم تقدميا إرتقائيا مقصودا يهدف إلى تحقيق أغراض قائمة على البحث والدرس ، وذلك مثل التقدم المستمر فى ميدان العلوم والمعارف وأعمال الكشف العلمى والمخترعات وما اليها . فقديما نشأت العلوم فى أحضان الدين ، وكانت حقائقها خاضعة للأفكار الدينية والميثولوجية ، ثم تلقفتها الفلسفة ، وأخيرا استقلت العلوم تباعا ، وخضعت لفكرة القانون العلمى . وتطورت كذلك المواصلات من القوارب إلى المراكب الشراعية ، ثم اكتشف الإنسان البخار وصنع الباخرة والسيارة والطائرة . وتقدم الكشف العلمى للأجهزة اللاسلكية من التليفون إلى التلغراف إلى الراديو والطائرة .

وقد يكون التغير عملية تراجعية Involution أو نكوصا Retraction . ويحدث ذلك فى كثير من الحالات . فبعد أن تقطع النظم تطورا وتقدما ارتقائيا يصاحبها انحلال فتبدأ فى التراجع والنكوص . وقد أيد ابن خلدون وسبنسر حدوث هذه الظاهرة حينما قررا أن الاجتماع الإنسانى لابد أن ينتظر مشهد السقوط والانحلال ، ويخضع لقانون الفناء الذى لايرحم . والملاحظة بصفة عامه أن المدن تزدهر ثم يغوتها ركب الشباب ، وأن الدوله ترتفع إلى أوج مجدها ثم تطيح بها الحروب إلى هاوية سحيقة ، وأن كثيرا من مظاهر العمران تنكص إلى الوراء فى حـــالات الأزمات

السياسية والاقتصادية والاضطرابات الداخلية [1].

كذلك فان التغير نسبي فى عمقه ، إذ قد لايتأثر به إلا المظاهر السطحية للنسق الاجتماعى ، فمثلا إدخال الأدوات الحديثة فى المجتمع الريفى لم يؤثر فى حياتها إلا قليلا . كذلك قد يتغير نظام المهر فى مجتمع من المجتمعات دون أن ينجم عن ذلك تغير فى كل العلاقات التي تؤلف المجتمع . وقد يكون التغير شاملا ، وقد يقتصر على جانب واحد من جوانب الحياة الاجتماعية ، كما أنه قد يكون تغيرا فى السلوك الاجتماعى الصادر عن الأشخاص الذين يعيشون فى ذلك المجتمع ، أوقد يكون تغيرا فى المجتمع نفسه .

وفى ضوء ما سبق يمكن تعريف التغير بأنه عملية حركية اضطرادية مستمرة متتابعة ، إنه الاختلافات التى تطرأ على أى ظاهرة من الظواهر الاجتماعية خلال فترة معينة من الزمن والتي يمكن ملاحظتها وتقديرها ، أو بمعنى آخر هو التعديلات التى تحدث فى أنماط الحياة فى مجتمع معين أو فى شعب من الشعوب . ويحدث هذا نتيجة عدة عوامل متداخلة ومتشابكة يتداخل بعضها فى بعض ، ويؤثر بعضها فى بعض .

العوامل التى تؤدى إلى التغير الاجتماعى : —

جرت العادة عند بعض علماء الاجتماع على إبراز عامل واحد باعتباره المؤثر الوحيد فى عملية التغير دون اعتبار لباقى العوامل الأخرى . وقد أطلق على هذا الاتجاه اصطلاح الحتمية فى تفسير عملية التغير . فهناك

---

١ — د مصطفى الخشاب المرجع السابق ص ٢٥٤

الحتمية الجغرافية ، وهى التى تقول ، بأن العوامل الجغرافية هى صاحبة الكلمة الأولى فى عملية التغير . وهناك الحتمية الثقافية وهى التى تبرز الثقافة كعامل وحيد يؤدى إلى التغير . وهناك الحتمية البيولوجية .

والحقيقة أن التغير الاجتماعى يحدث نتيجة عـــدة عوامل متداخلة ومتشابكة ، داخلية وخارجية ، ولايعمل أي منها منفصلا أو منفردا أو مستقلا عن الآخر ، وإنما يتداخل بعضها فى بعض ويؤثر بعضها فى بعض . وهذه هى أهم العوامل التى تعتبر هامة وأساسية فى تغير المجتمع : العوامل البيئية والطبيعية ، العامل الديموجرافى (السكان) . العامل البيولوجى ، الثقافة ، والتغير الذى يقع لأى نظام من النظم الاجتماعية .

أولا : العوامل البيئية والطبيعية : —

وتشمل تلك العوامل جميع الظواهر الفيزيائيه التى ليست من صنع الانسان كسطح الأرض ومـا عليه من مظاهر فيزيقية ومصادر الثروة الطبيعية ، وتوزيع الأرض والمياه والجبال والسهول . كذلك الحرارة والبرودة والأمطار والجفاف ، ومساقط الميـــاه والفيضانات والرياح والرطوبة والجفاف ، والزلازل والبراكين ، وموقع المجتمع .

ولاشك أن هذه العوامل تؤثر تأثيرا كبيرا فى العلاقات الاجتماعية ، وهى تؤثر كذلك فى كثافة السكان وتخلخلهم فى منطقة ما ، وفى أماكن المدن والمراكز الصناعية . وإذا رجعنا إلى التاريخ نجـد أن نزوح جماعات من بيئة إلى أخرى ، وزوال جماعات ، ونمـو جماعات إنما يرجع أساسا إلى العوامل البيئية .

إن مصادر الثروة الطبيعية الموجودة فى باطن الأرض والتى لم تكن معروفه من قبل ، واستقلال تلك الموارد يؤثر فى توزيع السكان ونشأة المدن والهجرات ، وفى كثير من الصناعات ، وفى حياة الناس . فاكتشاف البترول فى منطقة الشرق الأوسط أدى إلى تغيير كبير فى حياة سكان هذه المنطقة الذين كانوا يعيشون على الرعى ، إذ كان الكثير من سكان المناطق يرفضون العمل اليدوى ويحتقرون كل الحرف عدا حرفة الرعى . ولكن مع الظروف الجديدة اضطروا أن يلائموا أنفسهم معها فقبلوا العمل بأجر ، وهاجروا من المواطن القبلية الأصلية إلى المدن التى أنشئت حول موارد البترول . وقبلوا فكرة الاستقلال الاقتصادية للأسرة المكونة من الأبوين والأولاد عن نطاق البدنة والعشيرة . كذلك انصرفت الأيدى العاملة عن تربية المواشى والزراعة ، مما نتج عنه ضرورة الاعتماد على اللحوم واستخدام المأكولات المحفوظه ، كما اضطرت بعض الجماعات إلى أن تعهد إلى نسائها بأعمال الرعى والزراعة ، وقطع البلح ، نظرا لغياب الرجال عن المنطقة . كذلك إذا استنفذت كل طاقات المناجم ، فان العاملين فيها إما أن يهاجروا إلى مناطق بها مناجم أخرى ، أو يتجهون إلى نوع آخر من النشاط الإقتصادى .

وإذا تغير المناخ — مثلا — فى منطقة من المناطق فان الانتاج الزراعى والصناعى والتجارى والنشاط البشرى يتغير تبعا لذلك ، إذ يحاول الناس أن يتكيفوا طبقا للتغيرات المناخية الجديدة . وفى هذا الخصوص يحكى عالم الاجتماع الفرنسى مارسل موس Marcel Mause [٤] — عند دراسته

١ — د عبد الكريم اليافى . فى علم السكان ص ١٣

لقبائل الاسكيمو - أن مجتمعات الاسكيمو يسكنون فى الشتاء بيوتا مستطيلة , تتراكم فى كل بيت منها عدة أسر، قد تبلغ العشر ، تتعايش معا، لكل أسرة جانب من جوانب البيت خاص بها مفصوله أحيانا فاذا هل الصيف أنتشروا فى الخيام ، كل خيمة تأوى أسرة أو بعض أفراد الأسرة .

ويختلف توزيع مساكنهم تقاربا أو تباعدا مع فصول السنة ، ففى الشتاء تكون المساكن متقاربة حتى تغدو أحيانا بيتا واحدا يقطنه عشر أو أكثر مع أن البيت يأوي نصف هذا العدد عادة ، فكثافة السكان شديدة فى الشتاء وعلى خلاف ذلك فى الصيف ، إذ تتغير الخيام ويتوزع معها الأفراد وتقل كثافتهم ، ويرافق الشتاء جمود واستقرار ، وتشتد فى الصيف الرحلات البعيدة القاسية .

ويتبع ذلك كله اختلاف فى جوانب حياتهم الاجتماعية كلها سواء نظام الأسرة ونظام الثروة والشئون الإدارية العامة ، حتى الدين أيضا يختلف - فهناك ديانتان - ديانة الصيف وديانة الشتاء ، أو على الأصح ليس للصيف ديانة ، الا ما يكون من عبادة فى الأسرة ، وفى حفلات الولادة ومآتم الموت ، ومن تجنب لبعض النواهى ، والعكس فى الشتاء إذ تحتدم عواطفهم الدينية .

وقد تثور الطبيعة من وقت لآخر فتهب الأعاصير وتفيض الانهار ، وتحدث الزلازل والبراكين ، وكل هذا له أثره فى الحياة الاجتماعية .

أما موقع المجتمع فانه يؤدى إلى انفتاح المجتمع أو انعزاليته ، فاذا كان منفتحا فانا هذا يؤدى إلى ظهور حضارات عظيمة . ومن الأمثلة على

على ذلك ظهور الحضـارة المصرية والحضارة اليونانية القديمة ، كذلك فان لموقع المجتمع أهمية تجارية وحربية ، مثال ذلك موقع مصر وسط العالم العربى والذى يقع بدوره فى ملتقى ثلاث قارات هى آسيا وأفريقيا وأوربا ، هذا الموقع قد أعطى لمصر أهمية استراتيجية وتجارية عظيمة ، كذلك يظهر أثر الموقع على القرى ، فالقرية القريبة من المدينة أو المناطق الصناعية تتأثر بطريقة تختلف عن القرية البعيدة عن المدينة والتى تكون فى شبه عزلة . وقد يكون الموقع سببا فى عزلة أفراد المجتمع مما يحول دون الاحتكاك الثقافى ووصول الاختراعات التى تظهر فى أماكن أخرى .

وهناك من المظاهر الطبيعية ما لا يمكن للانسان أن يغـيره كحركة الشمس والقمر ، ومساحات الأرض ، وحجم المناجم ، وتوزيع المحيطات والجبال . ومع ذلك فان الإنسان يستطيع أن يستغلهـا لمصلحته ـ فمثلا ـ يستطيع الإنسان أن يشق الممرات وسط الجبال ، كما يستطيع أن يستخدم الرياح فى تسيير سفينته الشراعية .

ثانيا : العامل الديموجرافى (السكان) . —

السكان عنصر فعال فى حمل لواء التغير ، فكثافة السكان وتخلخلهم ، وزيادة المواليد أو نقصانها ، وارتفاع معدل الوفيات أو إنخفاضه ، والهجرة ، وتكوينهم الجنسى والعمرى ، كل هذا له أثر فى التغير الاجتماعى .

فبزيادة السكان يزداد نشاطهم وتتقدم الحضارة ، وتنشـأ المدن ، ويزداد العمران . ويؤدى هذا إلى تغيير شامل فى وسائل المعيشة فيتحول المجتمع ـ مثلا ـ من مجتمع زراعى أو مجتمع رعوى إلى مجتمع صناعى ، ويغير الناس شكل ملابسهم . ويهتمون بعامل الوقت .

كذلك الأمر بالنسبة للهجرة ، وهى اما داخلية أو خارجية ، فالهجرة الداخلية كهجرة أهل القرى من القرية إلى المدينة ، وهى تساعد على ازدهار المدن وازدهار الصناعة ، وما يتبع ذلك من تغير فى شكل الحياة ووسائل المعيشة ، كما تحدث تغيرات فى القيم التى يؤمن بها هؤلاء المهاجرين ، وقد يترتب على ذلك انحـلال اجتماعى . ومن الأمثلة على ذلك النمـو السكانى لمدينة القاهرة نتيجة هجرة أهل القرى اليها ، إذ نتج عنه تعقد المجتمع القاهرى ، واستتبع ذلك تغيرات فى هذا المجتمع فى طريقة الضبط الاجتماعى والرقابة الاجتماعية ، وفى طرق المواصلات ، وفى وسائل حصول الناس على أرزاقهم ، وفى أسلوب التربية والتعليم .

أما الهجرة الخارجية فهى إما وقتية أو دائمة ، وقد يستعان بالهجرة الوقتية فى الأوقات التى تتطلب مجهودا غير عادى ، وذلك كما هو الحال فى فرنسا عندما يهاجر العمال الأسبان والايطاليون فى فترة الحصاد وجمع الكروم . وهؤلاء ينقلون الثقافة الأسبانية والايطالية إلى فرنسا ، وحين يعودون إلى بلادهم ينقلون اليها بعضا من عناصر الثقافة الفرنسية ؛ أما الهجرة الدائمة فهى مثل هجرة جماعه من الشعوب المتحضرة هجرة دائمـة ومستمرة إلى مناطق توجد فيها مجتمعات قبلية فتعمل تلك الجماعة على تحضر وتغيير حياة شعوب تلك المجتمعات القبلية . ويتمثل ذلك فى هجرة الناس إلى أمريكا واستراليا . وبجانب الهجرة هناك الغزو والاستعمار .

كذلك فان التعديلات التى تحدث فى التكوين الجنسى والعمرى تحدث تغييرات اجتماعية ـ فمن حيث التكوين نجد أنه إذا زاد عدد الذكور عن عدد النساء فى المجتمع ، فان المجتمع يتقدم إقتصاديا وعمرانيا وتحدث

العكس للمجتمع الذى يزيد عدد نسائه عن عدد رجاله وحن حيث التكوين العمرى نجد أنه إذا زاد عدد الشيوخ عن عدد الشبان كان المجتمع متحفظا متمسكا بالقديم ، وإدا زاد عدد الشبان عن الشيوخ كان المجتمع مرنا يتقبل كل ما هو جديد .

وبالإضافة إلى هذا كله ، فان ظهور جماعات جديدة واختفاء جماعات قديمة يؤدى كذلك إلى التغير الاجتماعى

ثالثا : العامل البيولوجى : —

يعتبر العامل البيولوجى من العوامل الهامة التى تؤدى إلى التغير الاجتماعى ، إذ يرجع بعض الباحثين الاختلافات الثقافية بين الجماعات إلى الاختلافات الوراثية فى الصفات الجسمية والعقلية والذكاء والقدرات والإمكانيات ، فهناك أجناس نشطة قابلة للتحضر بسرعة . وأخرى خاملة تعتمد على القديم ولا تميل إلى التجديد .

ويقصد بالعامل البيولوجى كذلك ـ ظهور طائفة من المصلحين الاجتماعيين أو المشرعين أو الزعماء أو القادة تعمل على تغيير بعض أوضاع المجتمع كتغيير نظم الحكم ، أو أن يقوم هؤلاء الزعماء بثورة إجتماعية تؤدى إلى تغيير جذرى فى جميع النظم الاجتماعية ، أو قيامهم بتغيير القوانين بقوانين أخرى تمنع الجرائم ، وذلك بتشديد العقوبة لمرتكبيها .

كما يتضمن هذا العامل فعل الإنسان وإرادته وجهده ونشاطه كاكتشافه منجم فحم ، أو بئر بترول ، إذ أن هذا بدوره يؤدى إلى تغيير إجتماعى

ويقصد بالعامل البيولوجى أيضا تلك الاختراعات والوسائل الحديثة التى تغلبت على كثير من الأمراض مما أدى إلى انخفاض نسبة الوفيات وزيادة عدد الشيوخ ، ولهذا أثره على كيان المجتمع ، إذ يؤدى إلى تغيير نسبة المنتجين إلى مستهلكين ، وإلى أن يكون المجتمع محافظا متمسكا بالقديم ولا يتقبل الجديد .

رابعا : العامل الثقافى :

الثقافة أحد العوامل الهامة التى تؤدى إلى التغير الاجتماعى . وهناك ثلاث مصادر كبرى للعناصر الثقافية ، وهى الاختراع والانتشار والاستعارة ولا شك أن هذا يؤثر على حياة البشر ، فاختراع آلة حديثة كالمحراث ـ مثلا ـ أدى إلى راحة العامل الزراعى ، وزيادة الانتاج ، وكان لهذا أثره الواضح على حياة العامل الزراعى من حيث زيادة أوقات فراغه ورفع مستوى معيشته .

كذلك لاختراع الكهرباء والبخار أثر فى تحويل الصناعات المختلفة من صناعة يدوية إلى صناعة آلية ، وكان لهذا أثر فى ظهور طبقتين فى المجتمع طبقة أصحاب رءوس الأموال وطبقة العمال كما أدى إلى خروج المرأة إلى ميدان العمل ، مما أثر فى علاقتها بالرجل ، وتغيرت السلطة التقليدية للرجل وأصبحت العلاقات بينهما تقوم على أساس من التعاون والتفاهم ، كذلك زادت الرغبة فى تحديد النسل لانشغال المرأة بالعمل فى الخارج .

كذلك كان لاختراع الساعة أثر عظيم فى تنظيم حياة الناس واهتمامهم بالمواعيد المحددة تحديدا صارما . فقبل إختراع الساعة كان إذا ضرب أحدهم

موعدا لآخر ، فانه بالضحى والزوال . وهذه الأوقات تحتمل التبكير والتأخير . وكانا يعرف أنه إذا أراد أهل الريف السفر فى الصباح فانهم يذهبون إلى محطة السكة الحديد منذ مساء اليوم السابق وينتظرون بالمحطة ، وإذا أرادوا السفر فى المساء فانهم يذهبون إلى المحطة منذ الصباح وينتظرون حتى يجيء القطار فى المساء .

كما كان لاختراع الأدوات الصحية وتعميمها فى المنازل أثر كبير فى نظافة الشعوب ، فنحن نعتقد أن الشعب الانجليزى نظيف ، ولكن الحقيقة أن تلك الصفة لم تكن متوفرة إلا بعد أن توفرت الأدوات الصحية وكل من كتب عن عادات الانجليز وأحوالهم فى القرن الخامس عشر والسادس عشر كان يشير إلى القذارة السائدة فى أشخاص الانجليز ومساكنهم ، وكانت أرضية المنازل كما وصفها ايرازموس [1] بشعة كما كانت تزكم الأنوف الشوارع بروائحها الكريهة . أما الاختراعات اللامادية فهى مثل الكتابة والضمان الاجتماعى ونظام الائتمان والسمعة الحسنة وحقوق الإنسان والديمقراطية والتعاون فهى تؤدى إلى أنساق أفضل من التنظيم والمبادىء العامة والقوانين .

وفى مجال الانتشار الثقافى وهو عملية إستعارة العناصر الثقافية من ثقافة إلى ثقافه أخرى — نذكر أن وسائل الاعلام المختلفة من مذياع وتليفزيون وصحافة وسينما لها تأثيرها فى التغير الاجتماعى ، فهى تثبت

---

١ — د. السيد محمد بدوى . مبادىء علم الاجتماع . الطبعة الأولى ص ٢٥٠

مفاهيم التكنولوجيا الحديثة فى نفوس الفلاحين ، فقد تخترع آلة أو نكتشف آلة جديدة أو بذور حديثة لا يقبل عليها الفلاحون ، فتقوم وسائل الاعلام بهذا العمل ، كما أن لها أثر كبير فى سرعة الانتشار من مجتمع لآخر ، وفى تبادل الأفكار والآراء .

وتطبيقا لذلك نذكر أن الطراز العربى كان هو السمة الظاهرة فى منشآتنا السكنية والدينية ، وإزاء الاتصالات الفكرية والثقافية أصبح طرازنا السكنى أوربيا أو أوربيا شرقيا . كذلك الحال فى فنوننا من موسيقى وغناء وفنون تشكيلية من تصوير ونحت وزخـــرفة وحفر ، إذ أصبحت هى الأخرى شرقية أوربية بعد أن كانت أوربية خالصة .

وأخيرا فان محاولة نشر التعليم وتعميمه فى بعض المجتمعات التى لا تعرف القراءة والكتابة لها أثرها الواضح فى التغير الاجتماعى .

خامسا : أى تغيير يحدث فى أى نظام من النظم الاجتماعية يؤدى بالتالى إلى تغيير فى العلاقات والنظم الاجتماعية الأخرى :

إن أى تغيير فى أى نظام من النظم الاجتماعية يصحبه تغـير فى بقية النظم الاجتماعية الأخرى ، حتى يكفل التناسق بين النظم الاجتماعية المختلفة ففى النظام الاقتصادى - مثلا - انتقلت المجتمعات من مرحلة الصيد والجمع إلى مرحلة الرعى والزراعة إلى مرحلة التجارة ، فالصناعة ، وقد كان لهذا أثره فى التغير الاجتماعى ، إذ أن انتقال مجتمع من مرحلة الصيد إلى مرحلة الزراعة إنما يعنى السكن فى عشش وأكواخ بعد أن كان يعيش فى كهوف وهذا يعنى الاستقرار فى الأرض بعد حياة الترحال . كما

أن انتقال المجتمع من مرحلة الزراعة إلى مرحلة الصناعة يصحبه ظهور طبقة صناعية يزيد أجرها عن أجر طبقة عمال الزراعة ، ويصحب هذا تغير فى مستوى المعيشة .

نظرية التخلف الاجتماعى : —

قد يتغير وجه من أوجه النشاط فى المجتمع دون أن تتغير أوجه النشاط الاجتماعية الأخرى ، أى أن التغير لا يكون بدرجة واحدة من جميع النواحى ، ويكون ذلك بسبب أن التغير المادى للحضارة (النواحى التكنولوجية والصناعية) أسهل وأسرع من تغير الوجه غير المادى (العادات والتقاليد) . فاذا إخترع اختراع معين فانه يتطلب تغيرا فى وسائل الحياة فى المجتمع ، ولكن الذى يحدث أن التغير فى مناشط الحياة الاجتماعيه يكون بطيئا ويسير بنسبة أبطأ من التغير فى الجانب المادى التكنولوجى .

وهذا ما يسمى بالتخلف الاجتماعى ، فكلمة تخلف lag تتضمن عناصر من عناصر الحياة الاجتماعية لا يلحق يلحق بعنصر آخر يرتبط به فى سرعته . ومن هنا فان المجتمع قد يتدخل لاعادة التوازن بين هذين العنصرين عن طريق التشريعات والقوانين ، فاذا زاد عدد السكان فى مركز صناعى ، فان المجتمع ينبغى أن يلحق بهذا المركز وسائل الأمن التى تتناسب مع تلك الزيادة . وإذا ظهر اختراع حديث حدث منه خطر على حياة العمال ، فيجب ألا نعود إلى الوراء ، ونستغنى عن هذا الاختراع ، بل يجب أن نبحث عن الوسائل التى تؤدى إلى التقليل من هذا الخطر .

التغير الثقافى . —

يمكن أن نميز بين التغير الاجتماعى والتغير من الثقافى من حيث أن التغير الاجتماعى هو تغير فى البناء الاجتماعى والنظم والعلاقات الاجتماعية . ويتضمن التغير الاجتماعى توزيعات العمر، ومستويات التعليم ومعدل مواليد السكان ، وهجرة الناس من القرية إلى المدينة ، وتغير العلاقات بين العمال وأصحاب رءوس الأموال ، وتغير علاقات الزوج وزوجته من سيطرة وسيادة للزوج إلى المشاركة والتعاون .

أما التغير الثقافى فهو يشتمل تغير فى الثقافة المــــادية كالاختراعات والاكتشافات . وتغير فى الثقافة اللامادية كالعادات والتقاليد .

والواقع أن المجتمع والثقافة مظهران لشىء واحد ، وأنه لايمكن فصلها خصوصا إذا كنا نبحث فى مسألة التغير، لأن القاعدة المعترف بها هى ارتباط العوامل لانفصلها ، إذ أن كلا منها يؤثر ويتأثر بالآخر ، وليس الفصل هنا إلا لأغراض الدراسة والتحليل .

التخلف الثقافى :

يطلق هذا الاصطلاح حينما يتغير عنصران من عناصر الثقافة بدرجات متفاوته أى يكون أحدها أسرع من الآخر ، أو يتغير أحدهما مع ثبات الآخر أو بطئه ، ويكون العنصر الثانى متخلفا عن العنصر الأول ، فقد تتغير التكنولوجيا دون أن يتغير نظام الأسرة ، ويرجع هــــذا إلى طابع المجتمع ونمطه الثقافى .

التطور الاجتماعى Social Evolution :—

يقصد بالتطور التغير التدريجى المادى، الذى يصيب النظام الاجتماعى، وقد لايصيب منه إلا الأجزاء العرضية أو السطحية والتطور هو الحالة الطبيعية العادية للجماعات الإنسانية، ذلك أنه لايوجد مجتمع لايتطور، والخلاف الوحيد بين الجماعات فى هذا المضمار هو فى مدى سرعة التطور. فالمجتمعات الحديثة أسرع تطورا من المجتمعات القديمة كما أن النظم تختلف أيضا فى مدى تقبلها للتطور، فالنظام الدينى والعادات والتقاليد غالبا مايكون تطورها طفيفا، أما النظام التربوى والاقتصادى فتغيرها كبير وملموس وواضح.

والتطور عملية تقرر ما يكون وتصف طبائع الأشياء، وهو لايتضمن دائما معنى التقدم، ذلك أن التقدم يشير دائما إلى السير إلى الأمام.

وقد انطرح أخيرا اصطلاح التطور الاجتماعى، وحل محله اصطلاح التغير الاجتماعى ولعل وليم أوجبرن Ogburn هو المسئول عن الاصطلاح الجديد عندما نشر كتابه عن التغير الاجتماعى لأول مرة عام ١٩٢٢.

الثورة الاجتماعية:

تتميز الثورة عن التطور أنها تغير غير هادى، ينتاب الجماعة، وهى تحدث فجأة وبعنف ودون مراعاة القواعد والقوانين ولاتعترف بما يسود المجتمع من مقاييس ومعايير وهى لايقتصر تأثيرها على نظام واحد من النظم الاجتماعية أو على أجزاء عرضية أو سطحية. وإنما تؤدى إلى تغير أساسى وجذرى يصيب النسق الاجتماعى بأكمله

ولا تنشأ الثورات نتيجة المصادفات والاهواء والمنازعات الشخصية ، وإنما ترجع إلى جذور عميقه فى طبيعة النظم الاجتماعية ، وقد تكون الثورات نتيجة ظروف خارجيةأوداخلية ، أما الظروف الخارجية فقدتكون عملية غزو ، كما غزا العرب مصر فى القرن السابع الميلادى ، وأحدث هذا ثورة شملت جميع نظم الحياة الاجتماعية المصرية . وقد تكون الهجرة كما حدث حين هاجر أعداد هائلة من الاوربيين إلى أمريكا ، وأحدثوا هناك ثورة شملت جميع نظم المعيشة للسكان الاصليين .

وأما الظروف الداخلية ، فقد ترجع إلى وجود طبقات فى المجتمع تعمل على وقف التطور وتعرقله ، وحينئذ تقوم الثورة لتصل بالجماعة إلى ما تريد ، ومالم تتمكن أن تصل اليه بالتطور العادي .

والثورة إذا كانت متمشية مع العقل الجمعى واتجاه الجماعة ، فانها ستصل قطعا إلى ما تصبو اليه ، أما إذا كانت الثورة لاتعبر عن الرأى العام واتجاه الجماعة ، فانها حتى لو نجحت فانها سيقضى عليها بالفشل .

الحركة الاجتماعية : Social Movement —

تطلق كلمة الحركة الاجتماعية على جزء من التطور الاجتماعى العام ، محصور فى زمن معين وبنظام خاص كالحركات الدينية ، أو حركة تعليم المرأة ، فاذا أخذنا ـ مثلا ـ نظام تعليم المرأة واشتراكها فى الحياة الاجتماعية وكيف تطورت فى مصر بين سنتى ١٨٥ ـ ١٩٥٠ ، فاننا نصف بذلك الحركة النسائية أو الحركة الاجتماعية النسائية .

الحراك الاجتماعى: Social Mobility

وهو عبارة عن نوع من التغير الاجتماعى الذى يصيب الافراد فى وضعهم الاجتماعى Social Position ، وقد يكون هذا التغير من أعلى إلى أسفل أو بالعكس .

التنمية الاجتماعية: Social Development :—

تناول بعض المفكرين الامريكيين التنمية من زاوية تغلب عليها النظرية ويرون أنه التغير الاجتماعى Social Change الذى تقدم من خلاله أفكار جديدة فى النسق الاجتماعى Social System بهدف تطور وتحسين أحوال الناس وتوفير الخير الاجتماعى Social Well Being لهم(١).

والحق أن التغير يختلف عن التنمية ، فالتغير يحدث تلقائيا فى كل اتجاه وسواء أردنا هذا أم لم نرد ، بينما التنمية هى التغير الموجه الذى تلعب فيه الإرادة دورا جوهريا .

وتشير كلمة التنمية كذلك إلى البرامج الإقتصادية وغير الإقتصادية التى تنجم عن تنظيم المجتمع المحلى . واعتبر بعض السسيولوجيين أن تنمية المجتمع المحلى هى عملية انتقال المجتمعات من نمط ما قبل الصناعة إلى النمط الصناعى .

وينظر آخرون إلى التنمية باعتبارها أداة للتحرك نحو عملية معينة يسعى لإنجازها . والعملية هى حركة تقدمية من مرحلة معينة إلى مرحلة

---

١ ـ د. عبد المنعم محمد بدر . دراسات فى التنمية الريفية . ص ٧

لاحقة . ويتمثل ذلك فى قيام الصفوة بوضع قرارات عامة : تهدف مصلحة جميع أفراد المجتمع . وينطوى ذلك على عملية التعاون ، ومن مشاركة قلة من الأفراد فى اتخاذ القرارات إلى المشاركة الجماعية ، ومن استيراد المصادر والمتخصصين من الخارج ، إلى توفر المصادر والمتخصصين المحليين . وينعكس ذلك على جميع أفراد المجتمع اجتماعيا وسيكلوجيا . أما الحركة فهى نزعة ديناميكية يقصد بها التقدم باعتباره تصورا فلسفيا - لاعلميا . والتقدم هو القيم والأهداف التى تختلف من نسق سياسى إلى نسق آخر[1].

وهناك اتجاه آخر يقوم على استخدام المقاييس والمؤشرات التى يقاس بها عملية التنمية . وهو يتخذ شكلين أساسيين : الكمى والكيفى . ومن أنصار هذا الاتجاه كيند لبيرجر Kincleberger ، وتتمثل هذه المقاييس والمؤشرات فى زيادة دخل الفرد ، ونسبة السكان الذين يعملون بالزراعة ، وانخفاض معدلات الوفيات ، ودرجة التعليم ، والنسبة المئوية للسكان الحضريين ، وعدد الأطباء والمستشفيات ، ومعدل أو نسبة توزيع الصحف ، وعدد أجهزة الراديو والسيارات بالنسبة لكل ألف شخص ، وارتفاع معدلات المشاركة فى اتخاذ القرارات ، وتحقيق أعلى معدل من العقلانيه .

ويؤخذ على هذا الاتجاه تجاهله المظهر الاجتماعى . هذا فضلا عن أن متوسط الدخل - مثلا - لايستطيع وحده أن يعكس لنا مدى مستوى الاستهلاك ، كما أن ارتفاع الدخل القومى لايعنى بالضروره مستوى معيشى

---

1 – Travin T. Sanders. Theo ies of Corr munity Develcprrent, Rural Scciclcgy Review, Vol . 38, No 4, Winter 1973, P·P· 1 - 5

مرتفع للغالبية العظمى من السكان ، لأننا لن نتمكن حينئذ من التعرف على توزيع الدخل بين الطبقات الاجتماعية .

وبناء علي ماتقدم يمكن القول أن التنمية ما هي إلا تغيير (تغيير) اجتماعى إدارى ومقصود للانتقال بالمجتمع من الحال الذى هو عليه فعلا إلى الحال الذى ينبغى أن يكون عليه أملا . وبمعنى آخر فهى العملية المرسومة والمقصودة والمخطط لها تخطيطا سليما ، بهدف إحداث تغيير لتقدم المجتمع بكل أبعاده إقتصادية كانت أم اجتماعية أم ثقافية أم سياسيه ، وذلك فى حدود الإطار العام لخطة الدولة .

وتواجه عمليات التنمية بعض المعوقات . فنمو السكان يعد عائقا للتنمية الإقتصادية . وقد أورد « جوران أورهلن Goran Ohlin » فى كتابه ضبط السكان والتنميه الإقتصادية Population Control and Economic Development ،[1] أن شكله النمو السكانى فى البلدان الفقيرة تتبدى فى أن هذه البلدان تستهلك جزءا كبيرا من مصادرها الذى يمكن استخدامه فى عمليات التنمية .

وبالرغم من أهمية المشاكل الإقتصادية التى تعوق عمليه التنمية إلا أن هناك أسبابا أخرى تتمثل فى البيئة ، وقد ذكر أحد البيولوجيين : فكر فيما يمكن أن يحدث فى الجو لسبعمائه مليون صينى إذا امتلك كل منهم سيارة .

---

1 – Paul R. Ehrlich & Ann H. Ehrlich, Population Environment, Issues in Human Ecology P. 300

وفى دول الدومينكان تظهر مشاكل الإيكولوجيا فى التنمية الزراعية وتسهيلات التوزيع ، والتخزين ، والتسويق .

ويؤدى عدم التكامل فى التنمية إلى إعاقتها ، ذلك أنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل تنمية الصناعة مثلا دون تنمية التعليم ، أو حل مشاكل المدينة دون الاهتمام بمشاكل الريف . ويستلزم ذلك تدريب الموظفين وتنميتهم مما يحقق بلوغ الأهداف وتنسيق النشاطات .

وتلعب القيم الاجتماعية دورا هاما فى إعاقة التنمية ، فاذا كانت القيم جامدة ومتخلفة واجهت برامج التنمية عقبات شتى فى التنفيذ .

كذلك فان تخلف الأجهزة الإدارية تعد مقوما للتنميه . ويتمثل ذلك فى بعض السمات أهمها تعقد الإجراءات وإغراق فى الروتين ، والبطء ، الشديد فى إصدار القرارات وتناقض بعضها للبعض. وعدم الالتزام بتنفيذ الشعارات المعلنه ، وانتشار اللامبالاة والسلبية ، وعدم وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب . وسيطرة العوامل الشخصية على علاقات العمل الرسمية وإنجازاته ، وصعوبة التنسيق بين الوحدات الإدارية الجديدة من ناحية وبينها وبين الأجهزة التقليدية القائمة من ناحية أخرى . والعجز فى الكفاءات الإدارية المؤهلة والمدربه ، وعدم تطوير التشريعات .

هذا وإذا تعارضت التغيرات التنموية مع مصالح الأفراد والجماعات فى المجتمع ، فلاشك أنها ستواجه بمقاومة شديدة من هذه الفئات التى ستسعى إلى نشر روح المقاومة للتغييرات الجديدة فى أقرب نطاق ممكن من الإشاعات الكاذبة والمغرضة حول التغييرات الجديدة ، واختيار القيادات وتكوينها ورعايتها ضرورة من ضرورات التنمية ، وتواجه بعض القيادات المضايقات

أحيانا فتقل معنوياتها وآمالها ، وتنقلب من قيادات متحمسة إلى قيادات متحفظة بل ونائمة . ومن معوقات التنمية نقص الموارد البشرية ، والمادية ، والتنظيمية ، والتكنولوجية .

وقد يعوق التخطيط التنمية ، ويتمثل ذلك فى عدم وضوح الهدف من التخطيط عند العاملين ، وعدم الدقـــة فى اختيار الوسيلة المحققة للهدف ، وعــدم القدرة على التحكم فى الموقف الذى يخطط له ، وعدم التنسيق بين الجهات العاملة فى مجالات التخطيط المختلفة ، وعــدم توفر الأجهزة المسئولة عن الدراسات والبحوث والإحصاءات ، وخاصة على المستوى القومى أو حتى الإقليمى .

ومن الخطورة بمكان تجاهل دور المشاركة الشعبية فى التنمية سواء فى مرحلة التخطيط أو التنفيذ ، ويكون ذلك معوقـا أساسيا من معوقات التنمية ، فدور المواطنين واستجابتهم للقرارات لها تأثيرها وانعكاساتها على انجاز الخطة ومدى تحقيقها لأهدافها (١).

---

١ ــ د. عبد الهادى الجوهرى وآخرون . دراسات فى التنمية الريفية ــ مدخل إسلامى ص ص ١٣٤ ــ ١٤١

المراجع العربية والأجنبية

أولا : المراجع العربية :

١ ـ د. ابراهيم أحمد سلامه . مناهج البحث فى التربية الرياضية . الاسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٨٠ .

٢ ـ د. ابراهيم إمام . العلاقات العامة والمجتمع . القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٧ .

٣ ـ د. أبو اليزيد على المتيت . ذاتية المعاملات الاسلامية . الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٨٣ .

٤ ـ د. أحمد أبو زيد ، البناء الاجتماعى ـ مدخـل لدراسة المجتمع ـ الجزء الأول ـ المفهومات ـ الاسكندرية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ .

٥ ـ د. أحمد الخشاب و د كرم حبيب برسوم مقدمه فى علم الاجتماع. القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، د. ت .

٦ ـ د. أحمد النكلاوى التغير والبناء الاجتماعى ـ دراسة نظرية ميدانية. القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٨ .

٧ ـ د. السيد عبد الحليم الزيات . البنـاء الطبقى والتنمية السياسية فى المجتمع المصرى ـ دراسة سسيوتاريخية ١٨٠٥ ـ ١٩٥٢ . الجزء الأول ، الاسكندرية ، دار المعارف، ١٩٨٥ .

٨ ـ د. السيد عبد الحليم الزيات النتمية السياسية ـ دراسة فى علم الاجتماع السياسى الاسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٨٦ .

٩ ـ د. السيد عبد العاطى السيد . علم الاجتماع الحضرى ـ مداخل نظرية . الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٤ .

١٠ ـ د. السيد محمد بدوى . المجتمع والمشكلات الاجتماعية . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٧ .

١١ ـ ———— . مبادىء علم الاجتماع . الاسكندرية . دار المعارف بمصر ، الطبعة الأولى ١٩٦٨ ؛ الطبعة الثانية ، ١٩٧٦ .

١٢ ـ ———— . مدخل إلى علم الاجتماع . الاسكندرية . دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ .

١٣ ـ د. حسن شحاتة سعفان . أسس علم الاجتماع . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعه الأولى ، ١٩٥٤ .

١٤ ـ د. سناء الخولى . مبادىء علم الاجتماع الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعيه ، ١٩٨٠ .

١٥ ـ ———— . مدخل إلى علم الاجتماع الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٤ .

١٦ ـ د. صلاح العبد . مبادىء علم الاجتماع القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٤ .

١٧ - د. صلاح العبد وآخرون . مبادىء علم الاجتماع . دراسات نظرية وتطبيقيه فى تنمية وتحديث المجتمعات الناميه . الاسكندرية ، دار المعرفه الجامعيه ، د. ت .

١٨ - د. عادل حسن العلاقات العامه . الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٦٣ .

١٩ - د عاطف وصفى . الانثروبولوجيا الاجتماعية . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، الطبعه الأولى ، ١٩٦٧ .

٢٠ - د عبد الحميـــد لطفى . علم الاجتماع . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، الطبعه الثالثة ، ١٩٦٩ ، الطبعه الرابعه ، ١٩٧٧ .

٢١ - د عبد العزيز مرعى و د. منيس أسعد عبد الملك . الإقتصاد المعاصر . مطبعة مخيمر ، ١٩٦٣ .

٢٢ - د عبد الكريم اليافى فى علم السكان. طبعة جامعة دمشق ، ١٩٥٩ .

٢٣ - د. عبد المنعم محمد بدر مجتمعنا الريفى — دراسه تحليلية مقارنه فى علم الإجتماع الاسكندرية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٣ .

٢٤ - ــــــــــ ــــــــ دراسات فى التنميه الريفيه . الاسكندرية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٩ .

٢٥ ـ د. عبد الهادى الجوهرى . دراسات فى علم الإجتماع الإسلامى . القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة ، ٩٨٣ .

٢٦ ـ ـــــــــــ . قاموس علم الإجتماع . مكتبة نهضة الشرق ـ جامعة القاهرة ، الطبعه الثانيه ، ١٩٨٣ .

٢٧ ـ د عبد الهادى الجوهرى وآخرون . دراسات فى التنميه الإجتماعيه ـ مدخل إسلامي . القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٤ .

٢٨ ـ د على إسلام الفار . الانثروبولوجيا الإجتماعيه . الجزء الأول ـ دراسه فى المجتمعات البدائيه . الشـــركة القوميه للتوزيع ، ١٩٦٨ .

٢٩ ـ د. على عبد الرازق جلبي . علم إجتماع الصناعه . الاسكندريه ، دار المعرفه الجامعيه ، ١٩٨٣ .

٣٠ ـ د. على عبد الواحد وافى . علم الاجتماع . القاهرة ، دار نهضه مصر للطبع والنشر ، الطبعه الثانيه ، ١٩٦١ .

٣١ ـ د. عمرو غنايم و د. على الشرقاوى . تنظيم وإدارة الأعمال ـ الأسس والأصول العلميه ـ مدخل تحليلي . بيروت دار النهضه العربيه ، ١٩٨٢ .

٣٢ ـ د. غريب سيد أحمـــد . المدخل فى دراسه الجماعات الإجتماعيه . الاسكندريه ، دار الكتب الجامعيه ، ١٩٧٣ .

٣٣ ـ د قباري محمد إسماعيل الانثروبولوجيا الإجتماعية الاسكندرية، منشأة المعارف ،١٩٧١ .

٣٤ ـ د كمال الدسوقي . الإجتماع ودراسة المجتمع . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٨ .

٣٥ ـ د. محمد الغريب عبد الكريم سسيولوجيا السكان . الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٩٨٢ .

٣٦ ـ د. محمد سعيد فرح مقدمة فى علم الاجتماع . دار فجر الإسلام للطباعة والنشر ، ١٩٨٠ .

٣٧ ـ ــــــ ــــــ البناء الإجتماعي والشخصية . الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ .

٣٨ ـ د. محمد طه بدوى . أصول علم السياسة ـ علم أصول السياسة ـ دراسة منهجية المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر ، ١٩٧

٣٩ ـ د. محمد عاطف غيث دراسات إنسانية وإجتماعية . الاسكندرية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ .

٤٠ ـ ــــــ . مقدمة في علم الاجتماع الاسكندرية ، دار المعارف بمصر . الطبعة الأولى ، ١٩٦٢

٤١ ـ ــــــ ــــــ تطبيقات في علم الاجتماع الاسكندرية ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧ .

٤٢ ـ د. محمد عاطف غيث . علم الاجتماع — الجزء الأول — النظريه والمنهج والموضوع . الاسكندرية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧١ .

٤٣ ـ ———————— . علم الاجتماع . الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٤ .

٤٤ ـ د. محمد عبد المنعم نور . أسس العلاقات الانسانية ـ دراسة أساسية للعلوم الإجتماعية ، القاهرة . دار المعرفة ، ١٩٦٠ .

٤٥ ـ د. محمد على محمد وآخرون . المجتمع والثقافة الشخصية . الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٣ .

٤٦ ـ د. محمد كامل البطريق و د. محمد جمال شديد . تنمية المجتمع المحلى ـ دراسة تحليلية للاساس النظرى لمنهج تنمية المجتمع المحلى والأبعاد الرئيسية لمدى تطبيقه بفاعلية فى المجتمعات الريفية ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٩ .

٤٧ ـ د. محمد نبيل جامع . المفتتح فى علم المجتمع . الاسكندرية ، دار المطبوعات الجديدة ، د. ت .

٤٨ ـ د. مسعد الفاروق حمودة . التنمية الاجتماعية (دور الخدمة الاجتماعية) الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٨١ .

٤٩ ـ د. مصطفى الخشاب . علم الاجتماع — الكتاب الثانى — دعائم علم الاجتماع وحقائقه ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٦ .

٥٠ ـ د. مصطفى الخشاب . دراسة المجتمع . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٤ .

ثانيا · المراجع الأجنبية (مترجمة) :

٥١ ـ بندكت / روث . ألوان من ثقافات الشعوب . ترجمة عمر الدسوقي وآخرين ، لجنة البيان العربي . د. ت .

٥٢ ـ بوتومورت.ب. الطبقات في المجتمع الحديث. ترجمة وهيب مسيحه القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، د.ت.

٥٣ ـ د. جنزبرج / موريس . علم الاجتماع . ترجمة د. فؤاد زكريا ، القاهرة . دار سعد ، مصر الطبعة الثانية ، ١٩٦٤ .

٥٤ ـ دوب / أس. سي . التغير الاجتماعي . ترجمة د. عبد الهادي الجوهري وآخرين ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٨٤.

٥٥ ـ كولبورن / رشتون . وديان النهر من أصل المجتمعات المتحضرة . ترجمة لمعي المطيعي . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٩ .

٥٦ ـ ماكليلاند / دافيد . الدوافع الانسانية للتنمية الإقتصادية . ترجمة د. عبد الهادي الجوهري و د. سعيد فرح. القاهرة مكتبة نهضة الشرق. ١٩٨٠ .

٥٧ ـ ماكيفر / ر.م. الجماعة — دراسة في علم الاجتماع . ترجمة د. محمد على أبو درة ولويس اسكندر . دار الفكر العربي ، ١٩٦٨ .

٥٨ ـ ———— شارلز / بيج . المجتمع . ترجمة د. على أحمد عيسى . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٦١ .

٥٩ ـ ———— . المجتمع ـ الجزء الثاني ، ترجمة د. السيد محمد العزاوي وآخرين، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧١ .

ثالثا . المراجع الاجنبيه

(60) Angell, Robert Cooley, The Two MajorWorks — Charles H. Cooley, Social Organization & Human Nature and The social Order, the Free Press, Glencoe, Illinois, 1956.

(61) Baker, Thelma S., (Ed.), Urbanization of Man, A Social Science Perspective, The United States of America, Mc Cutchan Publishing Corporation, 1972.

(62) Bennett, John W. & Tumin, Melvin M., Social Life, Structure and Function, An Introduction General Sociology, New York, Alfred A. Knopf, 1949.

(63) Berger, Peter Luckman, The Social Construction of Reality A Treatize in Sociology of Knowledge, Anchor Books — Doubleday and Company, Inc., Gardencity, New York.

(64) Bohannan, Paul, Social Anthropology, New York, Holt, Rinehart and Winston, 1966.

(65) Brierley, J.K., Biology and The Social Crisis, London, The English Language Book Society, 1972.

(66) Pyrne, Tony & Padfield, Colin F., Social Services — Made Simple. London, Heinemann, 1978.

(67) Durkheim, Emile, Les Régles de la Methode Sociologique, Press Universitaires de France, 1973.

(68) Ehrlich, Paul P. & Ehrlich, Ann H., Population Resources & Environment Issues in Human Ecology, San Francisco, W. H., Freeman and Company, 1970.

(69) Elias, Ncrbcert What is Scciclcgy, New York, Columbia University Press, 1978.

(70) Giner, Salvacr. Sociolcgy, Martin Robertson, 1972.

(71) Green, A. W., Scciclcgy, An Analysis of Life in Mccern Scciety, New York, McMillan, Hill Book Ccmpany, 1964.

(72) Hadden, Jeffery R. & Barton, Joseph J. (Eds), New Tcwns and Suburban Dream, Ideolcgy and Utcpian Planning and Develcpment, Naticnal University Publicaticn, Kennikat. 1977.

(73) Helslin, James M., (Editor), Dcwn to Earth Scciclgy. Intrcductory Readings New Yerk, The free press, A Divisicn of Macmillan, Inc., Fcurth Editicn, 1985.

(74) Hcrtcn, Paul B. & Hunt, chester L., Scciolcgy. New Yerk, Mac Graw Hill Bcck Ccmpany, fcurth Editicn, 1976

(75) Lcwry, Ritchie P. & Rankin. Robert P. Sociology, Sccial Sciencc and Sccial Ccncern, New Yerk, Charles Scribners Sons, 1972

(76) Meadcws, Dennis L., Alternatives to Grcwth -- 1 : A Search for Sustainable Futures, Ballinger Publi--shing Ccmpany, 1977

(77) Mckee. James B., Intrcducticn to Scciclcgy, New York, Hclt, Rinehart & Winston Inc., 1969

(78) Reid, Ivan. Social Class Differences in Britain. Alexandria, British ccuncil Library, 1981

(79) Rouceck, Joseph, Ccntemporary Scciclcgy, Urban Scciclcgy, New York, Philosophical Library, 1958

(80) Site, Paul, Control and Constraint, An Introduction to Sociclcgy, New York, Mc Millan Publishing Co., Inc., 1972

(81) Southwick, Charles H., Ecclogy and the Quality of our Environment, New York, D. Van Yostrand Company, Second Edition, 1976

(82) Trystam, Jean - Paul, Sociclogie et Urbanism, Paris Edition de l' Edi, 1970

(83) Worseley, Peter, Introducing Sociology, Pen Guine International Edition, First Published, 1970.

(84) Rural Sociology, Vol, 38, No. 4, Winter, 1973.

للمؤلف

١ ـ الاستعمار فى القرن العشرين . الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية ، ١٩٧٥ .

٢ ـ الإدعاءات الصهيونية والرد عليها . الاسكندرية . الهيئة المصرية العامه للكتاب فرع الاسكندرية ، الطبعه الثانيه ، ١٩٧٧ .

٣ ـ الفلسفه الاجتماعية والاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعه الثانيه ، ١٩٨٨ .

٤ ـ ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمى . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعه السادسة ، ١٩٩٢

٥ ـ تطور النظم الاجتماعية وأثرها فى الفرد والمجتمع . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الثالثه ، ١٩٨٩

٦ ـ المدينه — دراسه فى علم الاجتماع الحضرى . الاسكندرية . المكتب الجامعى الحديث ، الطبعه الخامسة ، ١٩٨٩

٧ ـ العلاقات العامة والاعلام من منظور علم الاجتماع — الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٠

٨ ـ دور المتغيرات الاجتماعية فى الطب والأمراض ـ دراسه فى علم الاجتماع الطبى . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث . الطبعة الثانية ، ١٩٨٩ .

٩ - التغير الاجتماعي والتنميه السياسية في المجتمعات النامية ـ دراسه في علم الاجتماع السياسي . الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، الطبعه الاولى، ١٩٨٨ .

١٠ ـ دور المتغيرات الاجتماعية في التنميه الحضرية ـ دراسة في علم الاجتماع الحضري . الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، الطبعه الأولى ١٩٨٨ .

١١ ـ العلم والبحث والعلمي ـ دراسه في مناهج العلوم . الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، الطبعة ، الخامسة ١٩٩٢ .

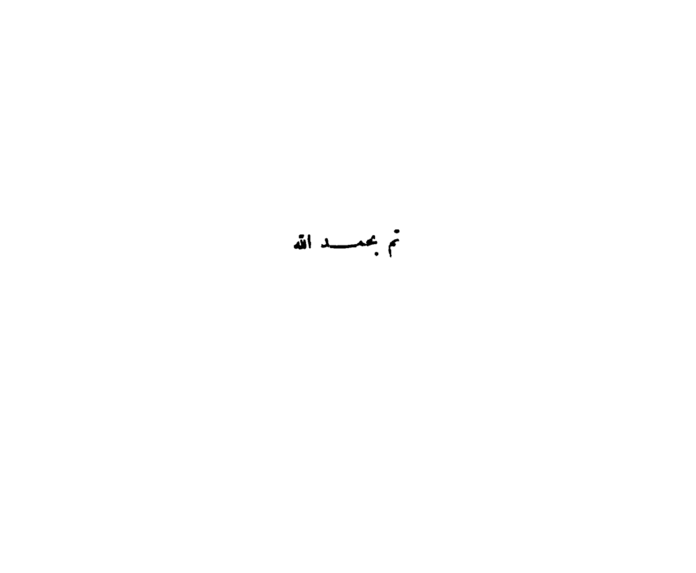
١٢ ـ الانتروبولوجيا في المجال النظرى . الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، الطبعه الأولى ، ١٩٨٨ .

١٣ ـ الانثر بولوجيا في المجال التطبيقي . الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث . الطبعه الأولى ، ١٩٨٩ .

١٤ ــ علم الاجتماع وميادينه . الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٩٩١ .

١٥ ــ المجتمع والتصنيع . دراسة في علم الاجتماع الصناعي ، تحت الطبع .

١٦ ــ الطفـل . دراسة في علم الاجتماع النفسي ، الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٩٩٢ .



تم بحمـــد الله


Bibliotheca Alexandrina
0614907